السنة الخامسة ـ العدد ٥٣ ـ جمادى الثانية ١٤٠٠هـ مايو ١٩٨٠م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

في وادي حضرموت

استطلاع مصور
بقلم
روبرت ستيفنز



شمس العرب بديل جديد للطاقة

د. أحمد إسماعيل

الرجل والنملة

أحدث
قصة
قصيرة
بقلم
يوسف إدريس



مقال
لم ينشر
من قبل
للعقاد

اينشتين على المائدة


بيبسي



الدوحة

مجلة شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة قطر

مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة

قطر ٣ ريالات ، البحرين ٢٥٠ فلسا ، الامارات العربية ٣ دراهم ، عمان ٢٠٠ بيزة ، الكويت ٢٥٠ فلسا ، السعودية ٣ ريالات ، الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا ، جمهورية اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا ، العراق ٢٥٠ فلسا ، الاردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش ، لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٢٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، الجماهيرية العربية الليبية ٣٠٠ درهم ، تونس ٣٠٠ مليم ، الجزائر ٣ دنانير ، المغرب ٣ دراهم ، باقي دول العالم مايعادل دولارا واحدا .

الاشتراكات : للافراد : داخل قطر : ٣٦ ريالا قطريا . بالدول العربية : ٤٢ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٤٨ ريالا قطريا .

للدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات : داخل قطر : ٧٢ ريالا قطريا . بالدول العربية ٧٨ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٨٤ ريالا قطريا .

الاعلانات : يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الدوحة

رئيس التحرير
الدكتور محمد ابراهيم الشوش

خبير شئون الخليج : د. محمد جابر الأنصاري

هيئة التحرير

مدير التحرير
عبد القادر حميدة

المدير الفني
محمد أبو طالب

المحرر العام
كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج
مرزوق بشير

التحرير العام
النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
ناديا رزق

سكرتير التحرير
نبيل خالد الأغا

البحوث والمعلومات
مبارك عثمان العشى

الإشراف الفني
محمد نبيل حداد
نائلة فتحى

سكرتير التحرير الفنيان
أحمد عبد الله
على دياب

المواد الاعلانية لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة او المجلة ● ما ينشر في المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأي الوزارة او المجلة

مايو ٨٠

العدد ٥٣

الشهر الذهبي مضى

٨ هوس العصر وضميره ومرآة فراغه الروحي
دكتور محمد ابراهيم الشوش

شئون عامة

١٢ تحديات التنمية الاقتصادية في الدول المصدرة للنفط
١٨ التقدم بين جدلية العقل والاشياء
د٠ حافظ الجمالي
٦٠ اللغة العربية متى تواجه التحديات أنور الجندى
٨٢ شمس العرب بديل جديد للطاقة
د٠ أحمد اسماعيل
٨٥ لماذا يحتكر الغرب تكنولوجيا الطاقة الشمسية ؟
مهندس : سمير صلاح الدين شعبان
د٠ مهندس : مظفر صلاح الدين شعبان

اسلاميات

٢٦ حكومة الرسول كانت تجسيدا لدعوة الحرية
أحمد بهجت

صفحات الراى

٣٤ زاوية الراي : كلمة السر في وجه العاصفة
د٠ محمد جابر الانصاري
٦٣ اضغاث احلام : الرجل الزجاجي والثعابين والخيار
درويش مصطفى الفار
١٤٦ الورقة الاخيرة : عندما يتحول الانسان الى حشرة
عبد القادر حميده

ابواب ثابتة

٦٤ دراسات في أدب الخليج : اليد السفلى ودعوة للوئام الاجتماعي د٠ محمد جابر الانصاري
١١٤ وقائع عربية : الحيرة ٠٠ اغنية العشق والشعر والهوس محمد المنسي قنديل
١٢٠ صور كاريكاتيرية : دفاع عن رجل محترم لأسباب لا نود الكشف عنها عبد الوهاب الأسواني



التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر
العنوان البرقى : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير: ٢١٢٢١
مدير التحرير: ٢١١٢١
التحرير :
٣٢١٢٧٥ ـ ٣٢١٢٧٦
٣٢١٢٧٧ ـ ٣٢٣٧٧٨
القسم التجارى :
٣٢١٨٥٧ ـ ٢٦٨٤٦
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

حياتنا المعاصرة

اشراف خديجة الصدر

٦٧ دراما عائلية من أجل بيت سعيد
٧٢ الرضاعة الطبيعية هي الافضل
٧٦ زراعة الثـدي
٧٨ هندسة الوراثة

استطلاعات

٣٥ هواية الصقور في قطر — نادية محمد رزق
٤٠ في وادي حضرموت — روبرت ستيفنز
٩٨ الناصرة .. أقحوانة الجليل — نبيل خالد الآغا
١٠٤ والت ديزني : عالم الأطفال الجميل — خيرية البشلاوي
١١٠ فنان الأشكال المرمرية — جمال قطب



ادب وادباء

٢٢ اينشتين على المـائدة — عباس محمود العقاد
٣٠ مشارف الخمسين : في زمننا الشعري الاول — صلاح عبد الصبور
٥٠ الرجل والنملة (قصة) — د. يوسف ادريس
٥٦ ابراهيم ناجي .. مدرسة أبولو — نعمان عاشور
٨٨ هؤلاء الكتاب العظام وأجورهم المتواضعة — عايده الشريف
٩٤ أنا والشعر — د. عيسى الناعوري
١٢٨ حلم ليلة شتاء (شعر) — فتحي سعيد
١٣٧ مونولوج جماعي « الفيل والشجرة » — اسماعيل ثامر



هذا العدد

الدوحة المدينة والدوحة المجلة : كلتاهما تفتح ذراعيها للمفكرين العرب بلا حدود .

لاتقف دولة قطر عند حدود البث الفكرى العربى فقط عبر وسائلها الاعلاميةالرصينة . ولاتعنى فحسب بمد الجسور الثقافية بينها وبين مختلف الخبرات من شتى بلدان الوطن العربى . إنها ـ دولة قطر ـ وفى ضوء من تعدد الانشطة الاقتصادية والثقافية والفنية ، تعى أن المفكرين والاخصائيين العرب ، لا ينبغى فقط أن يقرءوا أو يسمعوا عن دولة قطر ما يكتب عنها أو منها . مثلما لا ينبغى فقط أن تقرأ لهم دولة قطر ، وان تسبر اغوار فكرهم وثقافتهم وتخصصاتهم من خلال الكلمة المكتوبة والمسموعة والمرئية . ومن هنا تاتى عناية الدولة باستقدام المفكرين والعلماء والخبراء والكتاب والشعراء والفنانين العرب . فليس أجدى من تبادل الحوار مباشرة ـ بالعين والعقل واللسان ـ بينهم وبين براعم الحياة والشباب فى هذه الدولة التى تجذب مستقبلها بكل وسائل الخصب فى العصر الحديث . وتلك خطة فى ضميرها إثراء الحياة العربية العامة ، وتهجينها بحصاد ومنجزات العقل العربى المتقدم . بل هى على وجه التحديد خطة هدفها مزج العقل العربى المفكر بكل تراث هذه الامة التى كانت خير أمة أخرجت للناس .

نقول هذا وفى ذكرياتنا البعيدة والقريبة تلك المؤتمرات العربية فى كل جوانب البحث والموضوعات المتصلة بقضايا الساعة والمستقبل تتنفس بها مدينة الدوحة عربيا ، بين الحين والحين ، تعبيرا عما يجيش بصدرها من صفاء الاحلام لخير الأمة العربية . وفى ذكرياتنا كذلك تلك الأمسيات الفواحة بعطر الشعر والأدب والفنون فى ليالى الدوحة ، وعلى صفحات الدوحة ، ليس آخرها امسيات الشاعر الكبير محمد مهدى الجواهرى ، الذى يعيد للشعر العربى فروسية القصيدة العمودية ، ولن يكون آخرها أيضا امسيات الشاعر الكبير صلاح عبد الصبور ، الذى يملأ ليالى الدوحة هذه الايام بأصفى وارق وأدفأ الاغنيات من أجل الانسان .

الدوحة

فنون

١٣٢ فن اثارة التساؤلات — رءوف توفيق



أبواب القراء



اشراف :
نادية محمد رزق

٦ رسائل الى المحرر
١٢٧ رأيت ـ سمعت ـ قرات
١٣١ من تجاربي الشخصية
١٣٨ من كل نبع قطرة
١٤٢ دوحة القراء
١٤٤ المسابقة



مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبية والروحية بين الدوحة واصدقائها المساهمين فى تحرير أبواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافات رمزية على النحو التالى :

من تجاربى الشخصية ١٢٠ ريالا

افكار جديدة ١٠٠ ريال

رأيت • سمعت • قرات ٦٠ ريالا

دوحة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحرير أبواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مع ذكر اسم الباب على المظروف الخارجى ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية •

طبعت بمطابع على بن على

حول الحب والعقاب

(● ابراهيم باجس احمد
الجامعة الاردنية ..

اننى احد قراء هذه المجلة منذ فجر ولادتها ، ولكنى كنت اقرا المقالات وابدى اعجابى بها بينى وبين نفسى ، وكم همست مرات ومرات بان ارد على بعض المواضيع او ابدى إعجابى بها او انقد بعضها ، لكنى هذه المرة قررت ان اكتب إليكم وذلك لشدة اعجابى بالعدد (٥٢) . ونظرا لما جاء فى طياته من مواضيع علمية وادبية غنية بثرواتها ومعلوماتها القيمة . لكنى اخص بالذكر « الورقة الاخيرة التى تحمل عنوان (من جديد حول الحب والعقاب) للمحامى مصباح الغفرى ، فاننى اود ان اقول ان الاستاذ مصباح قد عرض مقالته بطريقة جيدة وطرح افكارا قد يستهزىء بها الكثيرون إذا قراوا مقالته بسطحية ولم يتعمقوا مغزاها وخاصة اولئك الذين لا يعرفون من العلوم الانسانية شيئا وخاصة علم النفس واقولها صريحة بان كل كلمة كتبها الاستاذ مصباح جاءت فى موقعها الحقيقى وفى زمانها بالذات ويجب علينا ان نحول مثل هذه الافكار الى حقيقة واقعية بدلا من ان تظل مطبوعة على صفحات من الورق ولابد لهذا العالم ان يتوقف عن صعوده نحو الهاوية واقول كذلك بان انزال العقوبة على الشخص المرتكب للجريمة هى جريمة بحد ذاتها وكاننا بعملنا هذا نطفىء النار بالزيت ولابد يا استاذ مصباح ان يحصل ما توقعته ونصبح عبرة بل وموضع سخرية ، من الاجيال التى ستقرا عنا اننا كنا نقلم الرؤوس كما نقلم اغصان الاشجار ، ولابد ان يشهق التلاميذ وتغرورق عيونهم الصغيرة بالدموع على اجدادهم الذين كانوا على هذه الدرجة من البربرية !! .



ليس دفاعاً عن العقاب

بقلم المحامى : موسى فهد



لايختلف اثنان فى ان الجريمة افراز اجتماعى ، يعكس رفض الفرد لبعض ضوابط المجتمع ، ووصف الجريمة بالافراز الاجتماعى يوضح لنا دوافعها التى غالبا ما تجد جذورها فى المجتمع نفسه ، ولكن الغاء دور من اخرج هذا الافراز الى حيز التنفيذ بارادة ، لا يستقيم مع العلاقة الجدلية بين الحب والمجتمع التى هى اعمق جذورا وارسخ اساسا من العلاقة الجدلية بين الحب والعقاب ، فالانسان اجتماعى بطبعه ، ولم يكن كذلك إلا للضرورة التى اقتضتها الحياة المشتركة التى تهدف الى البقاء والامن ، فقد كان حب الانسان لمجتمعه تعبيرا عن رغبته فى ترسيخ بقائه ، وليس نظرية « العقد الاجتماعى » التى جاء بها « روسو » إلا تصويرا منطقيا لهذه الرغبة فى البقاء المبنية اساسا على ضرورة اشباع الحاجات ، والجريمة بهذا المنظار لا تعدو ان تكون خروجا ارادياً على هذا الالتزام الهادف الى البقاء الآمن لكل فرد فى المجتمع .

ان القول بان الجريمة هى وليدة الظروف الاجتماعية قول مقبول بتحفظ فالظروف الاجتماعية هى الدافع للجريمة وليس صانعتها ، ذلك ان الجريمة كفعل لابد لها من ارادة ، وهذه الارادة هى التى تخرج الجريمة الى حيز الوجود ، والمجرمون فى مجتمع ما هم بعض مما تؤثر فيهم هذه الظروف الاجتماعية ، ولو كانت هذه الظروف هى التى تصنع الجريمة لالفينا غالبية المجتمع من المجرمين .

ان نظرية العقاب « كرادع » سواء كان الردع للفاعل بهدف عدم العود (كالسجن مثلا) أو كان المقصود بالردع المجتمع ممثلا بافراده ، نقول ان هذه النظرية قد بدأت منذ زمن طويل تفسح المجال لنظرية اخرى لتحل محلها هى « نظرية الاصلاح » ، فقد اصبحت فكرة اصلاح المجرم هى المعنية بالعقاب فى ايامنا هذه واصبحت فكرة الايلام الجسدى او المعنوى فكرة يتردد الكثير من صناع القوانين ومنفذيها فى قبولها إلا بالقدر الذى يحقق فكرة الاصلاح .

يؤيد هذا المنحى ان عقوبة الاعدام ـ وهى اخطر انواع العقاب ـ لم تعد مقبولة على المستوى الانسانى ، وان العالم يحث الخطى فى سبيل الغائها وان السجن قد اصبح مؤسسة تعليم وتاهيل وتقويم وتهذيب . وقد نجحت تجارب السجون المفتوحة حتى فى بعض المجتمعات النامية .

ان الدعوة إلى مجتمع ليس فيه سجون ومحامون وقضاة دعوة طوبويه كالدعوة الى وجود مجتمع بدون قوانين ـ (إلا إذا اغرقنا فى الفذلكة لنقول إن عدم وجود القانون هو فى حد ذاته قانون) ـ والقول بذلك يستلزم وجود مجتمع يتماثل ويتطابق فيه الافراد وانماط سلوكهم وتتساوى فيه رغباتهم وحاجاتهم ، الامر الذى يخالف التركيبة الخلقية الطبيعية لبنى البشر .

فكما لكل كائن بشرى تركيب « بصمات » يختلف عن سائر بصمات البشر الآخرين ، فلكل كائن بشرى رغباته وحاجاته التى تختلف فى الدرجة عن رغبات وحاجات الآخرين ، كما ان لكل كائن بشرى تفكيره وتقديره واسلوبه فى فهم الامور وقياسها ، الامر الذى يجعل من مؤسسة القانون الحاوية لمؤسسة العقاب ضرورة حتمية لبقاء المجتمع البشرى ، والقول بغير ذلك دعوة الى الفوضى .

إسلاميات

(● احمد عبد المقصود عجيلة
الحضرة البحرية ـ الاسكندرية

قرات بامعان شديد ما كتبه الدكتور « عبد الجليل شلبى » تحت عنوان « المستشرقون والاسلام » بعدد ابريل ١٩٨٠ من مجلة الدوحة الغراء حيث تعرض لنماذج من كتابات المستشرقين المسمومة تجاه الاسلام وكيف ان المبشرين يعتمدون على هذه الكتابات الحاقدة فى اداء رسالتهم الخبيثة .. ثم عرج على بعض التراجم الخاطئة للمستشرقين ومنها ترجمة للقرآن الكريم مشحونة بالاخطاء لكل من الكاتبين « بل واربيرى » هذا بجانب الافتراءات على شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فافتروا على الله كذبا .

والقرآن الكريم حدثنا عن حقدهم فقال :

« إن الذين كفروا ينفقون اموالهم ليحيدوا عن سبيل الله فينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون »

واسال المولى عز وجل ان تجد هذه القضية التى طرحها الكاتب المتابعة من المفكرين والكتاب المسلمين المنصفين لان المؤامرة علىَ القرآن الكريم والسنة الشريفة واللغة العربية الفصحى مازالت مستمرة ولها خيوطها المرتبطة بالاستشراق ، والتبشير ، والتغريب والغزو الفكرى والثقافى وكلها من صنع اليهود .. وهدفهم الحقيقى فى النهاية خلق اجيال تحتقر كل مقومات الحياة الاسلامية الاصيلة لذا فهم يعملون على تشويه القرآن والسنة والطعن فى الشريعة الاسلامية وإثارة الشبهات حول الاسلام ومحاربة لغة القرآن والعقيدة والثقافة لغة الالف مليون مسلم ..

ويمكن التصدى لهؤلاء الحاقدين على الاسلام والمسلمين عن طريق اجهزة متخصصة يقوم عليها دعاة متخصصون من كبار علمائنا المسلمين ويملكون ولو لغة اجنبية واحدة على الاقل لتمكنهم من دحض هذه الافتراءات

والتشويشات ليردوا كيدهم وليكشفوا زيفهم ، ولكى يبينوا للناس حقائق الاسلام النورانية الجليلة .

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

* احمد عبد المقصود عجيلة



● يوسف حمدين سالم
جامعة عين شمس ـ القاهرة

انتهز الفرصة لابلغكم اعجابى بما تتناولونه من موضاعات وقضايا تهم الفكر العربى كما تهم الانسان المسلم فى كل مكان ، وأناشدكم الافاضة فى تناول وطرح قضايا المجتمع الاسلامى فى مرحلة ظهرت فيها الحاجة ملحة لبلورة الشخصية العربية الاسلامية بوضوح ودقة حتى تتضح الرؤية أمام الشباب العربى الذى اصبح نهبا للغزو الثقافى من الغرب ومن الشرق معا وهو يستسلم لهذا الغزو دون أن يدرى أن الهدف الحقيقى هو محو شخصيتنا الثقافية والفكرية والتى إن تحددت معالمها لقامت بالدور القيادى الرئيسى فى رقى الانسان ماديا وفكريا فى وقت عجزت فيه الفلسفات المادية عن تحقيق تلك السعادة والرفاهية .

* يوسف حمدين سالم

(● احمد عيد عطيات
عمان ـ الأردن

اننى كشاب من الامة الاسلامية اشكر لكم جهدكم الذى تبذلونه فى ايجاد الوعى عند الشباب المسلم .. وذلك بما تقدمونه .. عن الاسلام فى مقالات عديدة ... ولاسيما مقالات السادة : محمد البهي وعون الشريف واحمد بهجت و انور الجندى وغيرهم ... وانا إذ اشكرهم ايضا ... إلا أن لى كلمة حق فى الموضوع الذى كتبه الاستاذ احمد بهجت فى العدد ٤٩ تحت عنوان (هذا المد الاسلامى الى اين يمضى) وقد اجاد الاستاذ احمد بهجت فى مقاله فاثابه الله ... إلا انه على علمه ووعيه الواسعين وقع فى بعض الهنات ومنها :

ـ التدرج فى التشريع .. ذلك أن الاسلام نزلت احكامه حلولا لمشاكل قد وقعت بالفعل .. ولم يكن من الممكن ان تنزل قبل حدوث تلك الوقائع (المشاكل) أما اليوم فالمشاكل واقعة ... فلا داعى للتدرج ولابد من تطبيق الشرع كله ...

ـ ما سماه الاستاذ احمد بالديموقراطية الحقيقية او جوهر الديموقراطية قائلا انه كان موجودا فى عهد الخلفاء الراشدين (رضى الله عنهم) ليس بصحيح .. فالديموقراطية لم ولن تكون فى الاسلام ذلك أنها مفهوم غربى تقوم على فكرة أن « السيادة للشعب » والحريات الاربع (حرية التدين ، والتملك ، والرأى ، والحرية الشخصية) هذه مخالفة للاسلام ... فالسيادة (حق التشريع) فى الاسلام هى لله عز وجل ...والحريات لا وجود لها إذ أن الاصل فى الافعال هو التقيد بالحكم الشرعى ، ومخالفة الحكم الشرعى هو مخالفة للشرع . أما الامثلة التى ضربها الاستاذ احمد كقصة (عمر والمراة) أو عمر والاعرابى والثوب وغيرهـا فهى من باب المحاسبة ... والمحاسبة هى اصطلاح اسلامى .. وهى فرض على الامة تجاه الحكام .

* احمد عيد عطيات

صفد .. زنبقة الجليل

تلقت المجلة العديد من الخطابات والمكالمات الهاتفية ـ من داخل قطر وخارجها ـ حول موضوع « صفد .. زنبقة الجليل »

وقد تركزت اهتمامات الاخوة والاخوات الذين خاطبونا على اتهامنا بالسهو والتقصير فى ذكر اسماء بعض العائلات الصفدية

اننا عبر عنوان « وجه مدينة من فلسطين » نحرص على تقديم اقصى ما نمتلك من امكانات محدودة لتقديم اوضح الصور وانقاها عن كل المدائن الفلسطينية ، وان ما نذكره من اسماء بعض أشهر العائلات انما هو بمثابة نموذج ليس إلا .

نبيل خالد الأغـا

العـالم العـربى



من حسين سعيد حسين عمار
جامعة المنيا ـ مصـر

هذه الرسالة محتواها اجلال للدوحة وموافقة فى الراى للاستاذ الدكتور محمد جابر الانصارى لما كتبه فى زاوية الراى فى عدد مارس ١٩٨٠ من الدوحة تحت عنوان « من المسالة الكروية إلى المسالة الاتحادية » .

إن الوحدة العربية لا شك اصيلة ..فالاسلام يجمعنا ..واللغة العربية تدمجنا .. والحضارة الواحدة تضمنا .. والمصير المشترك يوحدنا .. والهدف الواحد يربطنا .

فالطريق الى الوحدة سهـل وميسور ولكنه يحتاج إلى ذوى العقول المتفتحة المتزنة .. وإلى ذوى النوايا الطيبة .. وإلى ذوى القلوب الخيرة .. وإلى رجال يضحون بالمناصب والثروات والحكم فى سبيلها .. الطريق كما أرى يحتاج كما احتاج تحويل الهزيمة إلى نصر فى المباراة التى رويت سيادتكم احداثها وتقلباتها يحتاج الى تصحيح الأخطاء والافادة منها وترميم المتصدع فى المبنى وتعديل الصفوف وتغيير التفكير .

نعم كما تقول استاذى .. كل العرب مؤمنون بالوحدة والاتحاد ومباركيها ومباركوه .. مؤيديها ومؤيدوه .. ولكن ذلك على المستوى النظرى والكلامى فقط أما على المستوى العملى أو على المستوى التطبيقى فهى لم تصل حتى إلى مرحلة تمهيدية أو طور أولى او تفكير جدى .

حسين سعيد عمار

أزمـــة الإنســان المعـــاصر



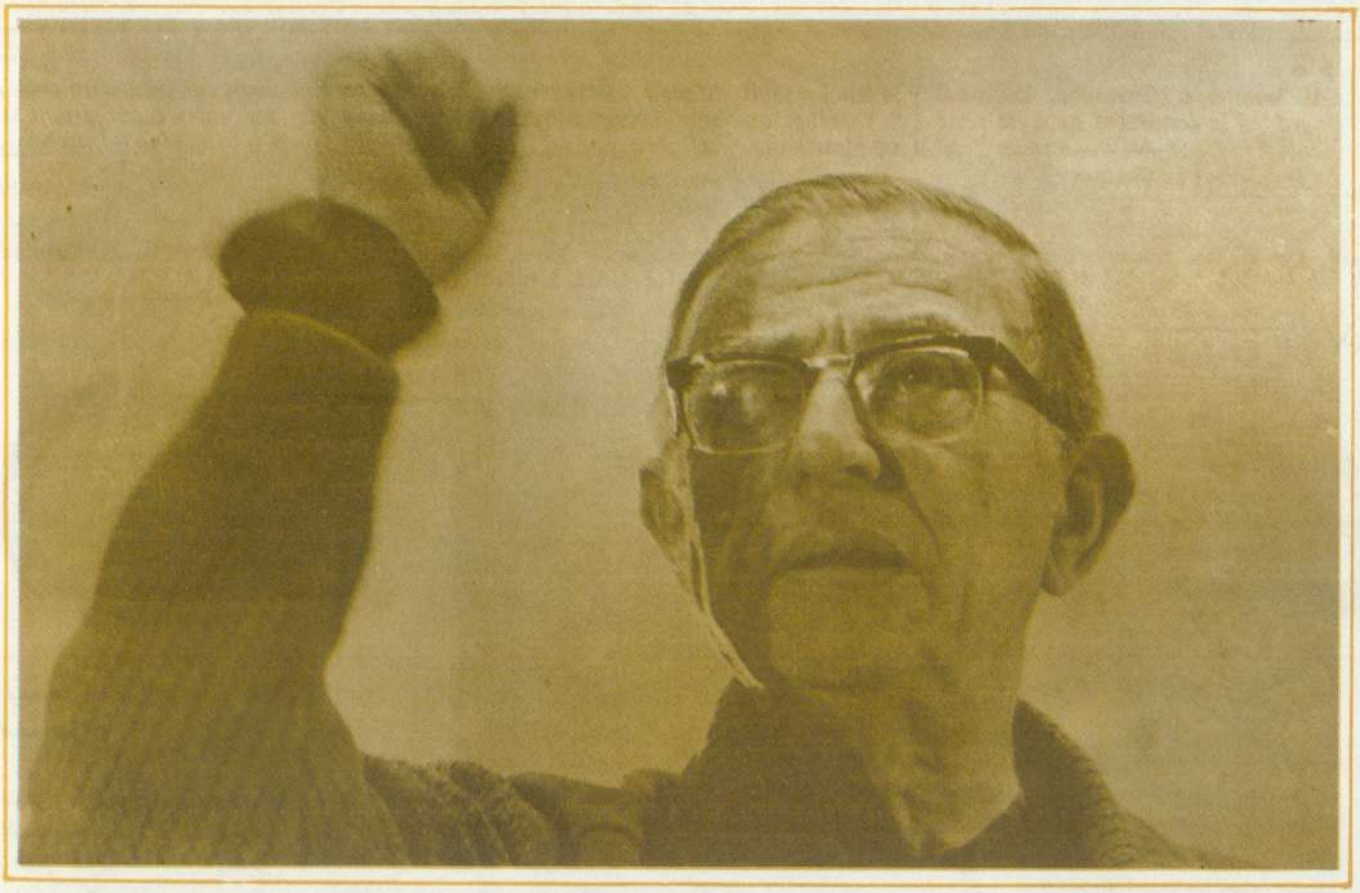
(● محمد احمد الحفنـاوى
القاهـرة ـ ج . م . ع

قرات باهتمام ما كتبه الدكتور عون الشريف تحت عنوان « ازمة الانسان المعاصر» وذلك نظرا لتعرضه لقضايا هامة من قضايا العالم الثالث اهمها قضية التحول المفاجىء من مجتمع تقليدى الى اخر حديث .

وإننى أود ان اوضح اهمية وخطورة اجهزة الاعلام فى الدول النامية كوسيلة اساسية لحل مشاكل الانسان الحضارية بشرط ان تكون هناك سياسة إعلامية متكاملة للمحافظة دائما على التوازن بين «ضرورة التجديد» و «الحاجة الى الاستمرار » .

ونظرا للفروق العديدة بين ظروف التطور فى كل مجتمع نام ، فيجب مراعاة انه فى كل مرحلة من مراحل النمو أو التطور تحتاج الدولة إلى سياسات إعلامية مختلفة تلائم طبيعة المرحلة والدولة معا . ولكننا نستطيع أن نقول أن الدول النامية تنتظر من اجهزة الاعلام فى النهاية أن تؤدى عدة مهام اساسية منها : العمل على تنمية الولاء القومى وتعليم الشعب مهارات جديدة مع غرس الرغبة فى التغير التدريجى نحو مجتمع متحضر . ومن الملاحظ ان الرغبة فى التغير والتطلع الى المستقبل لهاتاثيران هامان جدا . فاولا: تحث الناس لتحمل المصاعب لتحقيق حياة افضل . وثانيا : تهيئهم لمواجهة المسؤوليات الجديدة .

واخيرا لكم اطيب تحياتى ...
محمد احمد الحفناوى







الدكتور محمد إبراهيم الشوش

سارتر

هوس العصر وضميره ومرآة فراغه الروحى

- هل كان يؤمن بما يقول .. أم كان يستدرّ عطف الجماهير ويستغلّ التهاب مشاعرها ؟
- الأجيال التى استهوتها الوجودية .. كانت تعيش حالة من الانهيار الاقتصادى والسياسى والخلقى

فى منتصف الشهر الذى مضى ، وبالتحديد فى يوم الثلاثاء الخامس عشر من ابريل (نيسان) عام ١٩٨٠ ، توقف ـ إثر نوبة حادة ـ قلب واحد من أشهر فلاسفة العصر ، وأغزرهم انتاجاً ، وأعلاهم صيتا ، وأبعدهم تأثيرا فكريا وأدبيا وسياسيا وفلسفيا ، وأكثرهم اثارة للجدل والمعارك ، جان بول سارتر الفيلسوف الوجودى الفرنسى والروائى والكاتب المسرحى والناقد الأدبى والمحلل السياسى والصحفى والناشر ، عن عمر يناهز الرابعة والسبعين .

وبالرغم من إختلافنا الجذرى معه فى الكثير مما يدين به فكريا وعقائديا وأسلوب حياة ، وبالرغم من امتعاضنا من كثير من مواقفه المتناقضة المضطربة المتذبذبة والمتطرفة من قضايا العصر السياسية ، وبالرغم مما يصيب وجدانه الاخلاقى من عطب احيانا فى الحكم جعلته يقف فى خضم نشاطه السياسى المنفعل موقف المدافع والمبرر للتطهير والقهر الستالينى ، ومعسكرات العمل الاجبارى فى صقيع سيبيريا ، وواقع الاحتلال الصهيونى ، وبالرغم من فقدانه للكثير من مواقعه الفكرية والسياسية والادبية فى سنى عمره الأخيرة ، وبالرغم من انه هو نفسه قد تخلى عن كثير مما شغل به نفسه وشغل به الناس عبر اعوام طويلة ، وبرغم ميله الاستعراضى الذى جعله قبلة السواح يهرعون إليه من العالم القديم والحديث والنامى والنائم والمتقدم بآلات تصويرهم معلقة على اكتافهم ، يجوبون مقاهى الشاطىء الغربى فى مونبارناس وسان جيرمان دى برى ، لألقاء نظرة عليه ، وجعل جوقات الفلسفة ذوى اللحى من الشباب العاطلين المتبطلين ، الملوثة دماؤهم بعقاقير الهوس والجنون يتحلقون حوله اينما يذهب ويتخذونه اماما يروجون عنه الفاظا لا يعرفون لها معنى كالعبثية واللاانتمائية والوجودية والذات والاستلاب. ويرددون عنه مفاهيم حولوها الى شعارات سوقية مثل البرجوازية المتعفنة ، والحياة لا جدوى منها ، والآخرون هم الجحيم ، وحولت الوجودية من مذهب فكرى معقد التركيب الى موضوع اجتماعى تلوكه الألسن فى حفلات الكوكتيل وحانات باريس ، وتتشدق به حسناوات المجتمع الباريسى وهن ينفثن دخان سجائرهن من مقابضها الذهبية الطويلة .

برغم كل ذلك وربما بسبب بعض ذلك سيظل جان بول سارتر معلما فكريا بارزاً من معالم القرن العشرين لا يمكن تجاهله أو الغض من أهميته لأن تجاهل تأثيره هو تجاهل لخطره أيضا. كما أن حضوره الفكرى هو حضور واقع بالفعل لا مِنّةَ أو تشريفا نسبغه عليه من عالمنا البعيد هذا ونحرمه منه إن اختلفنا معه .

وما كان المئات من قادة الفكر وأرباب القلم الذين هرعوا بلا اعلان وبدون دعوة الى تشييع جثمانه ، وساروا وراء نعشه وهو يجوب شوارع باريس لساعات طويلة ليستقر فى مثواه فى مونبارناس من حواريه أومريديه بل كان اغلبهم ممن ناصبه العداء، وخالفه الرأى ، وما كان الآلاف الذين انضموا الى الموكب بصورة عفوية من اتباع فكره أو مؤيديه بل ربما لم يقرأ جلهم سطرا واحدا مما كتب ، ولم يستوعبوا الكثير مما اتيح لهم الاطلاع عليه من اعماله . ولكنهم جميعا كانوا يرون فيه منارة فكرية وإن لم يستضيئوا بنورها .

هو أيضا فرنسا

قال عنه شارل ديجول وهما فى أوج الخصومة والعداء ، رافضا فكرة اعتقاله من اجل موقفه المعادى للحكومة

- كان أشهر فلاسفة العصر وأعلاهم صيتاً وأكثرهم إثارة للجدل والمعارك
- حين تحولت مفاهيم الوجودية إلى شعارات سوقية
- كان وجدانه الأخلاقى يُصاب بالعطب أحياناً.. فيبرّر القهر والاحتلال
- السواح وجوقات الفلسفة من المتبطلين كانوا يتحلّقون حوله



أن مارى والدة سارتر



سارتر فى سن الثالثة مع والدته



سارتر فى عام ١٩٤٦



سارتر
طالب الفلسفة عام ١٩٢٤

الفرنسية بسبب موقفها من الثورة الجزائرية « إنه ايضاً يمثل فرنسا » .

والرئيس الفرنسى جيسكار ديستان والذى ظل هدف تهجم سارتر وسخريته ونقده اللاذع قال حين تلقى نبأ وفاة الفيلسوف المشاكس فى لغة عاطفية ما عرفت عن الرئيس الفرنسى : « اننى كقارىء شاب لمؤلفاته اثناء الحرب العالمية الثانية ، وبعد فترة التحرير أشعر بأن اختفاءه هو بمثابة خمود انوار الفكر الوقاد فى عصرنا . ففى ادراكه للتطور المأساوى للانسان تجاوب بتفتح ذهنى وأريحية نفسية ربما تكون قد عَبَّرت عن نفسها بشىء من الحِدّة والتصلب والتعسف أحياناً، ولكنها كانت صادقة مع نفسها ثائرة متجددة . وبرغم رفضها لكل التصانيف والقوالب الفكرية ، فرنسية الطابع والهوية » .

واعترف له رئيس الوزراء الفرنسى ريمون بار ـ خصم آخر من خصومه السياسيين ـ بانه من اعظم فلاسفة العصر .

وقالت عنه صحيفة (النيوزويك) الأمريكية فى عددها الصادر فى ٢٨ ابريل (نيسان) الماضى إنه أعظم المفكرين شهرة فى عصرنا هذا ، ووصفته مجلة (تايم) الصادرة فى نفس التاريخ بانه كان ـ خلافا لما عهد فى الفلاسفة ـ يملك اسلوبا سلساً رشيقا يحيل أكثر المفاهيم الفلسفية تعقيدا الى فكرة درامية واضحة . وبذلك أصبح سارتر فيلسوفا مؤثرا على جماهير عريضة فى فترة من التاريخ لم يعد للفلاسفة تأثير على أى انسان . وقالت صحيفة (التايمز) اللندنية عقب وفاة سارتر فى عددها الصادر فى ١٧ ابريل ١٩٨٠ بأن وفاته تعنى اختفاء واحد من أميز وانبغ الكتاب من مسرح الأدب والفلسفة والسياسة ، وأفول نجم واحد من أكثر الفلاسفة المعاصرين اصالة فى التفكير حملته أن يجمع فى محاولة فكرية جريئة بين آراء ماركس وفرويد وهسيرل وهيدجر وماو وماركوز فى اطار فكرى منسجم ومتكامل ، وان يؤثر بصورة مباشرة وجادة أكثر من أى مفكر غربى معاصر ـ فى تفكير معاصريه واتجاهاتهم . كما وصفته بأنه فرنسى فى اتقاد عاطفته وميله للفكر المجرد ، أوربى باتساع اهتماماته الشاملة لكل مناحى الفكر الغربى الاوربى قديمه وحديثه ، عالمى بتأثيره الفكرى العام ، وبما اثاره من اهتمام بمشاكل العالم ، واحاطة بتعقيدات العصر ، بصورة تجعل من المستحيل على أى كاتب مسرحى أو روائى أو فيلسوف أو عالم نفسى أو مفكر سياسى ، فى أى مكان فى العالم ، أن

- قال عنه ديجول : إنه أيضًا يمثل فرنسا.. ووصفه ديستان بأنه فرنسيّ الطابع والمزاج
- فرنسي في اتقاد عاطفته ، أوربي باتساع اهتماماته ، عالمي بتأثيره الفكريّ العام
- كان يريد لصوته أن يصل إلى مدًى لا تتسع له غرف المطالعة والدرس
- حين يترك الإنسان للآخرين تحديد ذاته يتخلى عن مسئوليته تجاه نفسه

يتحقق له إدراك حقيقي لمشكلات العصر دون أن يأخذ آراء سارتر في الاعتبار . ووصفته صحيفة (الايكونومست) في عددها الصادر في ١٩ ابريل ١٩٨٠ بأنه واحد من اقدم واشجع المناكفين والمشاكسين في مجالات الفكر والادب والسياسة .

مفتاح شخصيته

ولا شك أن وقتا طويلا سيمر قبل أن تفتر محاولات التنقيب في مكامن هذه الشخصية المتناقضة المعقدة ، المتشابكة الاهتمامات ، المتغيرة الاتجاهات والغريبة الاطوار.وربما كان مفتاح هذه الشخصية يكمن في المؤثرات الأولى المكونة لحياته وطفولته والتي تناولها في تفصيل معجز في سيرة حياته في كتابه (كلمات) الذي اصدره في عام ١٩٦٤ . ولكن ذلك لايكشف إلا حياته وهو دون العاشرة من عمره وقد كتبها بحكمة السن المتقدمة ، وتفسيرات الكهولة الواهمة .

والذي يعرفه الناس من تفاصيل حياته أنه ولد في باريس في ٢١ يونيو (حزيران) عام ١٩٠٥ من ابوين يختلفان في الجنسية والمعتقد الديني . ويقولون ان هذا المزيج المختلط قد أكسبه كما أكسب اندريه جيد قبله عنصر التطرف في حياته .

وعندما بلغ الثانية من عمره توفي والده الفرنسي الجنسية. يقول في ذلك حين يستولي عليه الصوت المزيف ، ويتقمص شخصية البهلوان الفكري وعينه على جمهوره : «لقد كانت وفاة والدي وانا في هذه السن المبكرة ضربة حظ بالنسبة لي فقد ابعدت عن حياتي شبح ذاتية طاغية مهيمنة كان يمكن أن تفرض على ذاتي الخاصة كيانا ودورا ليس لها،ولم تختاره بمحض ارادتها ». قال ذلك تحت تأثير فكرته عن الحرية الفردية المطلقة في الاختيار ، وما أكثر ما كانت تقوده الافكار المجردة الى القول المبتسر

بين الأدب والفلسفة

بعد وفاة والده عاش مع والدته الألمانية الاصل (آن ماري شفايتزر) ابنة عم الطبيب المبشر الشهير (البير شفايتزر) وتأثر بجده لأمه (كارل شفايتزر) استاذ اللغويات . هذه الصلة العضوية بالثقافة الألمانية بالاضافة الى اتقان اللغة الألمانية،ربما كانت من الاسباب التي جعلته يتجه الى الفلسفة الألمانية ينهل منها ويقتدي بها . فبعد حصوله على الشهادة الجامعية في الفلسفة والتدريس لبعض الوقت أمضى عاما دراسيا في المدرسة الفرنسية في برلين بين عامي ١٩٣٣ و ١٩٣٤ . ومكنته لغته الالمانية من استيعاب فلسفات هيدجر وجاسبر وهوسيرل . ولقد كان المزج بين فلسفة هؤلاء الثلاثة ، بالاضافة الى آرائه الخاصة ، ومفاهيمه حول الحرية والمسؤولية هي التي كونت مجمل فلسفته الوجودية التي اكتسبت شهرة لا نظير لها في الاربعينات والخمسينات .. ربما لأنه عمد الى أطر أدبية عدا المؤلفات الفلسفية المباشرة في حمل آرائه الى الجمهور .

فلم يكن سارتر بطبعه ميالا الى الانغلاق في برج الاكاديمية المرتفع ، إذ لم يحاول أبدا أن يحصل على اجازة الدكتوراه مطلقا ، ولم يسع ليكون استاذا جامعيا . كان يحب أن يصل صوته الى جماهير واسعة لا تتسع لها غرف المطالعة والدرس . فبالاضافة الى مؤلفاته الخمسة الجوهرية ، طور سارتر آراءه الفلسفية هذه في تسع مسرحيات واربع روايات .

فالى جانب اعماله الفلسفية كالمتخيل ١٩٣٩ والكينونة والعدم ١٩٤٣ حملت اراءه بصورة أكثر فعالية وأشد تأثيرا عدد من الروايات والقصص القصيرة اهمها : (الغثيان) ١٩٣٨ و (الجدار) ١٩٣٩ والمسرحيات مثل (الذباب) ١٩٤٣ و (جلسة سرية) ١٩٤٤ و (الأيدي القذرة) ١٩٤٨ ، وكتب النقد الأدبي مثل (بودلير) ١٩٤٦ ، و (القديس جينيه كوميديا وشهيدا) وسيناريو فيلم مثل (تمت اللعبة) ١٩٤٧ ، وكتيّبات جماهيرية مثل (الوجودية نزعة انسانية) ١٩٤٦ ، الى جانب مجموعة من المقالات الصحفية المبسطة التي كان يكتبها لمجلته الشهرية (الأزمنة الحديثة) التي انشأها في عام ١٩٤٥ ، وكذلك مقالاته الأدبية التي كان يكتبها في الفترة بين ١٩٤٧ ـ ١٩٧٢ وضمنها الاجزاء التسعة من (مواقف) . كان في كل هذه الاعمال يهدف الى التوجيه والدعوة لفلسفته . فقد كانت هذه في نظره هي رسالة الأدب لا رسالة له غيرها .

موقف فكري

وبرغم تعدد اهتمامات سارتر الفكرية والأدبية والسياسية كما سنرى فقد عرف واشتهر اساسا كمفكر وجودي . والوجودية لفظ شائع ، وربما كان من الصعب تحديده تحديدا

● لاشئ يضمن لنا النجاح ولا شئ يمكن أن يقنعنا بحتمية الفشل

● اللقاء الذى ارتد فيه سارتر عن أهم معتقداته وآرائه الفلسفية

قاطعا لكثرة ما تحمل من تعريف وتحريف . وهو يطلق على موقف فكرى . كما يطلق على حركة فكرية محددة فى اوساط عدد من المفكرين الأوربيين . ولم يكن سارتر برغم ما حظي به من شهرة كفيلسوف الوجودية ، هو مبتدع الفكرة أو الاسم . بل يدين للفكرة لعدد من الفلاسفة الألمان وبخاصة مارتن هيدجر، بل ويذهب البعض الى حد نفى أى قدر من الاصالة فى آراء سارتر الوجودية . وقيل أنه كان ينقلها حرفيا من الفلاسفة الألمان ومن باسكال على وجه الخصوص بعد أن يصوغها بأسلوبه الخاص .

واهمية الوجودية فكريا انها تقلب المفهوم الاساسى الذى ظل يسيطر على الفكر الفلسفى منذ افلاطون والذى يقول بأن الانسانية هى جوهر الانسان ، لتصل الى معادلة مبسطة مؤداها أن الوجود يسبق الجوهر أى بمعنى آخر (أن تعريف ذاتك يتحدد بما تفعل) فالوجودية هى اذن فى تبسيط شديد محاولة ايجاد معنى للأشياء من داخلها لا من خارجها .

وربما لم يكن سارتر مبتدع الافكار التى كان يدعو لها بل ربما لم يكن يؤمن بها أصلا كما اعترف ببعض ذلك فى آخريات حياته ، ولكنه قطعا هو الذى فتح ابوابها المغلقة للجماهير الواسعة ، وهو الذى منح كيانها المجرد اتجاها واقعيا ، وجعل منها برنامج عمل .

الحرية والمسؤولية

وملخص الفكرة الوجودية كما برزت فى كتابه (الكينونة والعدم) ١٩٤٣ ، أنه ليست هناك طبيعة تحدد ماهية الانسان وهويته ومساره ، وبالتالى فان الانسان هو وحده الذى يتحمل مسؤولية تحديد ذاته بنفسه ـ وهو يفعل ذلك فى كل لحظة عن طريق اختيار فعله بحرية كاملة . فالجبان هو الذى يجعل نفسه جباناً لأنه يختار بمحض ارادته أن يقوم بعمل جبان . والبطل هو الذى يجعل من نفسه بطلا لأنه وبمحض إرادته يختار أن يقوم بعمل بطولى . وهو يقر بأن الاختيار أو اتخاذ القرار إنما يتم فى اطار وضع ما ، ولكن الوضع نفسه يمكن أن يتغير بقرار ، وبالتالى يصبح هو نفسه جزءاً من مسؤولية صانع القرار . هذا الاختيار هو الذى يعطى القيمة للفعل ، وأى شىء لا ينفذ عمليا ولا يتضمن أى فعل هو شىء لا قيمة له. وبالتالى يؤكد سارتر بأن الانسان لا يستطيع أن يحدد ذاتيته عن طريق احلام لم تتحقق، أو آمال خائبة أو توقعات فاشلة . فالانسان حين يلقى اللوم على غيره إنما يتهرب من المسؤولية ويرتكب عملا مشينا وغير أمين، « يسميه سارتر سوء الطّويّة ». وكذلك يتخلى عن مسؤوليته تجاه نفسه من يترك شيئا ما خارجه، أكان ذلك زوجاً أو عدواً أو مجتمعاً يحدد له شخصيته فانه حينئذ يصبح آلة لا إنسانا ، وهذا يمثل اللعنة الحقيقية التى اصابت شخصيات روايته الرباعية (دروب الحرية) ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩ وكذلك شخصيات أشهر مسرحياته (لا مخـــرج) ١٩٤٤ ، والذين يدركون فجأة أن الجحيم هو الآخرون .

يقول فى (صورة ذاتية من السبعين) :

« ... إن التغيير القادم سيكون مختلفا عما سبقه ، سيكون مستمراً ودائماً وسيكون أكثر صرامة . سيكون هناك تقدم وتقهقر ونجاح ونكسات حتى يبرز فى النهاية مجتمع جديد يستغنى عن كل اوجه السلطة والنفوذ الخارجى لأن كل فرد فيه يملك السلطة الكاملة على نفسه . لا شىء يضمن لنا النجاح ولا شىء يمكن أن يقنعنا بحتمية الفشل » .

ولما كانت الحياة هى سلسلة من الاختيارات المستمرة فهى متجددة دوماً يمحو الحاضر فيها الماضى ويلغى المستقبل الحاضر . ويتصل بهذا الاطار الفردى المطلق الكامل ارتباط الحالة الانسانية ارتباطا لافكاك منه بحالة من اليأس والقلق والتشاؤم والاحساس بعَبَثِيَّةِ الوجود ولا جدوى الحياة ...

وقد وجدت هذه الأحاسيس طريقها فى كثير من اعماله التى اكتسبت صدى شعبياً كبيراً كرواية « الغثيان » ومسرحية « لا مخرج » ولقد كانت الوجودية لذلك تبدو للكثيرين فلسفة سلبية لا ترى للحياة معنى أو جدوى، ولكن سارتر يخالف ذلك ويدعى أنها بعكس ذلك تماما ، تحث الناس للعمل بأن تفتح أعينهم على مدى اتساع نطاق حريتهم ومسؤولياتهم تجاه تحديد مصيرهم . ورغم هذا الاحتجاج فلم يكن الوجه المشرق للوجودية ظاهراً للعيان بصورة مقنعة .



سارتر معلم الفلسفة مع زملاء فى كلية آفر ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥

- علاقة الأخوة والأسرة والعشيرة هى التى يجب أن نبحث عنها ونحققها فى مجتمعنا الآن
- لم يكن له عذر : كان يَعْرِف ، وكان يغضّ الطرف ، وكان يبحث عن التبرير

سارتر فى أوج مجده الادبى ١٩٤٦



كابوس الحرب

ولم يكن غريبا أن تجد هذه الافكار القاتمة المتشائمة غير المضيئة بنور الايمان صدى واسعا وتقبلا وانتشاراً فى أوساط الجيل الذى عاش فى الثلاثينات فى الغرب تحت ظلال جو سياسى كان يتدهور بسرعة مذهلة بعد الانهيار الاقتصادى الذى هز العالم الغربى فى عام ١٩٣٠ . فقد كانت الوجودية تتجه الى أولئك الذين كانوا يحسون بمقدم الفجيعة التى تحملها مخالب النازية وهى تلقى بظلالها الكثيفة على أوربا،بعد أن فقدوا كل الثقة فى الأطر والنظم الاخلاقية والسياسية التقليدية السائدة حينذاك . وكانت الوجودية تتجه أيضا بعد ذلك الى جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية والتى خرجت منها أوربا منهوكة القوى مضعضعة القيم،إنهارت أكثرها استسلاماً وتعاوناً مع قوى الباطل ، ما أستطاعت أن تصمد أمام زبانية هتلر والشر الشيطانى الذى أطلقه فى العالم . خرجت منه اوربا لا لتستقبل سِلْماً،وإنما لتواجه حرباً باردة تظللها سحابة دمار نووى شهد العالم بعض مظاهره . وفى البحث عن طريق الخلاص فى عصر انهارت فيه القيم وأصبحت كل الافكار ، كل الأطر التقليدية موضع شك أو تجاوزتها الأحداث . كانت الوجودية تبدو لكثير من هذا الجيل التائه الضائع ملاذاً لأنها ترفع المسؤولية عن كاهل مؤسسات لم تعد أصلا موضع الثقة لتضعها فى الانسان نفسه وهو الذى يتولى ايجاد المعنى والموقف الاخلاقى الفردى فى عالم لا يمنح تفسيرا لماهيات الاشياء فى نفسها .

التراجع الفكرى

والتساؤل الذى سيحدد فى النهاية الحكم على سارتر انسانا ومفكرا هو ، ما إذا كان سارتر صادقا مع نفسه فيما كان يدعو إليه ، أم أنه كان ممثلا حصيفاً وجد مناخاً لأفكار معينة ، فتبناها طلباً للشهرة وحبا للمظهر ؟ وبمعنى آخر : هل كان سارتر يؤمن حقا بما كان يدعو إليه ؟ .

إن ميل سارتر الطبيعى الى التظاهر والتمثيل كان واضحا منذ البداية ، وهذا الميل هو الذى اعطى للوجودية ذلك الاطار الشائع الذى لا صلة له بالفلسفة ذاتها وإنما هو مظهر من مظاهر انحلال القيم وتفسخها فى المجتمعات الغربية التى كان يمثلها نفر من الشباب ممن اسموا أنفسهم بالشباب الوجودى،بشعورهم الطويلة ولجاجتهم الفارغة فى مقاهى سارتر (لى فلير) و (لى دى ماجو) فى (سان جيرمان دى بـــرى) وفى مقاهى (الحى اللاتينى) .

وربما لم يكن لسارتر حيلة أو ذنب فيمن كانوا يتحلقون حوله ، أو يتحدثون باسمه وباسم الفلسفة التى يدعو لها . ربما ! ولكن سارتر قد عَرّى نفسه تماما فى مقابلة اجريت معه فى أخريات ايامه لا اعرف لها نظيرا فى تاريخ الفكر . وقد أجرى هذه المقابلة (بينى ليفى) استاذ الفلسفة الذى كان يلازم سارتر بعد أن اصيب بالعمى . وقد جرت المقابلة قبل فترة قصيرة من وفاته . وقد نقلت المقابلة صحيفة (الاوبزيرفر) البريطانية فى عددها الصادر فى العشرين من ابريل (نيسان) الماضى ١٩٨٠ .

والمثير فى هذه المقابلة أن سارتر يتنصل من كل معتقداته والتى تمثل حجر الزاوية فى فلسفته الوجودية . كما يعطى لاعتناقه لها ، أو إدعاء اعتناقها ، اسباباً مثيرة ليست بالقطع مما يشرف كاتبا فيلسوفا له صيت سارتر .

فقد انكر فكرته الأساسية والتى كانت محور مسرحيته (لامخرج) بأن الجحيم هو الآخرون ، بقوله : « إذا كنت قد تخلصت من التشاؤم المطلق المتضمن فى هذه الفكرة ، فلأن ذلك يعود فى المقام الأول الى اننى أحس فى نفسى

● رفض جائزة نوبل لأنه لايريد أن يكون أداة فى ساحة الصراع بين الشرق والغرب

● لم تزدهُ مواقفه المتطرفة إلا عزلة عن المجرى الفكرى الجاد

سارتر المحرض السياسى عام ١٩٧٠ فى مظاهرة عمالية



بحاجات محددة أدرك ايضا أنها حاجات كل انسان آخر » . وهكذا يدرك سارتر حقيقة بديهية هى اساس مجتمعنا الانسانى ، بأنه ما من انسان مهما بلغ شأنه يمكن أن يكون جزيرة معزولة . وقد عَبَّر سارتر عن تغيير موقفه هذا فى سلسلة مقالات اسبوعية كان يكتبها فى السنوات الأخيرة من عمره فى صحيفة (نوفيل اوبزيرفاتير)،إذ يقول فيلسوف الالتزام الفردى إنه كان مخطئا عندما اعتقد ان الجحيم هو الآخرون .

يقـــول :

« لقد جعلت كل انسان مستقلا أكثر مما ينبغى عن الآخرين من حوله فى نظريتى ولكنى ادرك الآن أن الشىء الوحيد الحقيقى هو ما يربطك بى ويربطنى بك . » .

وقد كشف فى مقابلته مع (ليفى) أنه وان كان يقف مهاجما كل قيم المجتمع البرجوازى إلا أنه كان فى حقيقة نفسه يتوق الى كثير من هذه القيم العاطفية البرجوازية كالأمل وعلاقات الأخوة، وارتباطات الاسرة والديمقراطية ، فقد اعلن فى شيخوخته عن اقتناعه بأن اليسار لم يعد موجودا ،وأن الطريق الديمقراطى هو الذى يجب أن يسود باعتباره اسلم الطرق التى يجب أن يعيش فى ظلها الانسان . بل ذهب به الحنين الرومانسى الى ذلك العالم ذى الكيان الاجتماعى البدائى البسيط غير المعقد ، والذى يقوم على روابط الاسرة والعشيرة . يقـــول :

« قبل آلاف السنين كانت الوحدة الاساسية هى العشيرة المتحدة العقيدة والهدف والاسلوب،وكانت العلاقات السائدة هى علاقة الأخوة والمحبة . وهذا هو الذى يجب أن نبحث عنه ونحققه فى مجتمعنا الآن » .

ولا تكمن الغرابة فى التغيير الذى طرأ على فكره فى بعض القضايا الجوهرية ، فذلك أمر طبيعى . ولكن الغريب هى الاسباب التى ساقها لهذا التغيير . فهو يؤكد أنه لم يغير افكاره بل هو أصلا لم يكن يعتنق ما كان يدعو له ، وانما فعل ذلك لأن تلك كانت بدعة العصر والنمط السائد . فهو يقول بأن هذه المفاهيم لم تنبع من داخله،ولم تعبر عن احاسيسه الداخلية ، ولكنها كانت مجرد موجة فكرية ركبها تظاهرا وحبا للشهرة . فقد ذكره (ليفى) فى المقابلة بأنه ــ أى سارتر كان قد اعترف بأن حديثه عن اليأس كان عابرا،وكان يمثل موقفا سطحيا ، لأن الحديث عن اليأس كان حينذاك شائعا فى الاوساط الثقافية وكان بدعة العصر،فأمن سارتر على ذلك بل ذهب الى القول بأنه شخصيا لم يجرب اليأس مطلقا . ولم يتخيل أن يكون لليأس ــ بأية درجة مهما كانت طفيفة ــ أى تأثير عليه،وانه انما فعل ذلك بتأثير (كيركاغارد) السائد حينذاك . وأضاف سارتر :

« كان ذلك هو نمط التفكير فى ذلك العصر . ولقد احسست أن هنالك شيئا مفقودا فى ادراكى وفهمى الذاتى لنفسى ، وهى التى جعلتنى لا أحس بهذا اليأس الذى يتحدثون عنه » .

● انصرف عنه الشباب والطلاب والعمال .. ثم أصيب بالعمى فاكتملت عزلته

● حين قال سارتر : لقد فقدت المبرر الوحيد لوجودى

وفى محاولته لايجاد تبرير لهذا الانسياق ، يقول :

« ... وقد لاحظت هذه الظاهرة بالنسبة للكثيرين من الفلاسفة . فقد تشغلهم فكرة فلسفية مافيتبنونها عن الآخرين حولهم فى المرحلة الأولى من تكوين فلسفتهم ، ويمنحونها حيزا كبيرا فى كتاباتهم.ثم يتخلون عنها تدريجيا حين يدركون ان الموضوع لاوجود حقيقى له بالنسبة لهم ، وانما التقطوه من الآخرين ، فأنا شخصيا لم اعرف القلق مثلا.ولكن القلق كان المحور الرئيسى للفلسفة بين عامى ١٩٣٠ ـ ١٩٤٠ وقد نبعت الفكرة من هيدجر . وقد يستعير الانسان هذه المواقف ولكنها لا تعنى شيئا بالنسبة لى . »

حتى المواقف السياسية بالنسبة له مجرد تكتيك ومحاولة لكسب جماهير معبأة اصلا . سئل مثلا عن تأييده لبعض العناصر المتطرفة فلم يقل أنه يؤمن بمبادئهم أو يؤيدها ، ولم يعمد الى الدفاع عن مواقف هذه الجماعات التى ساندها بكل قواه بل اعطانا سببا غريبا :

لم أكن اعتقد اننى ساغير العالم وحدى عن طريق افكارى لقد أدركت أن هناك حاجة ملحة لايجاد مستقبل للمجتمع . ولقد احسست بوجود قوى اجتماعية تحاول أن تبرز للوجود ، وقررت أن يكون موقعى فى وسطها . كنت فى حاجة الى مجموعة من الناس . لأن الانسان وحده أو بالاشتراك مع وحدات منعزلة متفرقة ـ لا يستطيع أن يهز كيان المجتمع ويقوضه،يجب أن يبدأ الانسان مع مجموعة من الناس لديهم القدرة والاستعداد للنضال » .

كل شىء ، كل احساس عَبَّر عنه كان يأتيه من الخارج لا ينبع من الداخل . حتى شيخوخته لا يحس بها إلا فى عيون الآخرين . فعندما سأله(ليفى)إن كانت الشيخوخة قد غيرت من مفاهيمه ؟ اجاب بالنفى ،موضحا ذلك بقوله :

« إننى افهم بمراقبتى للآخرين ما تعنى الشيخوخة لأولئك الذين ينظرون اليها من الخارج . وبالنسبة لى فاننى لا احس بتقدم العمر ولهذا فان شيخوختى ـ والتى لا وجود لها بالنسبة لى ـ لا يمكن أن تعلمنى شيئا . ولكن الذى يعلمنى هو نظرة الآخرين لى وموقفهم منى . وهكذا فان شيخوختى هى الآخرون ».

الالتزام السياسى

ولما كان الاطار الفلسفى لا يمنحه ذلك المنبر الجماهيرى الواسع الذى تتوق إليه نفسه المسرحية الهوى،فقد أخذت افكار سارتر تتجه بصورة متزايدة فى الخمسينات نحو العمل السياسى النشط.ومن ناحية أخرى كان سارتر يؤمن انه لا يمكن الفصل بين الحياة الفكرية والعمل العام . ويرى أن الجمع بينهما يشكل التزاما اخلاقيا . وقد عبر عن هذه الفكرة فى كتابه « ما هو الأدب ؟ » الذى اصدره فى عام ١٩٤٤ . وهكذا تميز الجزء الأخير من حياة سارتر بالانغماس الكلى فى المسائل السياسية . وربما كانت بذور هذا التحول قد بدأت مع

٢٠ يونيو ١٩٧٩ مع زميله المفكر ريمون ارون



الاحتلال النازى لفرنسا حينما تعرض للاعتقال فى عام ١٩٤٠ ثم اطلق سراحه فى عام ١٩٤١ حيث بدأ يكتب سرا فى صحف المقاومة . وقد كتب فى هذه الفترة مسرحيته (الذباب) عام ١٩٤٣ . وبالرغم انها تمثل ظاهريا إعادة صياغة (مأساة أخيل) إلا أنها كانت تحتمل مغزى سياسيا يؤكد بأن أى عمل من اعمال المقاومة ضد الاحتلال النازى ، حتى وان تضمن ارتكاب جريمة قتل ، هو عمل مُبَرَّر فى طريق النضال من أجل الحرية . وقد ادركت قوات الاحتلال مغزى المسرحية فأمرت بمصادرتها .

بيد أن تحوله الى الميدان السياسى قد برز بوضوح كما إتضح موقفه السياسى العام فى اوائل الخمسينات ،حين نشر روايته (الشيطان) ١٩٥١ ، وانفصل فكريا عن صديقه وزميله البير كامو ، بسبب هجوم الأخير على الشيوعية والقهر الستالينى فى (الانسان الثائر) الذى نشره عام ١٩٥١ وخاصم لنفس السبب صديقه الآخر وزميل دراسته موريس مارليو بونتى .

ولم يكن غريبا أن يكون خطه السياسى العام ، متمشيا مع مناخ العصر وروحه ، ومع تكوين شخصيته الميالة الى الاستعراض والتطرف وابتداع التقليعات والبدع ، تمجيد اليسار وتبرير أعمال المعسكر الاشتراكى ، وبالتالى معارضة أمريكا وحكومات الدول الغربية معارضة مبدئية ، والهجوم المنظم والمستمر والثابت على كل مُسَلَّمَات الطبقة البرجوازية المتوسطة وقيمها وأسلوب حياتها ، والتى كان يراها من اشد اعداء الحرية والأمانة الخلقية .

وكما كانت مبادىء الوجودية من قلق ويأس ولا جدوى وتغريب هى بدعة العصر المحببة ، كانت كذلك هذه المواقف السياسية بدعة العصر ولعبته السياسية المفضلة ، ومعايير واقف المشرفة التى هى سمة المثقف إن تحدث أو كتب أو


سيمون دى بوفوار فى عام ٥٨


مع سيمون دى بوفوار سنة ٧٠

خطب . ولم يكن سارتر من الذين يمكن أن تغيب عن حَدْسِهم الجماهيرى حلاوة الحكم على الدنيا وعلى الاشياء من هذا المنطلق الديماغوجى الذى يبسط الأشياء والأمور،والذى يستهوى قلوب الشباب ويشعل خيالهم .

وإذا كان المناخ الفكرى فى انجلترا فى الثلاثينات قد سار فى هذا الاتجاه ، وجذب نحوه رجالا مثل (ستيفن سبندر) و (اودن) ، فقد كان لهم عذرهم أنهم كانوا يعيشون تحت ظل تهديد نازى ، ولم تتكشف لهم بعد حملات التطهير ومعسكرات العمل . لكن سارتر وهو يسير فى نفس الاتجاه فى الخمسينات لم يكن له من عذر.كان يعرف وكان يغض الطرف وكان يبحث عن التبرير . قال عن ذلك العنف الذى رفض أن يدينه : « .. انه لا يعدو أن يكون مرضاً عارضاً كالذى يصيب الاطفال عادة ثم يتجاوزونه».

وفى غمرة هذا الحماس المندفع عاد من الاتحاد السوفيتى بعد رحلة رسمية قصيرة فى عام ١٩٥٤ ليعلن فى صحيفة جماهيرية مسائية بأن الاتحاد السوفيتى هو البلد الذى يتمتع بالحرية المطلقة،وهو القول الذى تبرأ منه فى أخريات حياته حين قال فى مقابلته مع (ليفى) اننى احسنت الظن آنذاك أو ربما منعت نفسى من أن اسىء الظن .

ولم يفته فى تلك السنوات أن يمتدح ثورة الصين فى عام ١٩٥٥ وثورة كوبا فى عام ١٩٥٩ . لكن ضغط الأحداث السياسية وخيبة الأمل كانت أقوى من تبريراته وتعاطفه . ومن هنا اضطر الى شجب الغزو السوفيتى للمجر فى عام ١٩٥٦ ولبراغ فى اغسطس ١٩٦٨ ، ولأفغانستان عام ١٩٧٩ . حتى أنه كان أكثر تصلبا من الحكومة الفرنسية نفسها إذ أيد بكل قواه دعوة الولايات المتحدة الأمريكية لمقاطعة دورة موسكو للألعاب الاولمبية . بل ذهب به الحنق فى عام ٦٨ حين غزا الاتحاد السوفيتى تشيكوسلوفاكيا الى القول بأن «الاتحاد السوفيتى قد اصبح العدو الاكبر للاشتراكية وأن على شعوب أوربا الشرقية واجب المقاومة بكل ما أتوا من قـــوة . » .

ولقد شهدت الستينات ظهور أهم اعماله الفلسفية السياسية وهو كتاب « نقد العقل الجدلى » الذى صدر عام ١٩٦٠ ، والذى حاول فيه أن يمزج بين الوجودية والماركسية . كما شهدت مواقف سياسية علنية ودرامية ارتبطت بسارتر . ففى عام ١٩٦٠ كان من أشد المعارضين للحكومة الفرنسية فى محاولاتها قمع الثورة الجزائرية ، وكان يدين أساليب القهر والتعذيب التى كان يمارسها الجيش الفرنسى فى الجزائر معرضاً نفسه لمغبة الاعتقال ، ولكن ديجول رفض أن يمنحه هذا الشرف .

وفى عام ١٩٦٤ وقف موقفا مشهودا حين رفض جائزة نوبل للآداب باعتبارها تمثل نمطا من التفكير والممارسة البرجوازية التى يبغضها ، وهو نفس السبب الذى جعله يرفض من قبل وسام الشرف الذى منح له فى عام ١٩٤٤ على إثر تحرير فرنسا . كما رفض أن يعرض أيا من اعماله للتقويم من قبل أية هيئة تحكيم لمنح جوائز ، وهو التقليد الذى كان سائدا فى الوسط الأدبى فى فرنسا . ولقد كان التبرير الذى اعطاه لهذا الرفض أنه لا يريد أن يكون أداة فى ساحة الصراع الثقافى بين الشرق والغرب.وقال بأن الكاتب يجب أن يرفض أن يحوله الآخرون الى مؤسسة .

وفى عام ١٩٦٥ سجل أول اعتراضاته ضد سياسة أمريكا فى فيتنام وذلك برفضه العلنى للدعوة التى وجهتها له جامعة (كورنيـل) بالولايات المتحدة لالقاء محاضرات فيها . وعلى مدى السنوات الثلاث التى تلت ذلك ظل موضوع (فيتنام) بالذات شغله الشاغل . ففى سنة ١٩٦٦ قبل دعوة برتراند رسل لعضوية (هيئة المحاكمة الصورية لجرائم الحرب الامريكية فى فيتنام) التى عقدت فى (استكهولم) . ولقد لعب دورا بارزا ورئيسيا فى هذه المظاهرة !لاعلامية الكبرى التى انتهت بادانة امريكا بارتكاب حرب إبادة فى فيتنام . وحتى لا تحيد عنه الاضواء الكاشفة لحظة واحدة ، اعلن سارتر فوق ذلك وفى نهاية الجلسة الأخيرة بتطرفه المعهود ان جرائم أمريكا ضد الفيتناميين شبيهة بجرائم النازية ضد اليهود .

التطرف والعزلة

ولقد كانت احداث الحركة الطلابية العنيفة فى مايو عام ١٩٦٨ نقطة تحول فى تفكير سارتر ونشاطه السياسى ، فقد تضافرت عوامل كثيرة : فشل الحركة،واحساسه بالعزلة عنها،وانصراف الشباب عنه،لدفعه الى مواقف شديدة التطرف كان اهمها تأييده للحركات الماوية المتطرفة وبعض النشاطات الطلابية،وهجومه المطلق على الثقافة باعتبارها نشاطا برجوازيا لا قيمة له .

كان يحاول عبثاً أن يستعيد نضارة الأيام الأولى حين كان محط انظار الشباب ، وذلك باتخاذ مواقف سياسية متطرفة لم تزده إلا عزلـة وابتعـاداً عـن المجـرى الفكـرى العالمى الجاد ، وكان أكثرها جسارة تأييده العلنى لأندرياس بادر احد زعماء حركة (بادر ماينهوف) الارهابية المعروفة .

وهكذا بدأ سارتر يفقد الحدس الذى جعله ينجح فى تجميع الشباب من حوله .. وربما كان احد اسباب ذلك عدا التغيير فى المناخ الفكرى والسياسى العالمى حيث لم تعد شعارات اليسار هى المسيطرة على الوسط الفكرى ، إلى ذلك التحول الاساسى فى فلسفته الوجودية والذى برز فى كتابه (نقد العقل الجدلـــى) ١٩٦٠ حيث اختفى الانسان الفرد فى خضم مجموعات كبيرة . وهو التحول الذى عبرت عنه (مارى وارنوك) الناقدة الانجليزية بقولها : « .. ان الهدف المطلوب لم يعد فردياً وإنما هو الحرية السياسية .. » .

ولما قامت حركة الطلاب فى ١٩٦٨ كان بريق آرائه ومواقفه قد خبا ـ ووجد ـ سارتر ـ نفسه ـ بعيدا عن الاحداث لم يأبه





سارتر مع سيمون دى بوفوار
فى عام ١٩٤٨ وفى عام ١٩٧٨

له احد من القائمين بالحركة ، لدرجة أنه أضطر الى أن يرسل رسالة الى « دانيال باندیت » احد زعماء الحركة الطلابية ليسأله إذا كان وقته يسمح بزيارته ليوضح له ـ أى لسارتر ـ الأبعاد الحقيقية لهذه الحركة الطلابية .

وحتى طبقة العمال التى صرف وقته وجهده للدفاع عنها قد انصرفت عنه بدورها الى حد أنه تعرض فى عام ١٩٧٠ لهتاف معاد ومهين من عمال مصنع سيارات (رينو) فى (بيلانكو) حين ذهب إليهم محاولا كما يقول تكوين الصلة بينهم وبين القوى الطلابية .

وفى عام ١٩٧٤ اكتملت مظاهر العزلة المضروبة حوله حين اصيب بالعمى،واضطر الى التوقف كلية عن الكتابة يقـــول :

« ... لقد فقدت بذلك المبرر الوحيد لوجودى » وفى مقابلة صحفية حديثة أجريت معه وصف حياته الجديدة باقتضاب :

« ... اننى أمشى قليلا ، وتقرأ لى الصحف ، واستمع الى المذياع واحاول متابعة مايجرى على شاشة التليفزيون بأذنى . وكلها نشاطات لقتل الوقت ، فقد كان الهدف الوحيد لحياتى أن أكتب . » .

ولقد كان منظراً مألوفاً ومحرجاً فى الوقت ذاته أن يرى الناس كل يوم أحد،رجلا عجوزا هو من أكـبر مفكرى العصر فى فرنسا ، رجلا كان ملء السمع والبصر ، وكان الناس يتكالبون على مجرد رؤياه ـ يسير متكأ على ذراعى صديقة عمره سيمون دى بوفوار ليتناول طعام غدائه فى مطعم (لاكوبول) ـ فى (مونتبارناس) دون أن يفطن إليه أحد أو يأبه لمرآه احد .

عن المستقبل

وسيظل السؤال قائماً .. ماالذى يبقى للمستقبل من تراث سارتر ؟!

ان القضايا التى كانت محور تفكير سارتر والنظريات التى جهد فى استخلاصها ، لم يكتب لها أن تعمر طويلا بعد السبعينات . بعضها تخلى عنها صاحبها فى حياته ، وشاهد موتها بعينيه . وبعضها تجاوزه الزمن وقزمتها الاحداث . والكثير منها اثبتت الايام خطلها وفسادها .

ولأن الوجودية التى رفع لواءها تقوم على اساس فكرى واه ، وفـراغ روحى عقيم . فلم تكن أكثر من مجرد بدعة عصر مؤقته ، إنصرفت عنها الجماهير ولفظتها بنفس السرعة التى اقبلت بها عليها. فما عاد يدين بها اليوم إلا نفر قليل يتقلص يوماً بعد يوم بعد كان يجهر باعتناقها من يفهمها ومن لا يفهمها . وقد عبرت عن ذلك ربما فى قسوة (مارى وارنوك) حين قالت فى مستهل عام ١٩٧٠ « ... بأن الوجودية لم يعد لها وجود،وانها قد استقرت نهائيا فى سلة القاذورات » وتوضح بشعور التعالى الذى يحسه البريطانيون تجاه الفرنسيين عادة : « ان الفرنسيين مغرمون عادة بالأفكار المهووسة،والمفاهيم المجردة،وقد وجدوا ضالتهم الآن فى (ليفى ستراوس) فاتخذوه بديلا لسارتر » .

وسارتر نفسه يحاول فى شيخوخته ان يحكم على هذا الدور المستقبلى حين رد على السؤال الذى طرح عليه ما إذا كان قد حقـق احلامـه التى راودته حين بدأ الكتابة يقول :

« أعتقد أننى من الناحية الميتافيزيقية قد فشلت . أعنى أننى لم استطع أن اخلق اطارا فكريا أو أدبياً متكاملا يمكن أن يصمد فى وجه الزمن كما فعل شكسبير أو هيقـل .... واعنى اننى فشلت بالمقارنة لما كنت اريد أن أحققه بالفعل .» ثم استطرد :

« ولكن اجابتى هنا تبدولى كما لو كانت مزيفة . فأنا بالطبع لست شكسبير،ولست هيقـل،ولكننى قدمت اعمالا صغتها بقدر ما استطعت . بعضها كان فاشلا ، وبعضها كان دون ما أردت ، وبعضها حقق نجاحاً ، وهذا يكفينى ... واعتقد اننى استطعت أن افعل كل الذى قدرت عليه،وهذا فى حد ذاته انجاز ... وسيبرهن المستقبل خطـئى فـى كثيـر من آرائى . وكل الذى اتمناه ان يصمد بعض ما توصلت إليه من نتائج لأختبار الزمن » .

ربما لا تتحقق أمنية سارتر فى أن تصمد افكاره لمنجل الزمن القاسى ، ولكن التاريخ سيذكره لا كمنظّر لعصـره ، ربما ! ولكن حتما كأنسان ـ قد يختلف الناس معه ولكنه كان متوقـد العاطفة مهتمـا ، ومناضلا من أجل ما يؤمن به يعيش وفق ما يؤمن ، لا ينافق . رافضا أن يكون مجرد متفرج صامت على احداث العصر . وقد وصف لذلك بأنه كان ضمير هذا الجيل . وربما اعطاه ذلك أكثر مما يستحق . فقد كان حدسه يخيب كثيرا فى تقويمه لأحداث العصر التى كان يتصدى لها ، كما خاب فى اطار الفلسفة التى شاء أن يعتنقها ، ولكنه بلا شك كان مصدر اثارة فكرية موقظة للقوى السلبية فى المجتمع . ولقد جعلته هذه الاثـارة أكثـر النـاس تعرضا للحب والكراهية فى عصره ، كما كان روسو وفولتير وزولا فى عصرهم . ولقد شاء أن يتحمل مسئولية آرائه خصاماً وعزلة وخيبة أمل،ولم يستسلم لليأس حتى وهو يرى موج الزمن الطاغى يغطى على كثير من آرائه التى كان يدعو لها . قال فـى عام ١٩٧٨ :

« أعرف اننى سأموت وأنا مليء بالامل . اعنى الامل فى حدوث ذلك التغيير الذى سيحقق مجتمعاً افضل وأكثر عدلا . عندما يكون الانسان على علاقة طيبة مع أخيه الانسـان » .

د. محمد ابراهيم الشوش

التقدم بين جدلية العقل والأش

د. حافظ الجمالى



كان لنا فى اوائل الخمسينات (من هذا القرن طبعا) أستاذ فى السوربون يدرس مادة الفلسفة العامة والمنطق . وهو استاذ مشهور اسمه بواربيه . وكان من بين الاساتذة المشاهير الذين استمعت الى دروسهم ، وليسوا بقلائل ، الاستاذ الوحيد المتفرد بشيء خاص به ، أو بعدة أشياء على الأصح . ومن خصائصه هذه انى كنت استمع الى دروسه ، فأشعر كأن هناك فى كل جملة من جمله ، سهما من الضوء يسقط علي وأن جمله مجتمعة لاتزيد على أن تكون جملة سهام مضيئة تلقى علي . يضاف الى ذلك أنه الوحيد الذى آتى لأسمع درسه ، فاذا به ، أحيانا ، يكرر محاضرة سبق لنا أن سمعناها منه فى الأسبوع السابق . وكان يمهد لذلك بقوله : (أعيد محاضرة الاسبوع الماضى ، استجابة للطلبات الكثيرة التى انهالت علي ، حول ضرورة إعادتها ، أو رجاء إعادتها على الاصح .

وفى كثير من المرات ، كنت استمع منه الى ملاحظة تتكرر ، لاسيما عند المقابلة بين نظريتين متناقضتين فى أمر من الأمور . فالمعرفة مثلا هى إما بنت العقل ، وإما بنت التجربة.والحقيقة انها بنت الاثنين معا ولكن يأتى من يؤكد بالدرجة الاولى على أهمية العقل ويصبح ذلك نظرية (العقليين) . ويأتى بعده ، وردا عليه ، من يؤكد على أهمية التجربة ، فيصبح ذلك نظرية (التجريبيين) . ولكن يظهر بعد التمحيص أن الذى قلل من أهمية التجربة ، قد بالغ ، كما أن الذى قلل من أهمية العقل قد أفرط ، فنعود من ذلك الى نظرية (الحس السليم) التى ترى أن لكل من العقل والتجربة أثره فى إنشاء المعرفة . وما النظرية كلها إلا إفراط بدرجة معينة ، فى تغليب عامل على آخر ، يفهم منه فى النتيجة أن عاملا واحدا هو كل شيء . وأن العامل الآخر لا شيء ، مما يؤدى الى ألف صورة من صور سوء التفاهم والجدل الحاد والعقيم معا.

وكل ماأريد هنا هو القول أن الكثيرين

يرون أن التقدم الحضارى منشأ عن الانسان ، وعقله . ورده الناجح على التحديات المعتدلة القوة (مثل توينبى) ، كما أن كثيرين آخرين يرون أن هذا التقدم نتيجة الأشياء الخارجية . أو المؤسسات ، أو الأنظمة ، أو القوانين أو التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية . وكل من الفريقين يستند إلى نظرية قال بها أحد اللامعين المشهورين ، إلا أنه لا يلبث أن يبسطها تبسيطا لا شك أن صاحبها لم يرده كل الارادة ، ولكن سيق إليه ، بحكم رد الفعل . فاذا بنا تجاه جدل يتكرر المرة بعد المرة ، والجيل بعد الجيل ، وبعنف عقائدى أحيانا يصل الى حد التكفير . فاذا أنت لم تقل بأن التقدم وليد طبيعى لتشكيلة اجتماعية اقتصادية ــ معينة ، فكأنما كفرت بالله ، والعياذ بالله وهدفنا فى هذا البحث أن نخوض فى هذا الجدل العقيم مع الخائف ـير ، لا لأننا نرى أية فائدة فيه ، ولكن لأنه أمر لابد منـه . فبعض النظريات سرعان ما تنقلب إلى ــ دين ــ له آلهته ، وطقوسه ، وصلواتـه ، وعباداته وتسبيحاته ، ويكون نوعا من الكفر أن لا تقبل به . ولئن هان عليك أن تشعر بعقم الجدل مع المؤمنين بـه ، فلن يهون عليك أبدا أن ترى هذا الدين يسود ، وتعلو كلمته ، لأنك تعرف بالتجربة أن ما فيه من انحراف ، سيؤدى بك الى جهنم ، أو سيجعلك وغيرك من الناس كائنا مسحوقا ، لا قيمة له إلا أنه من التراب وإلى التراب يعود .

قراءة النظرية

وأقرأ منذ مدة مقالا فى عدد أسبوعى راق لمجلة بيروتية مقالا للدكتور خليل النعيمى بعنوان مثير : الحل ليس فى الديمقراطية ... وأجد فى النهاية اسم الكاتب واختصاصاته وهى حقا جديرة بالاحترام و الحفاوة . فالرجل عضو فى الجمعية الجراحية الفرنسية ، وماجيستير فى الفلسفة المقارنة . وهكذا جمعت لـه الامجاد من أطرافها ، فلا العلم ينقصه ، ولا الفلسفة غريبة عنه وبالتالى فان لآرائه التى تذاع على الناس قيمة يجب الا تكون قليلة . وحتى لا يشعر أحد بأن ما أقوله فى هذا المقال ينبىء عن كراهية خاصة للأفكار ، أو تحسس من نوع ما تجاه الأسلوب ، فان على أن أعلن أن المقال ، كمقال ، أعجبنى ، وراقنى ما فيه من ثقافة ، وفكر ، وقدرة على انتقاء التعابير . وابتكار مصطلحات وجدتها موفقة ، منها مثلا قوله ذرر المجتمع بمعنى أنه جعله ذرات متناثرة ، أو قوله : لتكن الدولة العربية وطنية ، أو تقدمية ، أو اشتراكية ... إنها ليست بعد إلا مستبدة . وليس التعبير هو الذى يروقنى فى الجملة الأخيرة ، بل هو الأشارة الى حقيقة ظاهرة ، ولو أنصف الرجل أكثر مما فعل لقال : لتكن الدولة ديمقراطية ، أو ديكتاتورية ، تقدمية أو رجعية ، أشتراكية أو أقطاعية ، إنها ، فى كل الاحوال ، لن تكون إلا مستبدة ، فى الوضع العربى القائم اليوم .

ويتضح من مطالعة المقال أننا أمام ثلاث افكار أساسية .

١ــ أولاها أن العربى مستبد حتى بنفسه ، وأن هذا الاستبداد معمم أو مؤمم ، ــ وأنه يتميز باستمراريته الطويلة ، وأنه لم يقف عند حد الاستبداد بالبعد الجسدى للفرد ، بل مضى إلى الاستبداد حتى بثروته . مما منع تراكم الثروات الذى كان سينشىء الطبقة البورجوازية ويؤدى حتما الى التمايز الطبقى ، فالصراع بين الطبقات ، فالانتقال بالأمـة من المفهوم القوى الساكن ، البعيد عن الصراع السياسى ــ الاجتماعى العميق والمتقوقع فى مشروع أدبى نافل ــ مبنى على العاطفة القومية ووقائع التاريخ النائية والاخلاق ، إلى المفهوم الممارس ــ الحركى ، المتنامى المستند أساسا إلى فاعلية القوى المنتجة ، والنابع من مصلحتها المباشرة.

٢ ــ إن الاستبداد المؤمم والمعمم ، دعم نفسه بالطبقة المثقفة ، وبالمجاملين من رجال الدين ، والزمهم جميعا بالتجالف مع النظام والدفاع عنه مما أدى إلى النتيجة نفسها : أى سكونيـة الأمة ، وركودها ، وانقطاعها عن حركة التقدم .

وبالتالى فان الحل لن يكون بالديموقراطية التى نشأت فى أوروبا فى ظروف تاريخية خاصة من التطور الاقتصادى ــ الاجتماعى كالثورة الصناعية ، والنهضة العلمية ، والتطور السياسى ، لأن هذه الظروف لن تتكرر فى مجتمعنا . ومن جهة أخرى فان الديمقراطية ، القائمة مبدئيا لتحقيق العدل ، قد تآكلت الآن ، وحلت محلها دولة البوليس المصنعـة المبنية على القمع المعقلـن والمقنن ، ولهذا فان الاستبداد الذى يشكو منه العربى ومن استمراريته ، وتجميده لحركة التقدم ، لن يزول بالجرى وراء سراب الديمقراطية البورجوازية ، بل بالعمل لانشاء ديمقراطية اجتماعية مباشرة(كاملة) تؤسس فعلا ، علاقات اجتماعية جديدة غير مبنية على مبدأ السيطرة ، وتحرر حقا طاقات الفرد . لاسيما وأن كلا الطموحين: الطموح الى تحقيق الديمقراطية البرجوازية والطموح الى تحقيق الديمقراطية الكاملة ، يقفان على بعد واحد منا ، وليس أحدهما بأسهل منالا من الآخر . ومادامت القضية قضية ..منى.. أو .. أمان .. أو أحلام مثالية .. أو طوبائية ، فلن يرهقنا أن نطمح إلى أعلى الأعالى ، مادام هذا الطموح لا يكلفنا جهدا أكبر من الجهد الضرورى للطموح إلى ما هو أدنى من هذه القصور الاسبانية .

أفكار لا شخصية

هذه هى أفكار الكاتب أنقلها بأمانة ، هى ما أستطعته من الأمانة . ولئن كنت اناقشها ، فليس ذلك لأنها أفكار شخصية أو من بنات أفكار الكاتب ، كما يقولون ، إلا أنها أفكار لا شخصية تنحدر من عقائدية معروفة لا يصعب على أحد أن يعرف هويتها ، ومن جهة أخرى ، فأنا لا أدعى كذلك اننى ارد عليها بتفكير شخصى محض . ليس لى منه إلا القليل ، أفضـل التآليف والجمع على الأكثر ، بل أرد عليها بتفكير شائع لدى من لا يقبل هذه النظرية ، أو يراها شديدة الافراط فى التأكيد على جانب واحد من جوانب الحقيقة ، لا على كل الجوانب ، مما سيعيدنا من جديد الى انكار (بواريه) الذى يلاحظ أن كل النظريات المتعارضة تسرف فى التأكيد على عامل واحد من عوامل الحقيقة ، وتهمل ماعداه ، وأن الناقديـن سيلاحظون هذا الاسراف من جانب وآخر ويعودون من ذلك كله إلى الرأى السليم الذى يعطى لكل عامل حقه ودون أن ينسوا طبعا أن المؤمنين بأية نظرية ينسون أو يذهلون منها عن جانب (رد الفعـل) فيها ، ويبسطونها بأكثر مما أراد أصحابها ، بحيث يتنـاول الـرد والنقـاش لا أصحـاب النظريات الأوائل أو المبتكرين بالدرجة الأولى ، بل يتناول الآخذين أو المؤمنين بهذه النظريات ، واقعين منها على عناصر أفقر دوما مما احتوته فى الأصل .

●●●

١ ــ وحقا فانى اسأل لم كان العربى مستبدا ؟ ولم استمر هذا الاستبداد كل

● شروط تحقيق الديمقراطية .. هل توافرت في المجتمع العربي، ثم لم تتحقق .؟
● التقدم والقضاء على الاستبداد يحتاج إلى ماشئت من الشروط الاقتصادية والاجتماعية

هذه القرون- ؟ ولم يتغير شكل الدولة ، ونظامها ، ودستورها ، ودرجة ما تدعيه من تقدمية ، أو ما تنطوى عليه من رجعية ، وتبقى مع ذلك مستبدة ؟ إن هذا كله يذكرنى بأفكار عبد الله العروى الذى يرى أن الداعين الى التقدم ظنوا بالتتابع أن الدولة لا تتقدم إلا بعد الاستقلال لا قبله ، وبعد أن تصبح ديمقراطية ، لا قبل ذلك ، ثم ، أخيرا ، بالتصنيع والانتاج بغض النظر عن أى عامل آخر إلا أن تجاربهم كلها اخفقت .

ولكنى أقطع حبل تداعى الأفكار ، وأتساءل : أيكون العربى مستبدا بالطبع ، لا يغير من استبداده شيء ، مهما تطورت الصور الخارجية للدولة التى يعيش فيها ؟ لا شك أن عهد الاستبداد طال طويلا ، على الرغم من أن التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية ، للدول العربية قد تقترن فى الظاهر ، تغيرات عميقة . فهل العربى إذن يحب الاستبداد بالطبع ؟ وهل هذا الطبع مطلق أول لا يتغير أبدا . وعندئذ نتساءل لم احتاجت الديمقراطية إلى ألف شرط وشرط لتنشأ ، وتولد ولادتها المباركة أو غير المباركة ، ولم يحتج الاستبداد فى وجوده إلى أى شرط ؟

أما عندى فان الاستبداد (كمطلق أول) لم يوجد ولن يوجد وأنه عندما يوجد ، فلأسباب وشروط لا تقل جدية عن أسباب وشروط ولادة الديمقراطية . فلم نفكر بصورة علمية عندما نبحث فى نشوء الديمقراطية ، ونستغنى عن العلم ، ونلجأ الى الميتافيزيقيين عندما نريد البحث فى الاستبداد- ؟ أو لم تكن الدولة العربية خلال الخمسين سنة الأولى من وجودها ديمقراطية بأوسع معانى الكلمة ؟ أو لم يتدرج نشوء الاستبداد خطوة فخطوة حتى وصل إلى ما نعرفه عنه منذ عدة قرون- ؟ وهل كان يحتاج الاستبداد إلى معونة المنافقين من المثقفين وغير المثقفين والعسكريين . والممالئين من رجال الدين لو أنه طبع أول ؟ وهل إذا كان كل منا مستبدا بالطبع ، يستنكر أن يكون الآخرون على شاكلته ؟ .

٢ ــ هل توافرت شروط تحقيق الديمقراطية فى المجتمع العربى ، فى أى عهد ، ثم لم تتحقق.إن الديمقراطية أو بعض صورها (الكافية لنا فى أيامنا هذه) قد تحققت فى عدة دويلات يونانية قبل ارسطو وبعده ، وفى روما ، على يد مجلس الشيوخ ، وفى مطلع الدولة الاسلامية ، وفى دولة الخوارج فى شمالى أفريقيا ، وفى عمان عهد الامراء الاباضيين ، وفى عهد الرستميين الأول.ترى هل كانت شروط نشوء هذه الديمقراطيات القوية أو الواهية متشابهة ؟

وفى عهد النهضة كانت الدول ــ المدن (مثل فلورنسا ــ وفينيسيا ــ وجنوه ــ وغيرها) دولا ديمقراطية بمعنى ما ، ليس هو الاستبداد على كل حال . وبعد العهد الصناعى ، صارت دول كثيرة ديمقراطية ، من نوع أو آخر . فهل تشابهت كل هذه الشروط هناك ، ولم تنتف دوما إلا فى بلادنا ؟ .

ولئن كان الاستبداد لا يزال ماثلا فى بلادنا حتى الآن ، أفلا يعنى ذلك أن التغيرات التى طرأت على حياتنا ظاهرية ، شكلية ، صورية لا جوهرية ولا حقيقية ؟ .. وهل إذا كنا مستبدين بالطبع ، يمكن أن نشعر بحرج أو نكره استبداد الآخرين ، أو نغالى فى كرهه ؟ .

٣ ــ إن الديمقراطية الكاملة نظام سياسى أعقد بكثير من النظام الديمقراطى الناقص ، أفيعقل أن نحقق الأكمل قبل الأقل كمالا ، وهل هذه سنة التطور ؟

الانسان والمصير

٤ ــ وعندما نضع عنوانا لمقالنا هو : الحل ليس بالديمقراطية ، أفلا يمكن أن



ارنولد توينبي

يتخذ ذلك حجة ضد المطالبين بها ، وهم كل الناس ما عدا المستفيدين من الحكم الاستبدادى ؟ وهل اتخمتنا ديمقراطية ، ولم نجد معها حلا لمشاكلنا ، فأصبحنا نوصى بالعدول عنها ؟ ؟

إن التقدم والقضاء على الاستبداد يحتاج إلى ماشئت من الشروط الاقتصادية والاجتماعية . ولكنه ــ فيما أرى ــ يحتاج الى الانسان الذى يختار مصيره ، فيهيىء الشروط المعدة لهذا المصير ، قبل أن تهيئه هى له . ومن الممتع ولا ريب أن يطالب الدكتور النعيمى باختيار الديمقراطية الكاملة ، بديلا عن الديمقراطية البورجوازية . وما دام يطالب بهذا الاختيار فان ذلك يعنى حتما أنه يؤمن بأن لهذا الاختيار أثرا فى توجيه الأشياء والحوادث هذه الوجهه ، بل الأثر الاول . ومرة أخرى نلاحظ أن جدلية التطور بين الانسان وما حوله ، قد لا تستغنى (عما حوله) ولكنها بالتأكيد لن تستغنى عنه هو بالدرجة الأولى إن الانسان هو صانع الحضارة بالدرجة الأولى ، ولكنه لا يصنعها إلا بمواجهته للتحديات ، وأن الحضارة لدينا لا تنمو ، لأننا لا نملك حرية المواجهة ، أو لا تترك لنا هذه الحرية أو ليس بعض الديمقراطية إذن ضروريا لهذه الحرية فى المواجهة- ؟

ولنشر أخيرا إلى أننا لا نناقش كاتبا معينا فى افكار ذاتية له . بل هى أفكار كثيرين نضيع فى الجدل حولها جهدا كبيرا ولو كانت الدنيا تتسع للأمانى ، إذن لتمنينا الا يكون هنالك جدل ، وأن ينفق الجهد

المنهل

فى عدد قادم

هل يمكننا اللحاق بالغرب؟

بقلم:

أحمد عبد السلام البقالى

الدوحة

العدد القادم

عقبات فى طريق تطوير الأزهر

بقلم : د . محمد البهى

محمد فى مكة

بقلم : د . عبد الجليل شلبى

نظرة إلى تاريخ الإسلام فى مواجهة التحديات

بقلم : أنور الجندى

العرب وتحدى المرحلة

بقلم : أنطون مقدسى

هل يمكننا اللحاق بالغرب؟

بقلم : أحمد عبد السلام البقالى



الموازى له فى مواجهة التحديات ، لا فى النقاش حولها ، وفى إيضاح ما كان يلازم تاريخ الانحطاط العربى من غياب للانسان ، أو غيبوبته ، وما جعل كل محاولات الاصلاح المتجهة من المحيط إلى المركز ، أى من الاشياء إلى الانسان (كتغيير اللباس) وتغيير الحروف ، واتخاذ عادات غريبة ، والعطلة يوم الاحد بدلا من يوم الجمعة ... وإيجاد نظام برلمانى مشوه ، يقوم دوما على انتخابات غير جدية ، وانشاء صحافة لا تكتب إلا أردأ الاقلام ، واقامة شبكة إذاعية تلفزيونية ، لا يبث فيها إلا ما ليس له علاقة مباشرة بالواقع الحار ، وحتى انشاء جامعات يدخل فيها الذكى والغبى على حد سواء ، فلا يرقى مستواها عن وسط متواضع بينهما ، ولا تكون من التقدم إلا على صورة منشئيها ، والقيمين عليها .. الخ نقول ، كل ما جعل محاولات الاصلاح المتجهة من المحيط الى المركز تخفق أكبر الاخفاق .

ويقينا ما التقدم إلا جدلية بين الانسان وما حوله من أشياء ... لكن إذا كان فى حدى هذه الجدلية أولوية طرف على طرف ، فلا شك أنه طرف الانسان أولا . ولئن لم تكن الديمقراطية هى السبيل الى حل مشكلات التخلف .... فلا بد أن الطريق يجب أن يمر بهذه الديمقراطية ، ولاسيما بحرية التعبير وشعور الانسان المخلص ، بالأمن والطمأنينه ، ولا مجال للقفز فوق كل الحواجز وحرق المراحل والمضى قدما من أقصى النقص إلى أكبر الكمال .

د. حافظ الجمالى

عبّاس محمود العقّاد

أينشتين على المائدة

من انواع المؤلفات عند الغربيين تصنيف شائع يطلقون عليه في معظم الاحيان اسم « حديث المائدة » ويجمعون فيه ألوان الاحاديث التي يفوه بها العظماء والمشهورون في المجالس والاندية ، وفي البيوت والاسواق، وفي مناسبات الحديث العامة أو الخاصة التي لا يرتبطون فيها بتكاليف المنصب أو الدراسة العلمية، ويرسلونها على السجية كما يتحدث المرء على مائدة الطعام ·

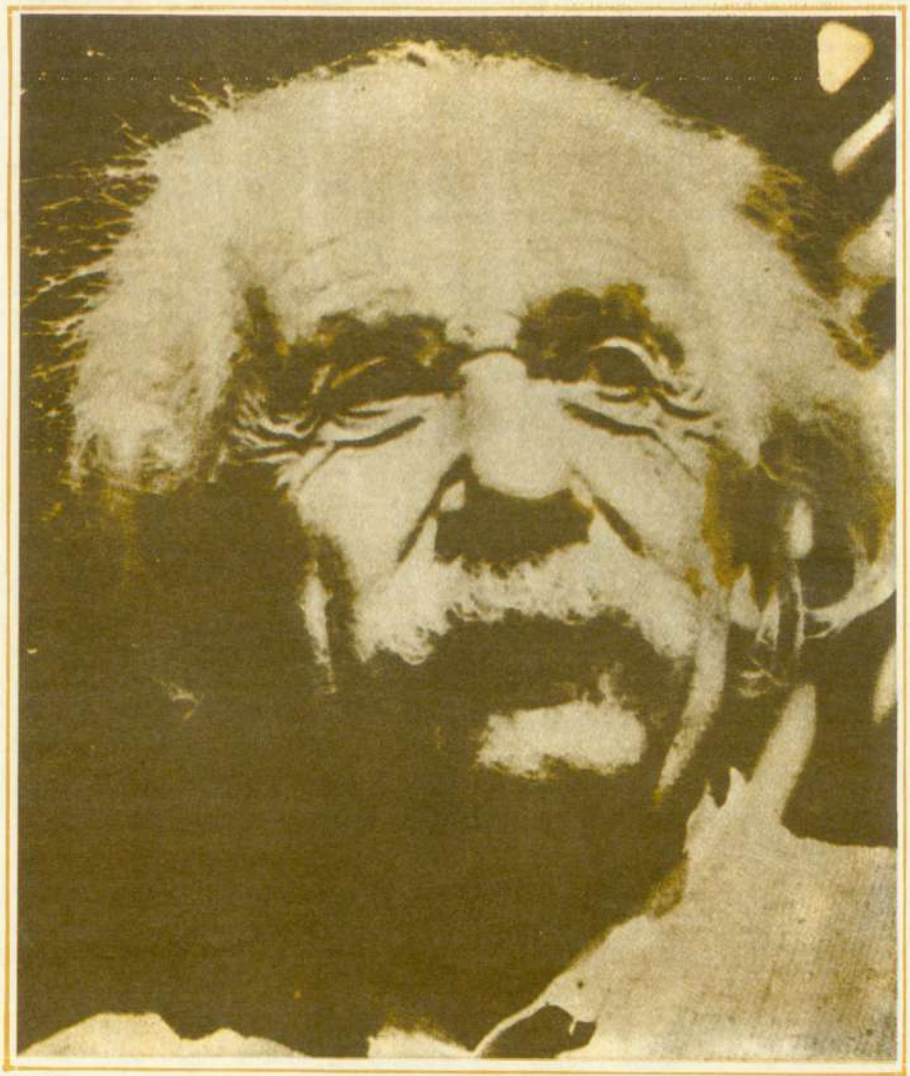
ولا يلزم أن نجري هذه الاحاديث على المائدة ، أو يكون عنوانها على المائدة ، فانها قد تجري عرضا أثناء السير في الطريق ، وقد يسمونها أحاديث البيت ، أو أحاديث المبازل ، أو مناجاة الراحة ، وما شابه ذلك من العناوين التي يفهم منها جميعا معنى واحد : وهو أن الاحاديث من قبيل السمر الذي يدور على المائدة ، ويسوغ للسامع وهو جالس الى طعامه وشرابه ، من قبيل التسلية والترويح، وفي غير حاجة الى البحث وطول التأمل ، ولو كان في مواضيع العلوم أو كان فيه المام سريع بجلائل الامور ·

من هذا النوع من المصنفات كتاب ظهر حديثا في مجلدين ، عن الفيلسوف العالم « ألبرت أينشتين » صاحب مذهب النسبية ، وهو المذهب الذي قال بعضهم عنه انه فلسفة يفهمها اثنى عشر انسانا في الكون كله ، ان لم يكن فيه سكان على غير الكرة الارضية !

وليس هذا الكتاب بطبيعة الحال ، في موضوع تلك الفلسفة ، ولكنه يؤدى عن صاحبها أحاديث المائدة وما يشبه أحاديث المائدة ، ويجمعها من أقوال أصدقائه وزملائه الذين سمعوها من فمه ، أو نقلوها من رسائله وأخباره وعدتهم عشرة علماء يخاطبون الناس في هذا الكتاب كما يخاطبونهم في ساعات الفراغ ، ويصورون أستاذهم في صورته المعدة للنشر والتداول ، بين قراء النسبية ومن لم يعرف منها ، ولا يعنيه أن يعرف عنها ، غير العنوان ·

ان تراجم أينشتين متفقة على بساطته في حياته ، وعلى نفوره من المظاهر والتقاليد ، وصدق رغبته في التجرد من كل مظهر وكل تقليد لا حاجة اليه في صميم عمله ·

ولكن أينشتين مثل من الامثلة



أينشتين

الكتاب يؤدي عن أينشتين أحاديث المائدة وما يشبه أحاديث المائدة

كل إنسان يستطيع أن يكون بسيطاً إذا خرج مع طفله الصغير للرياضة الخلوية

صاحب النسبية كان ينقد مذهب إسرائيل في أصول الأخلاق والخوف والرهبة

النادرة على غرابة البساطة في بعض الاحيان • فليس معنى البساطة التي يوصف بها أينشتين انها صفة شائعة متكررة ، نلقاها في كل ساعة ، وفي كل مكان •• وليس معناها انها صفة سهلة مطروقة لمن يريدها ، ومستطاعة تحت الطلب لكل من يحاولها • بل هي تلك البساطة التي يقول عنها علماء البلاغة أنها السهل الممتنع ، أو يقول عنها علماء الطبيعة أنها بساطة النور الابيض الذي تلتقي فيه جميع الالوان • فهي بساطة أصعب من التركيب ، وبساطة غير قابلة للتقليد !

فكل انسان يستطيع أن يكون بسيطا في مثل بساطة أينشتين اذا خرج مع طفله الصغير للرياضة الخلوية ، بين الخدم والمرضعات •

وكل انسان يستطيع أن يكون بسيطا مثله اذا أراد أن يذهب الى القصور الملكية مشيا على الأقدام ، ولم يخطر له أن الملوك يرسلون سياراتهم الفخمة للقاء ضيوفهم الممتازين •• ولكن ليس في وسع كل انسان أن تبلغ به البساطة مبلغ الزهد في أربعين ألف دولار يقبضها كل أسبوع ، ولا يكلفه الامر الا الظهور أمام اللوحة البيضاء من حين الى حين• وليس في وسع كل بسيط أن يعلم مواضع الصفحات بحوالة مالية تساوي آلاف الجنيهات ، ثم ينساها حيث وضعها منذ عدة سنين •

وهذا هو موضع الغرابة في هذا الانسان البسيط النادر ، لانه بسيط عادي يشبهه ألوف وعشرات ألوف ، لانه في الوقت نفسه بسيط غير عادي، يعد أمثاله في زمانه فلا يزيدون على الاثنى عشر الذين يفهمونه ، فيما قيل !

مثل هذا البسيط النادر تسمع منه كلماته البسيطة النادرة ، لانها لا تسمع من كل قائل ولا تسمع في كل يوم ، وفيها ما يساعدنا على فهم الطبيعة الانسانية كما نراها على الدوام ، ويساعدنا على فهمها كما نراها في فلتات النبوغ وحالات الاستثناء والشذوذ •

والذي يهمنا من أحاديثه أن تسمع أينشتين « العادي » •• كلما خطر على البال أننا سنسمع منه شيئا من خوارق العادات ، أو نسمع منه شيئا يفصل العبقرية عن الانسانية ، ويخيل الينا أن العبقري مخلوق يمكن بحال من الاحوال أن يفلت من فريضة الانسانية عليه •

كان أينشتين من بني اسرائيل ، ونشأ كما نشأ أبواه وأجداده من قبله في بيئة اسرائيلية عريقة في التقاليد اليهودية ، ولكن الذين عشروه وعرفوه عن قرب كانوا يستغربون أن يكون هذا الرجل يهوديا عريقا من البيئة اليهودية ، لاختلاف عاداته ومقاصد حياته ، ولتلك البساطة التي كانت تلازمه في معيشته اليومية وفي شئون معاشه على التعميم ومن علاقاته بمن يعمل معهم أو يعملون معه ، ونذكر أن كاتبا أوربيا سأل منذ نحو ثلاثين سنة : أين هو اليهودي في باطن هذا العالم الفيلسوف ؟•• قال الكاتب الاوروبي ذلك ردا على حركة الاضطهاد والتي أصابت الطائفة اليهودية على أيدي النازيين وأصابت هذا العالم الفيلسوف في جملتها ، كأن الناس اعتقدوا يومئذ أن أينشتين اليهودي لا وجود له ، وأن الذي بقي موجودا أمامهم هو أينشتين صاحب مذهب انسان وانسان •

وصحيح هذا الى حد صحيح أن صاحب النسبية كان ينقد مذهب اسرائيل في أصول الاخلاق وينكر الدعوة القديمة التي جعلت الاخلاق والفضائل قائمة على الخوف والرهبة من غضب السماء ، ويرى أنها كانت أحق بأن تقام على الواجب من حب الله ومخلوقاته •

وصحيح أن صاحب النسبية كان ينسى التقاليد الموروثة ويستهدف للغضب بين قومه من جراء نسيانها واهمالها •

صحيح أن الذي كان يبحث عن اليهودي في باطن العالم الفيلسوف ينصب في البحث ويطيل الانتظار ولكنه ليس بصحيح أنه كان يتعب على غير جدوى ، وانه كان يتعب في البحث عنه ولا يجده في النهاية !

كلا ان القارىء يجد اليهودي أينشتين في آخر الطريق ، يلقاه أحيانا قبل منتصف الطريق ، ويلقاه دائما في كل مكان ، وفي كل شيء ، تتمثل فيه اليهودية بقضها وقضيضها، ولا تضع فيه بتمثيل جزء منها •

أينشتين اليهودي هو الذي يقول « ان التضامن الانساني يجد التعبير عنه في اليهودية ، وان هذا هو السر في ظهور الدعوة الاشتراكية على أيدي أناس من اليهود » •

يقول ذلك حين يذكر العصبية ولا يقوله حين يذكر التاريخ القريب

أينشتين على المائدة

والتاريخ البعيد ، فان التضامن الانساني لا يتحقق على أيدي الدعاة الى رب قبلة واحدة تحتكر الرضوان الالهي والعبادة الالهية ، ولها دون سواها خلقت الامم ، واليها دون غيرها يرجع زمام العالم من يد الله .

وأينشتين اليهودي ـ وليس أينشتين العالم الفيلسوف ـ هو الذي يقول ان فلسطين ليست ملجأ لليهود الهاربين من أوربا الشرقية ، وعاشت أفرادا متفرقين زمنا طويلا ، وآن أن تعود أمة في وطنها القديم .

ان الفيلسوف العالم لا يقول هذا الا اذا نسي أنه عالم فيلسوف ، ولم يذكر الا أنه يهودي بل صهيوني متطرف . لان العالم الفيلسوف يذكر على الاقل أن فلسطين لا تتسع لامة تعدادها نحو عشرين مليونا ، ولا يقال انها وطن الامة اليهودية بالتناوب بين المقيمين والزائرين ، بل لا يقال انها وطن أمة وهي تطرد الامة الفلسطينية التي لا وطن لها من قديم الزمن في مكان غير فلسطين !

وليس أينشتين العالم هو الذي يقول ان العالم الغربي آن له أن يعرف ديونه لليهود ، وأن يذكر انه تلقى منهم ديانته ، وتلقى منهم على الاكثر ميراث الفلسفة اليونانية المفقودة .

كلا . ان اليهود لا يعطون العالم دينا ينكرونه ، وأن الغرب قد تلقى الفلسفة اليونانية من العرب ، ومن العرب أيضا تلقاها اليهود .

ويختفي أينشتين العالم الفيلسوف، حتى حين يكون فيلسوفا يختار بين الفلاسفة فانه لا يختار حينئذ غير الفيلسوف « سبنوزا » وهو الوحيد الذي ظهر من اليهود بين فلاسفة القرون الوسطى !

قبل أن يصل أينشتين الى الولايات المتحدة كان الشبان الامريكيون يتحدثون عنه وعن آرائه ، وكان رجال الدين يحذرونهم منه ويتهمونه بالالحاد وانكار الدين في كل ملة ، وأراد حاخام نيويورك هربرت جلوشتين أن يرفع الشبهة عن ابن ملته فأبرق اليه يسأله : هل تؤمن بالله ؟ فجاءه الجواب البرقي على الاثر :

« نعم . أومن باله سبينوزا الذي يتجلى في النظام المتناسق بين أجزاء الكون .. » .

فلماذا انفرد سبينوزا وحده بهذا الاختصاص ؟ لماذا لم يكن هذا الاختصاص من حق جردانو برونو أستاذ سبينوزا في الايمان بوحدة الوجود ؟ لماذا لم يكن « ابن العربي » أستاذ برونو وسبينوزا معا وصاحب المذهب قبل برونو بعدة قرون ؟

لماذا باروخ سبينوزا اليهودي وليس جردانو برونو المسيحي ، ولا أبا بكر ابن العربي المسلم ، وكلاهما أستاذ باروخ أو باروك ؟



الانفجار النووي الرهيب

الجواب على ذلك سهل قريب اذا عرفنا أننا استمعنا الى « أينشتين » اليهودي ولم نستمع الى أينشتين العالم الفيلسوف .

على أن العالم الفيلسوف لا يستحق اللوم لان العلم والفلسفة لم ينسياه ملته وابناءها ولم يقطعاه عن هذه الصلة الانسانية التي لا فكاك منها ، ولكننا نلاحظ على العبقري النادر أنه كان « يهوديا عاديا » ولم يكن يهوديا غير عادي في نجدته القومية . واحرى به أن يذكر قومه ولا ينسى الحق والتاريخ وأن يذكر أن القومية العمياء قومية « عادية » مبتذلة ، وليست هي قومية العالم الفيلسوف .

وقد أصاب أينشتين حين قال صريحا ان العلم لا يوجب الحيده على العلماء في معترك النزاع بين الامم والدول ، وأصاب حين قال ان واجب العلم لا يسقط عن العالم واجب القومية وأصاب حين كتب في رسالته الى المحتفلين بذكرى لنكولن يدعوهم الى تاليف عصبة من العلماء والمفكرين تحمي حرية التعليم وحرية الرأي وتؤدي واجبها في أزمات الوطن والازمات العالمية .

الا أنه في صوابه وخطأه يلقى على الناشئين وعلى المتشبهين بالعلماء درسا لا غنى عنه في عصرنا هذا : عصر العلم والدعوة الى الوحدة العالمية .

فان أدعياء العلم يحسبون أن العالم الكبير اذا أصبح عالميا انسانيا وجبت عليه الحيدة بين قومه وغير قومه من أمم العالم وأبناء الانسانية ، وامتنع عليه أن يتحيز لوطنه بين سائر الاوطان ، وأن تكون له صداقة وعداوة في سبيل الوطنية والعقيدة .

● ●

ان أينشتين يلقى الدرس الذي

يصحح هذا الخطأ ، لانه طراز من أصحاب العبقرية والشهرة العالمية قليل النظير في زمانه ، اذا فهمنا من غلوه في العصبية شيئا فلنفهم أن الطبيعة الانسانية لا تلغي الوطنية في سبيل الوحدة العالمية ، فاذا أبينا أن نغلو في العصبية كما غلا هذا العالم الفيلسوف فلا تنجرد من طبيعة الانسان في صوابها وخطأها وفي شططها واعتدالها ، ولنكن وطنيين انسانيين قواما بين الافراط والتفريط ، وبين الغلو والاعتدال ·

ويسمع من مائدة أينشتين رأيه أو حكمه الأخلاقي ، على صنيع يده في اختراع القذيفة الذرية · ولا شك أنه كان من أوائل القائلين بامكان اختراع هذا السلاح وامكان استخدامه في الحرب العالمية ، فماذا يقول بعد أن صار الممكن واقعا ، وبعد أن وقع المحظور بفعل يديه ؟

أدعياء العلم يحسبون أن العالم الكبير إذا أصبح عالما إنسانيا وجبت عليه الحيدة بين قومه وغير قومه

انه لم يصرح بغرضه من المشاركة في اختراع الاسلحة الذرية ولكننا نفهم من حملته المتواصلة على هذه الاسلحة أنه كان يحسب أنها تستخدم في اخضاع النازية وتحطمها ، وأنه سمع أن النازيين جادون في تحقيق هذا الاختراع ولابد أن يستخدموه في حرب أعدائهم واضطرارهم الى التسليم السريع ، فاختار بين قذيفة ذرية في أيدي النازيين يملكون بها العالم وبين قذيفة ذرية تسلط على النازيين ويرجى أن يوضع لها نظام يحمي العالم من شرها بعد توقف القتال ·

والظاهر انه لم يتوقع أن تستخدم في حرب اليابان دون الالمان ، وأنه أحس بتبعتها فارادته التكفير عن اختراعه بالسعي الحثيث الى تنظيم الاشراف عليه ، ولكن لا يرى أنها سلاح مقاله المشهور الذي يقول في عنوانه « ان المشكلة مشكلة القلوب الانسانية » ويلخص فيه حل هذه المشكلة في كلمتين : « التعاون لا التنافس » ويفرض هذه السياسة « أولا » على أقوى الطرفين فمن كان من الاعداء أقوى وأقدر فهو المسئول عن كبح هذا السلاح ، وفارق العالم الفيلسوف دنياه ودعوته الاقوياء الى كبح أنفسهم بأيديهم حلم في انتظار التاويل ··

عباس محمود العقاد

« قرأت كتابا اسمه العدو السابع »

وفي هذا الكتاب يصف المؤلف اعداء البشرية في كل مكان ·· زيادة السكان الجوع ·· نقص الموارد والمصادر الطبيعية ·· تدهور ظروف البيئة ·· سوء استخدام الطاقة النووية ·· التطور العلمي الذي لا يستطيع الانسان الرقابة عليه ·· هؤلاء الاعداء ·· ستة ·· فمن هو العدو السابع اذن :

الجواب : نحن ··· اي الانسان نفسه ··

الانسان الذي لا يعرف مصلحته ·· ومصلحة اخيه·· الانسان يحارب جاره · والدولة التي تحارب جيرانها مما يؤدي الى الاضطراب العالمي وبدلا من توجيه الجهدللخير لزيادة الانتاج والتغلب على الاعداء الستة نضيف لانفسنا عدوا سابعا هو أخطر الاعداء ··

ونحن ·· عندما نتكلم عن مشاكلنا يجب أن نضيف اليهم عدوا سابعا هو المسئول عن هذا كله ·· هذا العدو هو انا وانت ·· اقصد نحن ·

تأملات في الحياة

لعل المتغيرات الدائمة في الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في رحلة الحياة ·· تجعلك تحلم لك ولغيرك احلاما وردية زاهية ·· مرة تقترب بك من اليأس ·· فتتمسك بصبر الصابرين ·· هذا الصبر والامل والحلم واليأس وكأنها جميعا ـ طبق سلطة ـ نتناوله على الطبيعة كل يوم ··

وليست هذه شكوى ولكن في اعتقادي أن الانسان الواقعي يعايش الحياة بحلوها ومرارتها محاولا الا ينسى ايجابياته قبل سلبياته ·· فالحياة تعذب من يراها من خلال منظار اسود فقط او ابيض فقط فهي في حقيقتها وطبيعتها غزيرة الالوان بحيث لا تحصى ولا تقف عندحد ، ولهذا جدير بنا ان نروض انفسنا على معايشة اليوم بل الساعة واللحظة معا بكل ما تحمل من دوافع المعاناه والامل ··

أحمد بهجت

حكومة الرسول

كانت تجسيدا لدعوة الحرية

كان خاتم النبيين أعظم الدعاة الى الحرية ...

وجاء جوهر الاسلام ـ بوصفه آخر الديانات ـ تعبيرا عن الحرية والسر فى هذا أن الرسول جاء يدعو الناس الى التوحيد ، أما الاسلام فقد حمل إلى الناس أمانة الوعى بجملة قصيرة تبدأ بالنفى وتنتهى بالاثبات .. جملة قامت عليها جميع الرسالات الالهية (لا اله إلا الله) .

ما الذى تعنيه الكلمة ..؟

تعنى الكلمة الوعى بالخالق ، والخالق هو الحرية المطلقة ، وتعنى الخضوع لهذه المشيئة المطلقة والانقياد لها ، ويؤدى هذا الخضوع إلى تحرر الانسان بحق من عبادة غير الله وإسلام وجهه لله .

ولهذا السبب نستطيع أن نفهم غضب المجتمع المكى على الرسالة كان المجتمع قبليا تحكمه قبائل تعيش على التجارة أو الحج ، وكانت هناك آلهة ظاهرة وآلهة خفية . أما الآلهة الظاهرة فكانت هى الاصنام الخشبية أو الحجرية فى الكعبة ، أما الآلهة الخفية فكانت مصالح الكبار وهواهم وباعلان الرسول عن دعوته لله ، وباعلان (لا إله إلا الله) أدرك القائمون بالحكم فى مكة أن هذه الرسالة الجديدة تهدد وجودهم من أساسه ، ومن ثم بدأت الحرب ضد الاسلام تستخدم جميع الوسائل ، ابتداء من الدعاية والتهجم والاضطهاد ، وانتهاء بمؤامرات القتل ..

كانت دعوة الرسول إذن دعوة الى الحرية .

كان الناس أسرى عشرات الاشياء والقوى ... كانوا أسرى التقاليد الفاسدة ، وكانوا أسرى الهوى الحاكم ، وكانوا أسرى المصالح المؤقتة والحالية ، وجاء الرسول يحدثهم عن الحقيقة ، وكانت الحقيقة فى حد ذاتها تحريرا للانسان من كل أسريه .

قضية القرآن المكى

وقد مكث الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى الاسلام ما يقرب من ثلاث وعشرين سنة ، منها ١٣ سنة تقريبا فى مكة ، وعشر سنوات فى المدينة ، و القضية



● كانت دعوة الرسول دعوة إلى الحرية .. إذ كان الناس أسرى عشرات الأشياء والقوى

الاساسية التى جاهد للدفاع عنها فى مكة هى قضية الالوهية والعبودية ، وراح الوحى الالهى على امتداد ١٣ سنة يجلو حقيقة هذه القضية .. حتى صارت قضية الالوهية والعبودية هى قضية القرآن المكى بصفة خاصة ...

وفى مكة تم تعريف الألوهية الحقة ، وبيان خصائصها من الربوبية والقوامة والحاكمية ، كما تم تعريف العبودية وحدودها التى لا تتعداها ، وبذلك تم اخضاع الناس لله ، أو اسلامهم له سبحانه ، وبهذا الخضوع لله وحده كسر الانسان المسلم سجن العبودية لغير الله وحصل على حريته . والواقع أن حياة البشر فى الارض لا تستقيم إلا إذا استقامت هذه الحقيقة فى اعتقادهم وتصورهم ، واستقامت بعدها فى حياتهم وواقعهم ..

إن تاريخ الألم الانسانى فى الارض يرتبط ارتباطا وثيقا بحقيقة الالوهية والعبودية ، وفى اللحظة التى يترك الناس فيها عبادة الله إلى عبادة الاصنام ، تحتضر روح الجمال فى الانسان ، ويعتلى القبح عرشه داخله ، وينهزم الانسان – وهو المخلوق الجميل – من الداخل وينتكس العقل البشرى ، ويزيد ظلم الظالمين وذل المظلومين ، كما يزيد فقر الفقراء وقسوة الاغنياء ، ويتحول الوجود الانسانى كله إلى تجربة معاشه من تجارب الجحيم ..

وقد اثبت التاريخ أن الضمان الوحيد للمساواة بين البشر يكمن فى عبوديتهم جميعا لله ، وكون الله هو خالقهم والمشرع لهم ، فاذا ضاع هذا الضمان ، وادعى أحد من الناس أو زعم أحد الانظمة لنفسه حق الالوهية ، فقد هلكت حرية الناس تماما ..

هذه المأساة التى تتمثل فى ضياع الانسان كانت متوفرة فى مكة ، وقد جاهد النبى عامين وبضعة أشهر فى الدعوة بشكل سرى ، ثم جاهد ما يقرب من عشر سنوات فى الدعوة العلنية ، وفى نهاية العهد المكى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع حوله صفوة من الرجال الاحرار .. هم المؤمنون بدعوته ..

وبهذه الصفوة تم تأسيس الدولة الاسلامية فى المدينة بعد الهجرة . وليست هجرة الرسول التى يؤرخ بها المسلمون عامهم الهجرى سوى اشارة موحيه إلى أهمية وجود الدولة الاسلامية .. وخروج الاسلام من الحصار المضروب حوله إلى طبيعته الأولى وهى الانتشار فى الارض والدعوة الى الله ..

وقد تميزت الفترة المكية عن الفترة المدنية ، لان وضع المسلمين فى مكة كان وضعا محزنا ، فهم أفراد قلائل مستضعفون مضطهدون لم تتكون منهم أمة وليست لهم شئون دولة، وكان هَمُّ الرسول وشاغله الاعظم هو بث الدعوة الى التوحيد وتحويل وجوه الناس عن الاوثان إلى الله ، واتقاء كيد اعداء الاسلام ، ولذلك لم يكن هناك مجال ولا داع الى التشريع وسن القوانين المدنية والتجارية وغيرها ..

أول حكومة اسلامية

كانت السلطة التشريعية فى مكة لله عز وجل ... أما السلطة التنفيذية والقضائية فكانتا معطلتين مؤقتا لعدم وجود الدولة ، وحين تم تأسيس الدولة الاسلامية فى المدينة .. بدأ عهد جديد .. وظهرت أول حكومة اسلامية ..

كانت حكومة مثالية ، كما كانت حكومة غير عادية ..

لماذا كانت غير عادية .. ؟

كان الله عز وجل هو المشرع .. أى أن السلطة التشريعية كانت مرتبطة بالوحى ، وهو أمر غير عادى ، وقد انقطع وحى السماء بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أيضا كانت الحكومة غير عادية لأن السلطة التنفيذية والقضائية كانتا مركزتين فى يد الرسول وأصحابه ، ووجود رسول على رأس الحكومة أمر غير عادى .

أما كون هذه الحكومة مثالية فلا يحتاج إلى بيان .

وقد قامت الدولة الاسلامية الأولى أو الحكومة الاسلامية الاولى على أساس من أخوة العقيدة ، (انما المؤمنون أخوة) .. كما قامت على الشورى رغم وجود الوحى ووجود رسول لاينطق عن الهوى ..

وكان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يؤلفون ما يشبه مجلس وزراء ، (د. حسن صعب) وكان الرسول يستشيرهم ، واحيانا كانت الاغلبية تخطىء والاقلية تصيب ، واحيانا كان الرسول يأخذ برأى الاغلبية فتصحح له آيات القرآن هذا الرأى كما وقع فى حادث الاسرى الذين افتداهم أهلهم من الرسول وكان عمر قد اقترح ضرب اعناقهم واقترح أبو بكر افتداءهم وأيدته الاغلبية ، ثم نزل القرآن يبين أن رأى عمر كان هو الرأى الصحيح .

وقد جعل القرآن الشورى قاعدة عامة ، كما حملت احدى سور القرآن اسم (الشورى) ، وقال تعالى فيها :

(وشاورهم فى الامر)

(وامرهم شورى بينهم)

وكان المجلس فى اوقات السلم هو مجلس الشورى ، كما كانت أى بقعة من الارض فى الحرب الميدانية هو مجلس الشورى ، والارض عند المسلمين كلها مسجد..

الحرية والاخوة والشورى

أى أن الدولة الاسلامية قامت على الحرية .. والاخوة .. والشورى فى اصطلاحنا الحديث اليوم هى الديمقراطية .

ماهى مصادر التشريع فى عهد الرسول ، ومن تولى السلطة التشريعية فى ذلك العهد؟

كان للتشريع فى عهد الرسول مصدران ، الوحى الالهى ، واجتهاد الرسول نفسه ، فاذا طرأ ما يقتضى تشريعا من خصومة أو واقعة أو سؤال أو استفتاء ، أوحى الله الى رسوله بآية أو آيات فيها حكم ما أريد معرفته حكمه ، عندئذ يبلغها الرسول للمسلمين فيصير هذا قانونا واجب الاتباع ..

فاذا طرأ ما يقتضى تشريعا ، ولم يوح الله الى رسوله بشىء ، اجتهد الرسول فى معرفة الحكم واجاب على السؤال ، فيصير جوابه قانونا واجب الاتباع ..

وفى حكومة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كانت السلطة التشريعية فى هذا العهد لرسول الله وحده ، وهى سلطة مستمدة من الله لأنه سبحانه هو المشرع ، وما كان لأحد من المسلمين غير الرسول أن يستقل بتشريع حكم لنفسه او لغيره ، لأن وجود الرسول بينهم لم يسوغ لاحدهم أن يفعل ذلك ..

السلطات الثلاث

يمكن القول: إذن التشريع فى عهد الرسول كان إلهيا كله لأن مصدره لا يخرج عن ثلاثة :

(١) وحى الله فى القرآن

(٢) اجتهاد الرسول النابع من الالهام الالهى ..

(٣) اجتهاد الرسول ببحثه ونظره ، وهذا محفوف برعاية الله له ..

أما السلطة التنفيذية فى المدينة فكانت للرسول وصحابته ، وقد رأينا الرسول يستشير ما يشبه الوزراء من صحابته ، كما رأيناه فى أهم غزواته يختار مكانا لا يصلح من الناحية العسكرية للقتال ، فلما راجعه واحد من صحابته وسأله :

ـ أهذا منزل أنزلكه الله فلا يجوز أن نتأخر عنه أو نتقدم ، أم أنها الحرب والمكر والخديعة ؟

وحين أجاب الرسول انها الحرب ، صحح الصحابى الموقف واختار مكانا يتيح لجيش المسلمين أن يشرب ويسد منابع الماء على جيش العدو .

وكان الرسول ـ رغم أنه يوحى إليه ـ يستشير صحابته ، وينزل على آراء الخبراء منهم ، ولم يكن صحابة الرسول أو وزراؤه شخصيات عادية ، انما كانوا هم صفوة الصفوة وافضل العقليات المؤمنة يومئذ .

أما السلطة القضائية فكانت للرسول وصحابته

السلطة القضائية والاجتهاد

ولقد انكشف جوهر الحرية فى السلطة القضائية ، فكان الأصل الحاكم فيها هو الاجتهاد والحرية العقلية ..

وقد ورد اجتهاد الصحابة فى عهد الرسول ، وعرفنا أن فيهم من قضى باجتهاده فى بعض الخصومات أو استنبط باجتهاده حكما فى بعض الوقائع . بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابن أبى طالب قاضيا وقال له :

ـ ان الله سيهدى قلبك ويثبت لسانك ، فاذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول ، فانه أحرى أن يتبين لك القضاء .

وبعث معاذ بن جبل الى اليمن وسأله : بم تقضى اذا عرض لك قضاء ولم تجد فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ما تقضى به ـ؟

قال معاذ : اجتهد رأيي .

قال رسول الله : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله .

أيضا ارسل الرسول حذيفة اليمانى للقضاء بين جارين اختصما فى جدار بينهما ، وادعى كل منهما أنه له ..

وحكم حذيفة واقر الرسول حكمه ..

وقد بلغ تأسيس الرسول للاجتهاد حده الأعلى حين قال لعمرو بن العاص يوما :

ـ احكم فى هذه القضية ..

قال عمرو: اجتهد وانت حاضر ـ ؟

قال رسول الله : نعم ان أصبت فلك أجران وان أخطأت فلك أجر ..

نريد أن نتوقف عند هذا الأفق الأعلى الذى وصل إليه نظام الحكم فى عهد الرسول ، وصلة هذا النظام بالحرية العقلية .. ان الاجتهاد فى هذا العصر ـ وهو حرية عقلية بحته ـ كان له أجران إن أصاب وأجر إن اخطأ ..

لم يكن هناك عقاب على الخطأ .. بل ثواب عليه .

انكشف جوهر الحرّية فى السلطة القضائية فكان الأصل الحاكم فيها هو الاجتهاد والحرّية العقليّة

إذا جلس الخصمان بين يديك فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول

كان الرسول يجتهد مهتديًا بالقانون الإلهى وروح التشريع وتقدير المصلحة ومشورة أصحابه

اذا كان هذا شكل الحكومة الاسلامية فى عهد الرسول ، فماذا كانت الخطة التشريعية فى هذا العهد ، وما هى المبادىء العامة التى بنى عليها التشريع الاسلامى ـ ؟ .

الخطة الاساسية للتشريع

نقصد بالخطة التشريعية الطريق التى يتبعها رجال التشريع فى الرجوع الى مصادر التشريع (د. عبد الوهاب خلاف) .

ولما كان هذا العهد هو عهد التكوين ووضع الأسس التشريعية ، فقد كانت الخطة التشريعية فيه هى الخطة الاساسية للتشريع الاسلامى .

أما الطريق التى اتبعه الرسول فكانت هى :

(١) انتظار الوحى

أو (٢) الاجتهاد واعمال العقل ..

وكان الرسول يجتهد مهتدياً بالقانون الالهى وروح التشريع وتقدير المصلحة ومشورة أصحابه ..

أما المبادىء العامة التى بنى عليها التشريع الاسلامى فكانت أربعة .

المبدأ الأول : التدرج فى التشريع ، فقد مكث القرآن يتنزل على قلبه لمدة ٢٣ سنة ، وكانت حكمة التدرج الزمنى انه ييسر معرفة

قريبا
فى عدد قادم
الإسلام
بين الخلافة والملكية
بقلم:
أحمد بهجت

القانون مادة مادة ، وييسر فهم احكامه بالوقوف على الحدث الذى اقتضى التشريع ولم يكن التدرج زمنيا فقط ، وانما كان نوعيا أيضا ، فلم يكلف المسلمون فى أول عهدهم بالاسلام بما يشق عليهم فعله أو ما يشق عليهم تركه . بل أخذهم الله والرسول بالرفق والاناة والحلم ..

فى أول الأمر لم تفرض الصلاة خمس مرات فى اليوم ، بل طلبت منهم صلاة مطلقة بالغداة والعشى .

أيضا لم تفرض على المسلمين الزكاة والصيام إلا بعد الهجرة بسنة ، أى بعد ١٤ عاما تقريبا من بداية الأسلام .. وكان التكليف قبل ذلك بما يستطيعونه من صدقة وصوم ..

أيضا لم يحرم الخمر والميسر وكثير من عقود الزواج والربا إلا بالمدينة .. وتم تحريم الخمر على ثلاث مراحل .

فى البداية قيل عن الخمر (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما) .

ثم نزل قوله تعالى (لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى) .

ثم صدر التحريم القاطع بقوله تعالى (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) .

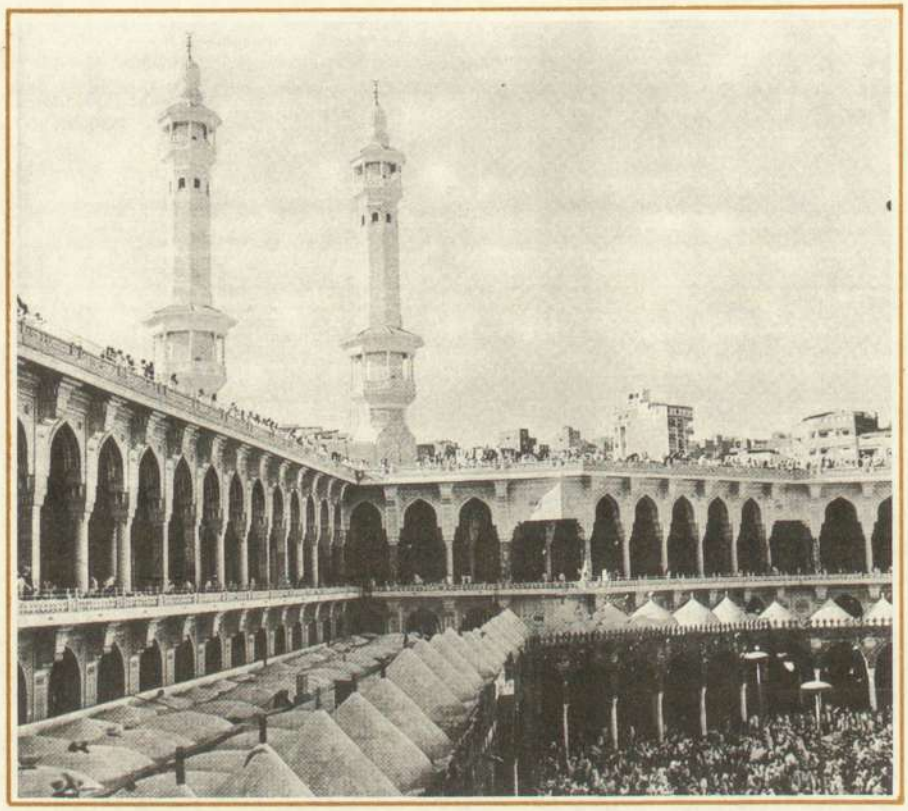
وكانت حكمة التدرج فى التشريع هى اصلاح النفوس الجامحة واخذها بالرفق لتقبل التكليف من غير ضجر ولا عنت ، وهو من الحكمة فى الدعوة .

المبدأ الثانى : التقليل من التقنين ، فجاء التشريع على قدر الحاجة ونهى القرآن والرسول عن الاكثار من الاسئلة التى تقتضى التشريع ..

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) .

والحكمة من تقليل التشريع هو ترك المجال للأجيال القادمة لتؤدى دورها فى التشريع فيقتصر كل عصر على تشريع ما اقتضته مصالحه ، ومن المبادىء المقررة فى الشريعة الاسلامية ان الاصل فى الأشياء الاباحة فلا حرج إذن من تقليل التقنين ، بل ان الحكمة تستوجب تقليله .

المبدأ الثالث : التيسير والتخفيف ، وهو أحلى ظاهرة فى التشريع الاسلامى كما



لاحظ العلماء ، وقد وردت فى القرآن نصوص قاطعة الدلالة فى أهمية التيسير والتخفيف ..

قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .

وقال عز شأنه (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا)

وقد ورد فى صحيح السنة أن الرسول كان اذا خير بين أمرين اختار ايسرهما مادام حلالا ، وفى حالات المشقة شرعت الرخصة وابيحت المحظورات عند الضرورات ، وابيح ترك الفرض والواجب اذا كان فى اداء أحدهما حرج (تاريخ التشريع الاسلامى) واعتبر الاكراه والمرض والسفر والخطأ والنسيان والجهل من الاعذار التى تقتضى التخفيف .

المبدأ الرابع : مسايرة التشريع لمصالح الناس .. وبرهان ذلك أن الشارع علل كثيرا من أحكامه بمصالح الناس ، ودل بالشواهد على أن المقصود من تشريع الاحكام هو تحقيق مصالح الخلق ، وقرر ان الاحكام تدور مع عللها وجودا وعدما ، ولهذا شرع الله بعض الاحكام ثم أبطلها ونسخها حين اقتضت مصلحة الخلق تعديلها ، فقد فرض الاتجاه فى الصلاة الى بيت المقدس ، ثم نسخها وفرض الاتجاه فى الصلاة الى الكعبة ، وفرض عدة المتوفى عنها زوجها حولا ، ثم نسخها وفرضها أربعة أشهر وعشرة أيام .

وهذا النسخ والتبديل والتعديل فى وقت التشريع برهان على أن التشريع الاسلامى ساير مصالح الناس ، ومن مصالح الناس ان تراعى عاداتهم وما جرى به العرف مادام لا يجلب ضررا ولا يعارض أصلا دينيا .

وحين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان عدد آيات الاحكام المتعلقة بالعبادات والجهاد نحو ١٤٠ اية ، وعدد الآيات المتعلقة بالمعاملات والاحوال الشخصية والجنايات والقضاء والشهادة نحو ٢٠٠ آية . وعدد احاديث الاحكام فى انواعها المختلفة نحو ٤٥٠٠ حديث .. كما ذكر ابن القيم ..

وفيما عدا ذلك .. ترك العقل حرا وتمام الحرية فى الاجتهاد .. وبموت الرسول .. اسدل الستار على هذا النموذج من الحكم الالهى .. وبدأ عصر الراشدين ...

أحمد بهجت

صلاح عبد الصبور

مشارف الخمسين

فى زمننا الشعرى الأول

كان لات الشعر وعزاه فى زمننا الأول هما محمود حسن اسماعيل وعلى محمود طه . إذ لم تكن الأصوات العربية تصل الينا . فلست أذكر انى قرأت « الياس أبو شبكة » أو « عمر أبو ريشة » أو « محمد مهدى الجواهرى » إلا حين أوغلت فى دروب الشعر . فكانت قراءتى لهذه الأصوات قراءة المستطلع الناقد ، لا قراءة المحب الشغوف . ولكن ثلاثة من شعراء العصر العرب استطاعوا بالصدفة المحض أن يدخلوا الى عالمنا الصغير فى المدرسة الثانوية ، وأن يزاحموا محمود حسن اسماعيل وعلى طه فى وجداننا . وإن كانت حبة القلب لهذين الشاعرين . وكان لكل من هؤلاء الشعراء الثلاثة طريقة . فقد غنى عبد الوهاب لأولهما ، وهو ايليا أبو ماضى قصيدته الطلاسم ، فالتمسنا القصيدة كاملة فى مكتبة بلدية الزقازيق ، وهناك نسخناها فى كراساتنا ، وأحببنا الشاعر حباً قريبا من الفتنة ، وإن كان صوته ظل غريبا عما ألفناه من الشعر العربى ، إذ أن ايليا ابو ماضى شاعر مرهف العقل كما هو مرهف الحس . وكان ثانى هؤلاء الشعراء وثالثهم هما أبو القاسم الشابى التونسى والتيجانى يوسف بشير السودانى . ولقد ساقنا إليهما أديب من أدباء ذلك الزمان هو « محمد فهمى » الذى جمع لهما ولثالثهما الهمشرى المصرى كتاباً من المختارات . وكان ما يربط بينهم جميعا هو أنهم لقوا الموت فى شرخ الشباب .

ولم يكن محمد فهمى ـ متعه الله بالعافية إن كان حياً وبالخلد إذا كان قد اخترمه الموت ـ لم يكن غريبا عنى ، فهو بلدياتى ..ننتمى معا لنفس المدينة الصغيرة ، وكان زميلا لأحد أخوالى فى الدراسة الثانوية ، وحين حصل على شهادته الثانوية فى عام ١٩٣٧ فيما أذكر عين موظفا بمصلحة الرى . ولقد قرأ فهمى ذات يوم كتاب « توفيق الحكيم » الدافىء الرفيع ... زهرة العمر ... فرآه يتحدث عن باريس والفن وتمثال الفريدى دى موسيه الرابض فى الميدان ، فاقتصد محمد فهمى من مرتبه القليل ، وشد الرحال الى باريس ، ليكون راهبا من رهبان الفن والفكر ، ولكن باريس كانت اقسى عليه مما ظن وخال ، فأنفق فى رحابها شهورا عاد بعدها وقد فقد عمله ومدخراته . ومن ذلك اليوم حتى هجر محمد فهمى مصر منذ ما يزيد عن عشرة اعوام وهو يعيش فى أرجاء القاهرة عيشة الفنان الذى لا يقيم وزناً لجوع أو شبع ، ولا يأبه هل اطلـه سقف أم أظلته السماء .

ولقد كان فهمى قليل الانتاج ، فقد كتب فى هذه السنوات التى تزيد عن ربع قرن بعض الاشعار وبعض المقالات ، وجمع هذا الكتاب عن البلابل الثلاثة التى اخترمها الموت ، وربما كانت ابدع قصيدة كتبها فهمى هى حياته التى نذرهالليل والمشى فى مناكب المدينة والسمر مع الاحباب . وكان فهمى لمكانه من اسرتى يعدنى أحد اتباعه ، وكنت أمد له حبل الولاء راضيا رعاية لهذا المكان . ولكنى كثيرا ما أذكر له أن أبى فزع فزعاً شديدا حين كاشفته بأننى أريد أن أكون كاتباً وأديبا ، وقال لى فى لهجة بالغة الاستنكار :



كامل الشناوى

ـ هل تريد أن تكون صعلوكاً مثل فهمى ؟

وعندئذ كنا نتضاحك ، ونسرى عن انفسنا بأن أهل الدنيا لا يفهمون أهل الفن ... من أمثالنا .

ولقد مرت السنوات منذ عرفت فهمى حتى تخرجت فى الجامعة ، وعملت فى الصحافة ، وأصبح لى مكان ضئيل فى دولة الأدب ، وقلت لفهمى ذات مرة إن صحفيا كبيرا و شاعرا هو كامل الشناوى يؤثرنى بمكان فى نفسه ، وأننى استطيع أن اخاطبه ليجد لفهمى مكاناً فى جريدة « الجمهورية » . وقال لى فهمى بدون حماسه : كامل ... أعرفه منذ عشرين عاما .. ماذا يفعل الان ؟

ـ هو رئيس تحرير جريدة الجمهورية

ـ كلمه إذا أردت ...

وكلمت كامل الشناوى ، ورحب كامل بالفكرة ، وإن كان قد افاض فى التنـدر عليـه . وذهب فهمى إلى كامل الشناوى ، ثم لقيته بعد ذلك ، فلم يحدثنى عن نتيجة مسعاى . وسألت كامل الشناوى ، الذى كنا جميعا نناديه بكامل بك إكراماً للبكوية التى نالها حين كانت فى مصر رتب والقاب ، وحرصاً على أن ننادى من نحب بأحب الاسماء إليه عملا بالوصية المعروفة . وقال كامل :

● ثلاثة من شعراء العصر العرب استطاعوا بالصدفة أن يدخلوا عالمنا الصغير محمود حسن إسماعيل كأمنية أولى .. وعلى محمود طه كأمنية رابعة أو خامسة

● كان زكريا الحجاوى يحتفى بصغار الأدباء يفسح لهم فى مجلسه ويفيض عليهم من مجاملته


أبو القاسم الشابى


التيجانى بشير


عمر ابو ريشة


الياس أبو شبكة

ـ لقد دخل على فهمى شديد الكبرياء فاترا كانه كان معى بالامس فقط ، وأخذ يقول لى : إزيك ياكامل .. عاوز منى إيه ياكامل ...

وأضاف كامل الشناوى :

ـ لقد خاطبنى كأننى أنا محمود فهمى ، وهو كامل الشناوى ..

زمن مضى بأهله وناسه ، فكانه وكأنهم أحلام كما يقول الشاعر القديم

● ●

هذا هو بعض حديث فهمى وشعرائه المختارين ، ولكنى لو كنت سئلت وأنا انزل القاهرة طلباً للعلم فى الجامعة فى عام ١٩٤٧ عن أول ما أريد أن اراه فى القاهرة ، لقلت دون تردد : محمود حسن اسماعيل كأمنية أولى .. ثم على محمود طه كأمنية رابعة أو خامسة .

ولقد اسعف الزمان ، ورأيت محموداً فى أوائل ١٩٤٨ .

كان يزاملنا فى الجامعة ، ويتقدمنا ببضع سنين طالب متعدد المواهب ... يغنى ويمثل وينشد الشعر ويلقى الفكاهات هو جمال أبو رية .. كاتب أدب الاطفال .

سالنى مرة : لماذا لا تأتى لتجلس معنا على قهوة محمد عبد الله فى الجيزة ؟ .

وسألته : ماذا فيها ؟

وقال : مجموعة من الادباء تعال لأعرفك بهم .

وذهبت معه الى القهوة أو المقهى .. إن أردت الصحة اللغوية ، وكان قطبا المقهى هما زكريا الحجاوى وأنور المعداوى .

كان زكريا الحجاوى أقرب الى القصر والسمنة ، يتحدث إليك فى صوت منغوم عذب ، ويحتفى بصغار الادباء فيفسح لهم فى مجلسه ويفيض عليهم من مجاملته وتقديره . ولم يكن لزكريا عمل نعرفه آنذاك ، وكلنا أدركنا أن له مكاناً فى إحدى المصالح الحكومية لا يكاد يراه . وعرفنا أيضاً أنه شىء بين الفيلسوف والفنان ، وأن له مذهباً أدبياً يروج له ، كما أنه محب للموسيقى ، وبخاصة موسيقى سيد درويش .

كان خيال زكريا رحمه الله يضيق بواقعه ، وكثيرا ما كان يحدثنا بحكايات عن لقائه ببعض الأدباء العالميين وحديثه إليهم ، ولا نكاد نسأل أنفسنا متى تم هذا اللقاء حتى نكتم هذا الخاطر السخيف ، ونقنع بالسياحة مع خيال زكريا فى الآفاق الممتدة للزمان والمكان .

وكان أنور المعداوى طويلا جسيما . أبيض الوجه لامع الشعر ، أول ما يأخذ عينيك فيه هذه الثقة فى نبرات الصوت والايحاء ، وكان عندئذ أحد كتاب مجلة « الرسالة » المرموقين .

لقد أسمعت كلاهما شعرى ، واستقبلاه استقبالا مجاملا ، الى أن سألت أنور ذات يوم قائلا : هلى لى أن أرى محمود حسن اسماعيل ، فلقد ذكرت أنه صديق لك ...

وضحك أنور ضحكته المجلجلة ، وأشار إلى ركن فى المقهى قائلا :

ـ هذا هو محمـــود .. قم بنا أعرفك بـــه .

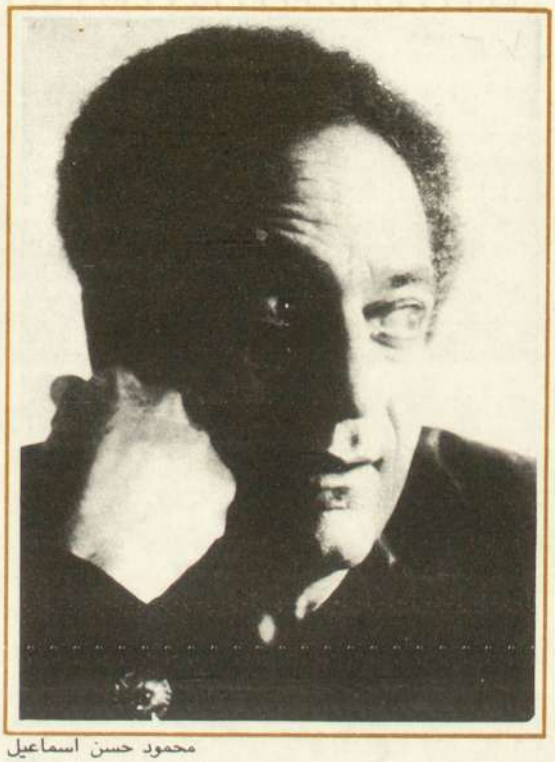
وجلسنا إلى محمود فى حياء .. من جانبى على الاقل .. وقدمنى إليه أنور قائلا :

ـ فلان طالب فى كلية الآداب ... وشاعـر ...

وأخذت أتأمل فى وجه محمود ... وجه صعيدى حاد الملامح وسيمها .. وعينان غريبتان احداهمـا أوسع من الأخرى وأكثر حدة وتحديقاً ، وصوت قوى ولكن فيه نبرة من الضيق .

واسمعت محمود بعض شعرى فى ذلك الزمان ، ولا أعلم هل أرضيته أم أسخطته ، ولعله كان قد سمع كثيرا من أمثالى فما عناه عندئذ أن يزيدوا واحدا . وكنت عندئذ لم أتم السابعة عشرة من

كان أقرب الشعراء إليه هما المتنبّى وأبو تمّام .. وكلاهما من كبار الشعراء وكبار المدّاحين



محمود حسن اسماعيل



على محمود طه



زكريا الحجاوى

عمرى بعد ، وها أنذا أطوى بعدها سنوات لأجد محمود حسن اسماعيل صديقا عزيزا ، وأجمع على مدى عشرين عاما أو تزيد ، من شذرات لقاءاتنا أفانين من الشعر والمودة والصفاء ...

• •

لم يكن ما يصدر من دواوين الشعر ليوجد فى مدينتنا الصغيرة بين اعوام الأربعين والخمسين ، فكنا نلجأ الى المكتبة العامة المسماة بمكتبة البلدية ، وفيها قرأت جبران خليل جبران وأتممت قراءة المنفلوطى الذى رأيت عبراته ونظراته فى بيتنا ، كما قرأت روايات روكامبول والفرسان الثلاثة وغيرها من ادب المغامرات مترجما الى العربية بقلم طانيوس عبده وسواه .

وفى مكتبة البلدية وجدت أول ما وجدت لمحمود حسن اسماعيل ديوانه « الملك » ومن نافلة القول أن اذكر أن هذا الديوان كان تعس الحظ إذ انه لم يطبع إلا طبعته الاولى ، إذ تغير الحكم فى مصر فى عام ١٩٥٢ ، بل أن محمود نفسه كان يفزع لذكر ذلك الديوان كأنه ثمرة خطيئة قديمة . ولم يكن الديوان يمثل لى شيئا عندئذ إلا جماله الموسيقى والفنى ، فلم أكن منذ وعيت محبا لملك مصر السابق . ولكن قراءة شعر هذا الديوان كانت تلقى أمام عينى غلالة رقيقة تحجب هذه التفاصيل العابرة ، ولا يتألق من خلالها إلا الشعر وحده .

والواقع أن شعر محمود حسن اسماعيل فى الملك فاروق نمط من أروع الشعر . فهو ليس شعر مناسبة استجداء فلم ينل محمود من الملك شيئا يذكر كما حدثنى فيما بعد ، ولكن هذا الشعر شعر محبة ، فلقد خيل لمحمود ذات يوم أنه جدير بأن يقف من فاروق موقف المتنبى من سيف الدولة ، وخيل له وعيه السياسى المحدود أن الحياة لابد أن يكون فيها ملك وشاعر ، وأن ما هو غير ذلك هباء وهواء . ولعل مما ساعد «محمود» على هذا التصور أمران ، أولهما أنه نشأ فى ظل التراث العربى ، وكان أقرب الشعراء إليه هما المتنبى وأبو تمام ، وكلاهما من كبار الشعراء وكبار المداحين ، وثانيهما أن محمود حسن اسماعيل كان يلوذ فى مطلع شبابه بزعيم الاحرار الدستوريين فى مصر محمد محمود باشا وهو سليل أسرة من اعرق الاسر المصرية ، وهو أيضا الخصم الأول لمصطفى النحاس زعيم الوفد وزعيم الحركة الشعبية المصرية ولقد حدثنى محمود حسن اسماعيل ذات يوم كنا فى بلدته بصعيد مصر ، وهى قريبة من بلدة محمد محمود باشا ، أن هذا الباشا كان يحبه ويؤثره ، رغم الفارق الكبير بينهما من حيث الاصول الاجتماعية بل كان يقدمه على بعض «الذوات» من اعوانه .

ولقد قاده حبه لمحمد محمود باشا الى مدح فاروق ، ولم يكن مدحا مما جرت به العادة عند اوساط الشعراء ، ولكنه مدح عالى القدر من الفن ملىء بالصور البيانية الرائعة ، جليل بالايقاعات والوشى الموسيقى . لقد صدر هذا الديوان فى عام ١٩٤٦ ، وحين قرأناه (أنا وأصحابى فى المدرسة من شداة الشعر) أوشكنا أن نحفظه ، ثم قادنا

● أما التحدى الثانى فهو نشوء حركة الشعر الحديث بما أرسته من آفاق جديدة



محمد محمود باشا



مصطفى النحاس

هذا الديوان الى ديوانيه السابقين ... أغانى الكوخ ... وهكذا أغنى .

وأكتملت بقراءة هذين الديوانين دائرة العشق ، ورجعنا الى الصفحة الاولى لنجد أن أولهما قد صدر فى عام ١٩٣٥ ، وصاحبه طالب فى دار العلوم ، وثانيهما قد صدر فى عام ١٩٣٨ . وفى الديوان الأول لا ملك إلا الشعر ذاته ، ولا ملهم الا الريف المصرى بنخيله وزهره وسنابله وغربانه . أما فى الديوان الثانى فقد بدأت النغمة « الملكية » تستأثر ببعضه ، فى لهجة ناضجة متمكنه .

فاروق حبك فى القلوب عقيدة
أخذت سراها فى القلوب مع الدم
قسمت مع الايمان قدس مكانه
فى الروح ، وهو لغيرها لم يقسم
والشرق يقرأ فى جبينك آية
فجر الربيع بنورها لم يوسم ... الخ

ولكن « فاروق » لا يستأثر فى هذا الديوان إلا بثلاثين صفحة من صفحاته التى تجاوز المائتين . أما بقيتها فهى حديث شاعر يخلع على الطبيعة اثواب خياله ، ويتغنى بمواجده واحزانه ، وهو الى ذلك يمتلك قدرة لا تطال على تكوين الصورة الشعرية ولم عناصرها على غير ما ألف جيله من الشعراء حتى ليكاد يصدق فيه ما قيل عن أبى تمام من أنه قد تجاوز عمود الشعر التقليدى الى عمود شعرى جديد .

إن عناصر خيال محمود حسن اسماعيل تختلف كثيرا عن عناصر خيال الرومانسيين من معاصريه ، فهم يذكرون لك الورد والطير والشجر والأسى ، أما محمود فقاموسه غريب عنهم . إن قاموسه هو التهاويل والجنون والرفات والهشيم والهياكل والرهبان والبوم والدجى والصخور والضجيج .... عالم مليىء برقة كأنها العنف وموسيقى كأنها الصخب .

استمع إليه يصف نفسه حين غابت عنه حبيبته :

جاثم فى التراب كالأمل الخا
ئب فى خاطر ذبيح الشكاة
كالشجى فى اللهاة كالسهم فى المه
جة كالموت فى ربيع الحياة
كرمام القبور كالبيدر المهجور
كالرجس فى جنوب العصاة
كأنين الغريب فى وحشة الليل
كلطم النوادب الثاقلات
كنشيج الأيتام ملوا من الدمع
رمالوا برعشة الاهات
كجبين المشنوق خط عليه الموت
أسكار عمره النحات
هكذا صرت بعد ما غبت عنى
فى الأسى والنحوس ضاعت حياتى

● ●

تغيرت الحياة فى ناظرى محمود حسن اسماعيل بعد عام ١٩٥٢ ، وبخاصة وقد نقلته الحكومة الجديدة من عمله بالاذاعة الى التدريس وهو عبء أكبر من أن تطيقه روحه القلقة ، هنا لاذ محمود فى شعره الذى ابدعه بعد ذلك بعالمه الداخلى ، يحاول أن يستقطر فمه بعضاً من حكمة الحياة والموت . وكان ذلك هو التحدى الأول لموهبته التى نشأت فى ظل التراث العربى المعنى بظاهر الحياة ، وما فيها من ألم الجب أو لذة المدح والهجو . أما التحدى الثانى لتلك الموهبة فهو نشوء حركة الشعر الحديث بما أرسته من آفاق جديدة للشعر وأسلوب جديد للموسيقى الشعرية .

ولقد قال لى محمود أكثر من مرة انه أول من شق للشعر الحديث طريقه وأسمعنى بعض شعره التفعيلى الذى كتبه فى أواسط الثلاثينات ، ولعله كتب هذه الخاطرة فى إحدى المجلات بعد ذلك . ولقد وافقته على أنه من رواد الشعر الحديث إذا عنينا بالحداثة حداثة التجربة واصالتها ، ولكن واقع الامر أن دواوين محمود حسن اسماعيل التالية لديوانه الرابع (أين المفر) كان فيها سعى شاعر عظيم إلى امتلاك المعانى التى لاتتصل بالتجربة والانفعال بقدر ما تتصل بالتأمل والفكر .

● ●

قلت لأنور المعداوى ، وكانت له مقالات متتابعة فى «الرسالة» عن « على «محمود طه » الذى نسب إليه مذهبا فى الشعر هو مذهب « الاداء النفسى » .

– اريد أن أجلس إلى على طه .

وقال لى أنور :

– إنه لا يأتى إلى هذا المقهى ، ولكنه يجلس فى محل « جروبى » بميدان سليمان باشا .

وذهبت الى جروبى عدة مرات ، واختلست النظر حتى رأيته ... هيئته ليست هيئة شاعر ، ولكنها هيئة عين من الاعيان . وخفت رهبة المكان ، فخرجت .

ولم يسعف الزمان فمات على محمود طه فى عام ١٩٤٩ ، وبعدها بقليل مات الاعجاب به نفسى . وأكاد أقول ان على طه لم يعد يقرؤه أحد من شداة الشعر فى هذا الزمان رغم أنه كان يوماً نجما لامع البريق .

....لنحاول معا كشف هذا السر فى حديث قادم .

صلاح عبد الصبور

زاوية الرأي



كلمة السر في وجه العاصفة

العالم كله يعيش هذه السنين ، بل هذه الاشهر ، مناخ تغيير كبير ... ومن الضروري والمصيري أن ندرك حقيقة ذلك لنستعد لمواجهته ، ونحوله الى عنصر قوة لنا ، بدل أن يجرفنا باندفاع حركته المذهلة ونحن نتفرج مشدوهين ونوزع بيانات «الادانة» لهذا الحدث «والاستنكار» لذاك :

● الوضع العالمي كله تحول من الوفاق الى الحرب الباردة بين الكتل الدولية . وهذا لا يعني مجرد تغيير في المواقف السياسية . إنه يعني تحولات في المواقف العقائدية والاجتماعية والنفسية وتبدلا أساسيا في تفكير قيادات الدول الكبرى وطريقة رؤيتها لحقائق العالم .

● في عالمنا العربي حدثت تغييرات وتبدلات لا داعي للدخول في تفاصيلها لأنها أصبحت واضحة ومفهومة لدى المواطن العربي وخلاصتها ان انقلاباً في المعادلات العربية قد حصل قومياً وفكرياً ونفسياً . وهذا التحول لم يؤد الى نتيجة ثابتة بقدر ما فتح المجال لتطورات لاحقة مجهولة ، في ظل التشتت الحالي الذي أحدثه . ومن علائم هذا التشتت والقلق تلك الاحداث الفجائية العنيفة التي تظهر على السطح في البلاد العربية ، مع ما يرافق ذلك من اشتداد التيار السلفي بين الاوساط العربية الشابة على امتداد العالم العربي ، في ظل خيبة عميقة من الغرب وحضارته ومسلكه السياسي ، وفي ظل العجز العربي ذاته تجاه اسرائيل ثم تجاه الغزو الروسي لأفغانستان ، مع الاخفاق في استيعاب حضارة العصر بشكل فعال ، وافتقاد حس الحرية والعدالة ، في معظم التجارب القائمة وأكثر الاوضاع الراهنة .

● وفي العالم الاسلامي الكبير المحيط بنا لا يقل الأمر خطورة عما هو عليه في الوطن العربي ، ففي ايران ذهب نظام عمره أكثر من خمسين سنة بكل ما كان يمثله من اتجاهات وأفكار وعلاقات ، وجاء نظام مختلف عنه تماماً بكل مؤثراته ومتغيراته الداخلية والاقليمية والدولية . وفي أفغانستان جاء تواجد قوة كبرى توسعية وذات صبغة ايديولوجية معينة ، بكل مخاطره وما يترتب عليه من نتائج في هذه المنطقة الحساسة من العالم أما في تركيا فتتعرض تجربة أخرى عمرها خمسون سنة أيضاً لاهتزاز عنيف . إن التجربة الكمالية التغريبية تنشطر اليوم في تركيا بين الاستقطاب اليساري والاحياء الاسلامي . ولا ندري كيف ستستقر الأمور في النهاية ولكن المؤشرات تدل على أن تخمرات عميقة تنضج تحت السطح .

● في الشرق الجديد المستيقظ لا تقل علائم التغيير عمقاً ودلالة . ففي الصين جاءت قيادة جديدة مختلفة عن القيادة القديمة في تفكيرها وتعاملها مع الوضع الداخلي والدولي .

وفي الهند ذهب اتجاه سياسي وجاء مكانه اتجاه آخر مضاد له بنظرة جديدة الى الداخل والخارج على حد سواء .. هذا حتى لا نذكر التحولات والتقلبات التي نسمع عنها كل يوم في القارة الأوربية المشهورة باستقرارها ، وفي اسواق الذهب والعملات الصعبة ، وفي بلدان افريقيا وأمريكا اللاتينية ..الخ .

● ومن حسن حظ العرب إن التيار العنيف من العاصفة يدور في الشريط المحيط بهم ولم يضرب في العمق العربي بعد .. أقول من حسن حظهم .. لأن التاريخ ـ ربما للمرة الأخيرة ـ قد اعطاهم الفرصة لرؤية هذه الاحداث العاصفة عن قرب ، والاتعاظ بها ، وأخذ العبرة من معانيها ، ليتفادوا حدوثها عندهم بالشكل المخيف الذي حدثت به عند جيرانهم وليدركوا بوضوح وصراحة : أن التغيير التاريخي أمر لابد منه ، ولا يمكن التهرب منه ، والتحايل عليه ، وتأجيله بالمهدئات والمسكنات .

● لايمكن تغيير جزء من المجتمع وترك الجزء الآخر على وضعه القديم .

● ولا يمكن السير على النهج التقدمي في الصناعة والتنمية والاقتصاد والسير على النهج المحافظ جداً في التقاليد الاجتماعية ووضع المرأة في المجتمع فذلك تناقض وازدواجية ، بل انه علة الانشطار والصراع والتمزق .

● التنمية في الصناعة .. تحتم التنمية في التفكير والمعرفة .

● التنمية في التربية .. يجب أن تواكبها تنمية في الحياة الاجتماعية .

● التنمية في الحياة الاجتماعية .. تتطلب التنمية في الحياة السياسية وقس على ذلك ...

● إن النمو المتكامل هو ضمانة المستقبل .

● ولا يمكن أن يعيش مخلوق ، فرداً كان أم جماعة ، إذا تنامت عضلاته ـ مثلا ـ وبقي عقله أو قلبه محدود النمو .. هذا ضد قانون البقاء .. ذلك القانون الذي نعلمه لصغارنا في المدارس عندما نقص عليهم نبأ انقراض الديناصور .. فهل يجوز أن ننسى هذا القانون الحتمي عندما نفكر في بقائنا كأمة ومجتمعات وأوطان ؟ .

« التقدم والتغيير ـ بشكل متوازن ـ في كافة مجالات الحياة » هذه كلمة السر في عالم اليوم ... بل خشبة الانقاذ لمن أراد أن يحيا ...

دكتور محمد جابر الأنصاري



هواية الصقور فى قطر

تحقيق نادية رزقى عدسة : كمال راشد

عندما سأل أبو جعفر المنصور أبى دلامة عن أحب أنواع الطيور إلى قلبه قال : أحب الصقر الطويل النفس ، الأسود الجنس ، إذا صاد أشبع ، وإذا أمات أوجع ، يصيد الكبير ويعفو عن الصغير .

وهذه العبارة تلخص ميزات الصقر الجيد حتى وقتنا الحاضر ..

وهى ميزات يضعها دائما فى الحسبان هواة الصقور فى قطر ، فهم يقتنون انواعا عديدة من الصقور منها الباز ، واحسن البزاة ما خف ريشه مع حدة فى عينيه واتساع واحمرار ، ورأسه صغير وعنقه طويل ، وله ساقان ضامرتان ، وفخذان مملوءتان باللحم ..

ويقال عن الباز أنه اسرع من السهم ، لأن طيرانه سريع وهو محب للنظافة ، ويقبل على المدرب النظيف ويجلس مطمئناً بين يديه ، وينفر من الشخص كريه الرائحة ويصل حد النفور إلى درجة التأثير فى شهية الصقر ورغبته فى الصيد ! .

أمهر الصيادين

ومن الانواع الأخرى التى يحبذ اقتناءها هواة الصقور ، نوع لا يتحمل الجوع الشديد ولا الشبع الشديد ، يسمى الشاهين ، يغضب بسرعة إذا ما حاول مدربه أن يؤذيه ، وهو مدلل لا يتحمل التعب والمشقة ، ولكنه من أكثر الطيور مراوغة فى تعقب فريسته من حيث الاقبال والادبار ، إلا أن ذلك لا يتم إلا فى مسافة قصيرة !

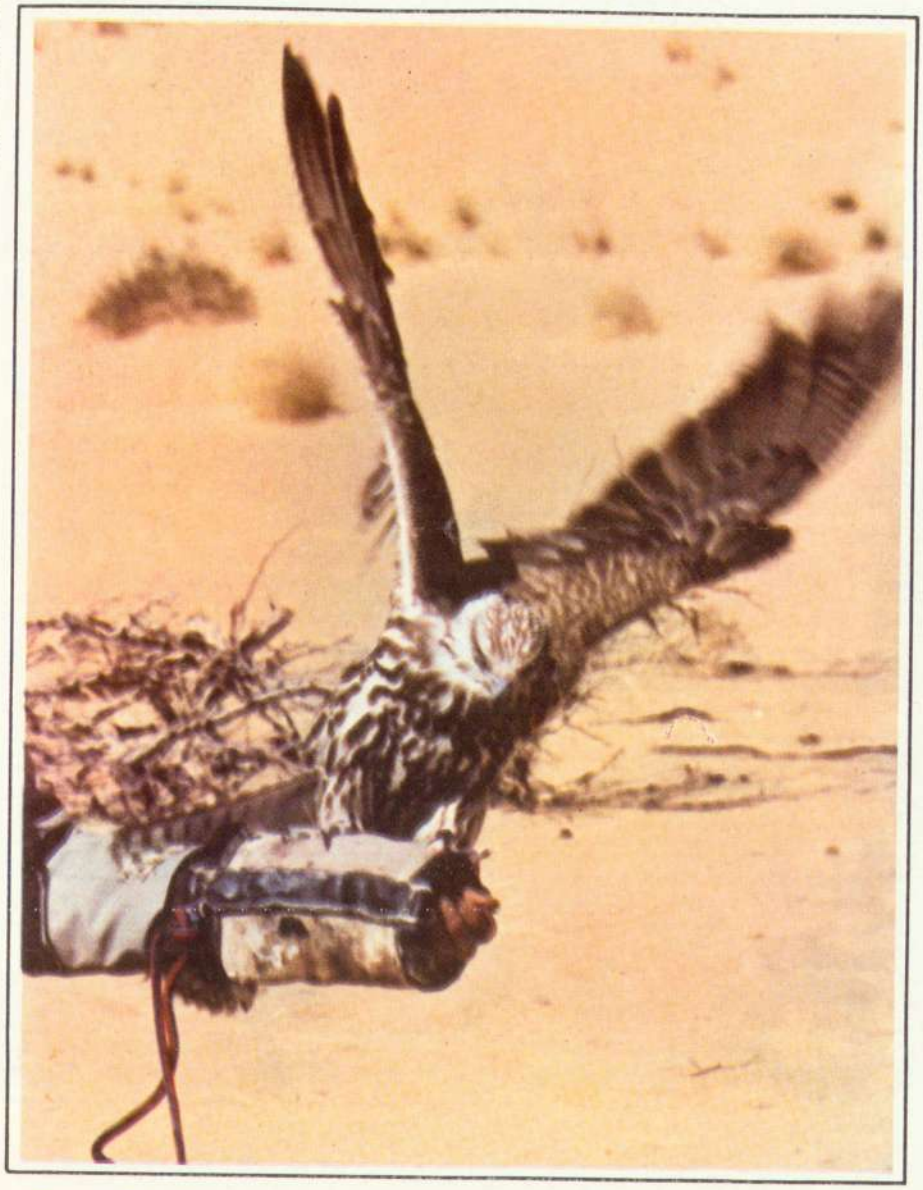
والشاهين يستغرق وقتا طويلا فى تدريبه لرفاهيته وحدة مزاجه ، كما أنه ينسى سريعا ما يتعلم .. وهو يحب العيش بالقرب من الشواطىء ويأكل من طيورها !

وعلى خلاف الشاهين ، نجد الصقر الحر يهوى الحياة فى الصحراء وفى الأجواء الحارة ، حيث يجد طعامه من الفئران والأرانب والطيور بعد جولات شاقة من البحث !

وينظر القطريون إلى هذا النوع من الصقور نظرة اعجاب ، فهم يعتبرونه من أمهر الصيادين لأنه قادر على الطيران لمسافات طويلة بدون تعب ، وطباعه

هواية الصقور في قطر

الصقر الجيد هو الصقر طويل النفس الأسود الجنس إذا صاد شبع .. وإذا أمات أوجع .. ويعفو عن الصغير!



الصقر أثناء التدريب

طائر الحبارى الذى اصطاده الصقر



عكس طباع الشاهين ، فهو يتحمل الجوع والعطش ، ولا يرفض أى نوع من الطعام يقدم إليه ..

وهناك أنواع أخرى من الصقور مثل الوكرى الحر ، وهو يشبه الى حد كبير الحر فى كل طباعه وهناك أيضاً الجرموشة ، والباشق ، وتبع الشواهين ، وأوكرى الشواهين وهى كلها من نفس فصيلة الصقور السابقة ..

موسم الصيد

وأكبر متعة للقطريين فى رحلة الصيد هى عندما يخرجون بصقورهم لصيد الحبارى ، وهو طائر له طعم الدجاج والبط ، يطير لمسافات طويلة ، وموطنه الأصلى فى أفريقيا حيث يعيش فى الحقول الفسيحة والبرارى ، ويكره العيش فى الغابات .

والحبارى عادة تحب العيش منفردة أو فى جماعات صغيرة ، وإن كانت تجد نفسها مضطرة لقبول حياة الجماعة فى وقت الهجرة ، خاصة عند الطيران من أوربا وآسيا الوسطى باتجاه الجنوب ، حيث تذهب فى الشتاء صوب باكستان والهند ، والجزيرة العربية والخليج وصحراء مصر .. وهنا يبدأ موسم الصيد ويتجه الهواة من القطريين إلى باكستان ، وسوريا ، وأحياناً بالقرب من المملكة العربية السعودية ..

وعندما سألت هواة الصيد عن معلوماتهم الأخرى عن الحبارى ، قالوا لى ان منها الصغير والكبير والمتوسط ، ولكنها تشترك كلها فى القوة وكبر الرأس وغلاظة الرقاب ، ولها أقدام بثلاثة أصابع وجناحان مستديران ، وريشها كثيف وقوى وبرغم ثقل جسمها إلا أن سرعة طيرانها فائقة .

مقاومة الصقر

وقد عرف العرب الحبارى منذ القدم ، ويروى عن أبى داود والترمذى عن يزيد بن عمر مولى رسول الله ، عن أبيه ، عن جده ، أنه قال : « أكلت مع رسول الله حبارى » .. وللحبارى طريقة فريدة فى الدفاع عن نفسها ضد الصقور ، فقد سلحها الله بكيس فى مقدمة جسمها تحتفظ فيه بسائل لزج رقيق ، وتظل تحاور فى الصقر عندما يريد اقتناصها ، وتصعد وتهبط ، وتتجه لليمين واليسار ، وعندما تجد الفرصة ملائمة ، تلقى بالسائل فى وجهه ، فاذا أصابه التصق ريشه ببعض ، وأصبح مشلول الحركة ، فتسارع هى الى الهرب سريعا .. أما إذا أخطأ السائل وجه الصقر فان الصراع يستمر وتظل المحاورة من كل الجوانب ، ويطير فوقها وتحتها حتى ينقض عليها



الامساك بالفريسة



رحلة الصيد

فى الحال ، ويأتى بها إلى مدربه الذى يسارع إلى ذبحها إذا كانت سليمة أما إذا كان الصقر قد بدأ فى التهامها فتترك له .

وفى كل مرة يصطاد فيها الصقر فريسة ، لابد من مكافأته باطعامه كثيرا من اللحم حتى يدرك قيمة المكافأة التى تنتظره عقب اصطياده لكل فريسة ..

والفريسة هنا ليست فقط الحبارى ، فالصقور تصيد البط والدجاج والأرانب وبعض الطيور الأخرى ..

أدوات الصيد

ورحلة هواة الصقور فى قطر تبدأ عندما يحصل القانص على الصقر سواء بالصيد أو بالشراء ، فعندئذ يبدأ فى تعليمه وتهذيبه ..

ومن أدوات التعليم البرقع وهو يغطى وجه الصقر كله عدا فتحة يخرج منها أنفه ، يضعها مدربه على وجهه عندما يضطرب أو يخاف من وجود الناس ، والبرقع عادة من الجلد .

ومن الأدوات أيضاً المنقلة وهى قطعة من الخيش مغلقة من الخارج بقماش سميك أو من الجلد أو المخمل وتكون قوية وسميكة لتحمى يد المدرب من مخالب الصقر الفتاكة ، وهى عادة تكون بحجم يد المدرب حتى الزند ، ولها فتحة من الأمام يستطيع من خلالها أن يخرج يده .

أما السبوق فهو الخيط الذى يربط من أحد طرفيه أرجل الصقر والطرف الآخر يربط فى أداة تسمى المرسل ، وهى عبارة عن خيط مكون من ثلاثة أجزاء يفصل بينها مشبك من الحديد بمنتصفه صامولة تدور فى كل اتجاه ، وهى تسمح للصقر أن يتحرك بسهولة ، والجزء الثالث من المرسل يربط فى الوكر وهو عبارة عن وتد من الحديد رأسه اسطوانية ، محشوة بالقش ومكسوة بجلد طرى ، ويقف عليه الصقر للراحة بعد الأكل ، ويثبت هذا الوكر فى الأرض جيداً حتى لا يتارجح يميناً أو يساراً .

وغير ذلك هناك المخلاة ، وهى كيس يضع فيه المدرب الحمام الحى الذى يستخدمه كطعم لارجاع الصقر إذا ما طار بعيدا ، كما يضع فيه بعض قطع اللحم ، وسكينا لذبح الفريسة بمجرد اصطيادها !

تدريب الصقور

ولا يستطيع المدرب تدريب أكثر من صقر واحد خلال موسم الصيد ، غير أن هناك قلة تستطيع تدريب اثنين من الصقور فى وقت واحد ، وهذا دلالة على

هواية الصقور في قطر

أن التدريب يستغرق وقتاً ومجهوداً ..

يبدأ المدرب بتغطية عينى الصقر حتى يتعود على صوت صاحبه ويألفه وهو يطعمه ، حتى يأنس صوته ، ثم يضعه على الوكر ليهضم فى هدوء .

وقبل أن يرفع المدرب البرقع عن عينى الصقر لابد من التأكد من أنه قد ألف صوت صاحبه واطمأن لوجود الناس ، وبعدها يبدأ المران الفعلى وذلك بربط قدم الصقر بحبل وابتعاد المدرب عنه لمسافة قريبة ومناداته ، وعندما يتأكد مساعد المدرب من أن الصقر قد التفت ناحية الصوت ، يرفع عنه البرقع بسرعة فيتجه الصقر ناحية صاحبه الذى يعطيه بعض الطعام مكافأة له ..

ثم يكرر المران بمسافة أكبر ، ويظل ينادى على الصقر ، ليبدأ المران الفعلى عند وصوله فى هذه المرة إلى يد صاحبه الذى يراوغه وفى يده قطعة لحم مغطاة ببعض الريش على شكل أحد الطيور ومربوطة بحبل فى يد الصياد ويحاول الصقر الامساك بالطائر بينما المدرب يجذب الحبل يتركه ، حتى يتمكن الصقر فى النهاية من الانقضاض على الفريسة ، وفى هذه الحالة لابد لمدربه من أن يضع أمامه كل اللحم حتى يشبع تماماً ، ثم يأخذه إلى المنجلة ليستريح !

ويستمر التدريب مرتين يومياً ، وبملاحظة التحسن فى الانقضاض ، يطلق الصقر بدون الحبل ليطارد فريسته حتى يمسك بها ، وهنا يكون الصقر قد انتهى تدريبه ، وتحول إلى طائر يطيع أوامر مدربه بصورة عمياء !

ولابد لكل مدرب من أن يهتم بصقره ويرعاه نفسياً وصحياً ويعامله بطريقة تدل على العطف والحب ، فيربت على ريشه فى حنان ، وقد يحدثه ، وينظف ريشه باستمرار لحمايته من الأمراض ، ويعتنى بطعامه ويختاره له حسب مزاج الصقر نفسه ، وحتى أثناء الهضم يقف المدرب لملاحظة طريقة هضم الصقر وهل هى سليمة أم أنها تحتاج هى الأخرى لمران خاص !



عرض الصقور



صقر يطارد فريسته

● لابُدّ لكل مُدرّب أن يهتمّ بصَقرِه ويَرعاه نفسيًّا وصِحّيًّا.. وأن يعامله بعطف وحُبّ



المكافأة بعد رحلة الصيد

والواقع أن هواية الصقور تجرى فى دماء أهالى قطر وأهالى الخليج بصفة عامة فهى جزء من التراث العربى ، وكتب التراث نفسها تذكر أن أول من صاد بالصقور ودربها كان الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة ، فبينما هو واقف ذات يوم وبجانبه صياد نصب شبكته لاصطياد العصافير ، وبعد أن اصطادت الشبكة عصفوراً ، انقض عليه أحد الصقور وأخذ يأكله ، وما لبثت أن علقت الحبال بجناحى الصقر ، فأخذه الحارث الى بيته وصار يطعمه ويسقيه ، ويحاول تعليمه القنص ، وبينما هو سائر مرة بالطريق رأى الصقر حمامة فطار وراءها حتى امسك بها والتهمها ، فأمر الحارث بتعليمه وتهذيبه .. ومنذ هذه الحادثة عرف العرب رياضة القنص بالصقور ، فكان أشهر من صاد فى فجر الأسلام حمزة بن عبد المطلب ، أما فى العصر العباسى فكان أبو العباس ، والرشيد ، والمعتصم الذى كان يخصص مبلغاً كبيرا من ميزانية الدولة لنفقات الصيد .

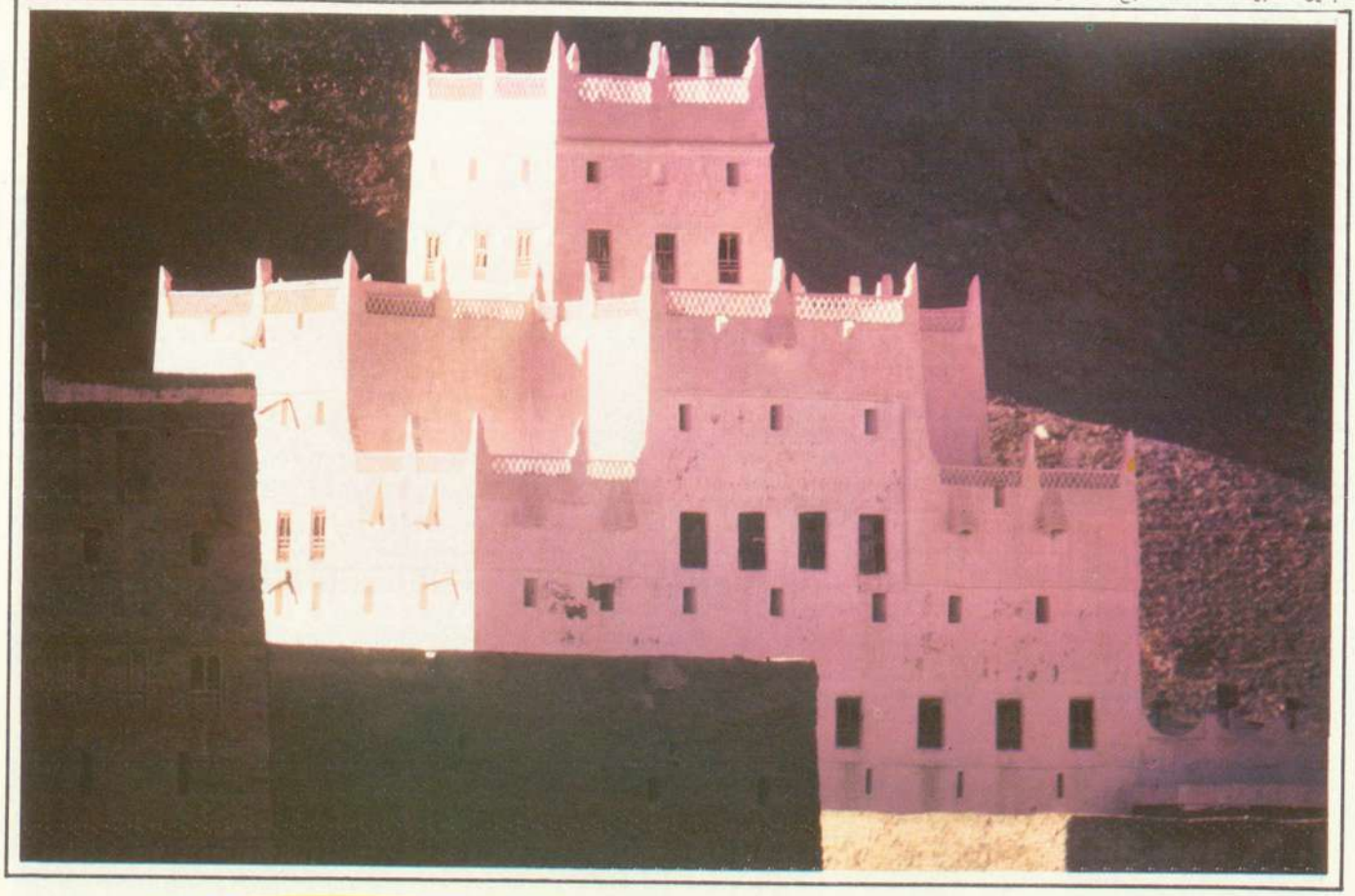


عقب العودة من رحلة الصيد

وتعد رحلة الصيد بالصقور هواية محببة يمارسها القطريون بمهارة ، وعادة يخرج الهواة فى مجاميع كبيرة لاتقل عن عشرين شخصاً ، ويصل عددهم أحياناً الى ستين شخصاً أو أكثر ويتجهون بقافلة من السيارات إلى أماكن الصيد المعروفة لديهم حيث تنتشر السهول والوديان التى توجد بها الطيور والأرانب والبط وخلافه ، وهنا تنطلق السيارات بالصيادين ، يحملون فوق أيديهم الصقور المغطاة العيون ، التى تنتظر لحظة الانطلاق ، لتدخل فى سباق مع الفريسة ينتهى غالباً بانتصار الصقر والمضى مرة أخرى فى رحلة البحث عن فريسة ..

نادية رزق

البيوت البيضاء ذات الطابع الخاص



فى وادى حضرموت

استطلاع خاص لـ الدوحة بقلم الصحفى البريطانى: روبرت ستيفنز

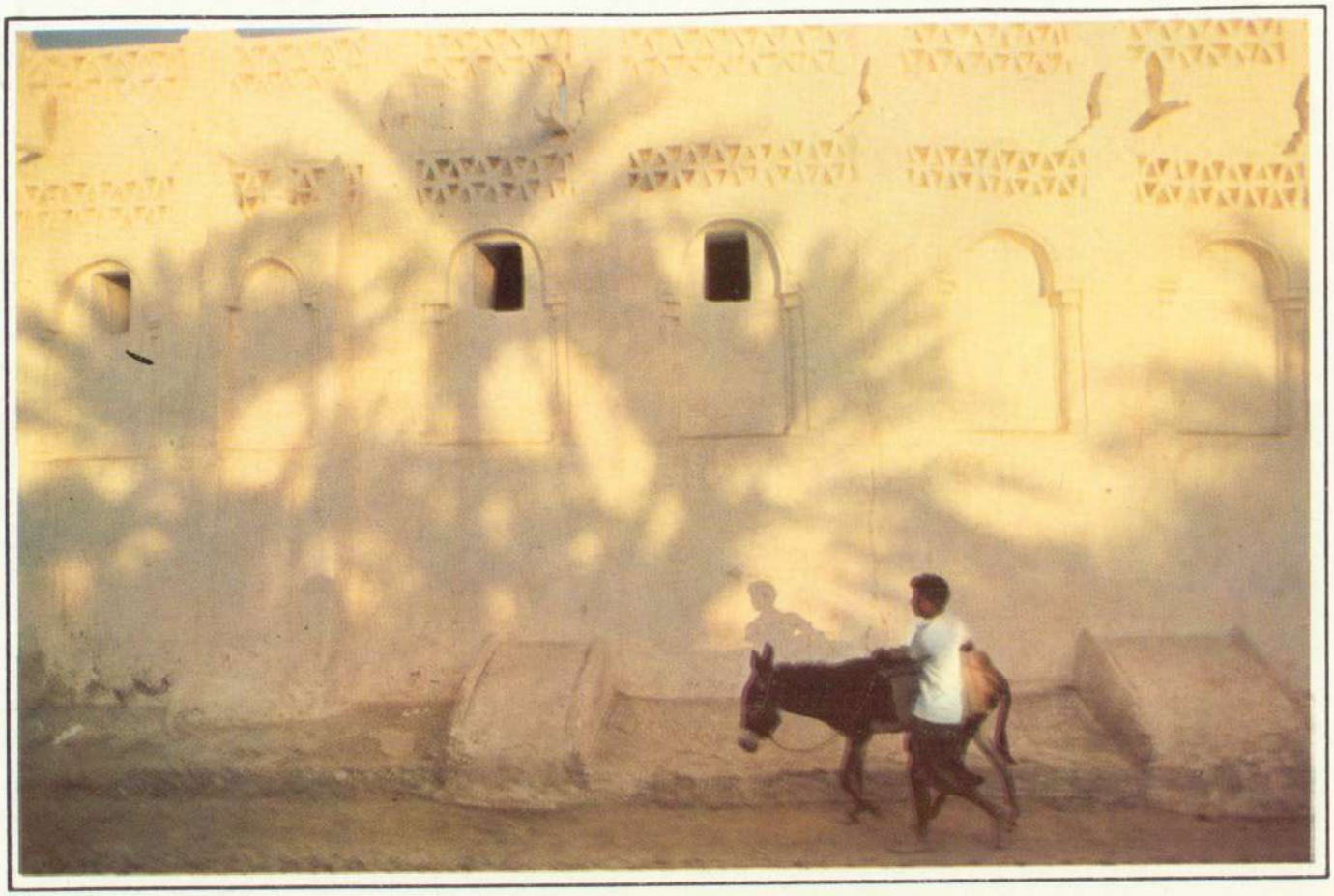
ادت ظروف تاريخية وايدولوجية شبيهة بتلك التى حاقت بالمانيا وكوريا إلى تقسيم اليمن الى دولتين: الجمهورية العربية فى الشمال ، وجمهوريه اليمن الديمقراطية الشعبية فى الجنوب . وباتت العلاقات بينهما تتأرجح بين حروبات الحدود والمناداة بالوحدة .

وتمثل الجمهورية العربية اليمنية قلب الاراضى اليمنية المحافظ ، حيث يقدر عدد السكان بستة ملايين ، وهو أكبر تعداد سكانى فى شبه الجزيرة العربية . أما الجنوب فان عدد سكانه لا يتجاوز المليون ونصف ، يعيش الربع منهم فى مدينة عدن ، الميناء الرئيسى والعاصمة . ويتفرق باقى السكان للعيش فى الجبال والصحارى التى تشكل معظم مساحة اليمن الجنوبى ، التى لا تقوم بها إلا زراعة شحيحة فى بعض الوديان .

وأكبر هذه الوديان هو وادى حضر موت الذى يشق طريقه من النصف الغربى للبلاد ، من أطراف الربع الخالى مخترقاً الجبال لمئات الاميال فى انحداره الى المحيط الهندى . وهو قلب مملكة حضر موت القديمة التى قامت على تجارة العطور والبهارات .

ولبلوغ هذا الوادى ومدنه الاسطورية المبنية من الطين ، قررنا السفر بالطائرة من عدن الى المكلا ، بوابة حضر موت ، والميناء الرئيسى والعاصمة للمحافظة الخامسة فى اليمن الجنوبى ، ومنها ، جوا أو برا ، الى سيون المركز الرئيسى لوادى حضر موت .

وبدت لنا منازل المكلا من الجو بيضاء ورمادية عالية ، ومكدسة فوق شريط ضيق بين البحر ورابية الجبل



من الجو بدت منازل المكلا بيضاء ورمادية عالية ومكدسة فوق شريط ضيق بين البحر ورابية الجبل

انتهى عصر القوافل يوم كان أكثر من ٥٠ ألف جمل تنطلق من المكلا إلى داخل البلاد.

عدسة : جون بلمر

الجرداء . وقام قصر السلطان السابق على حافة الماء حيث يزدحم الميناء القديم بأسطول من مراكب الصيد المجودة الصنع ، وكان العمل جارياً فى بناء ميناء يستقبل بواخر تصل حمولتها الى ١٤ الف طن ، وهو خارج المدينة ، تجاوره ثلاثة مصانع جديدة لتعليب الأسماك .

وكانت المكلا قبل الاستقلال عاصمة للسلطان القعيطى الذى حكم الجزء الاكبر من حضر موت حكماً مطلقاً . وكان يقضى معظم وقته فى الهند ، التى هرب إليها عندما انتصرت الجبهة القومية لتحرير اليمن . وقد بنى قصره على الطراز الهندى . وهو الآن متحف خصص الطابق الأعلى منه لعرض ما يصور حياة آخر سلطان كان يطلق له أحد عشر مدفعاً تحية له .

نهاية عصر القوافل

ويجرى الشارع الرئيسى لسوق المكلا محاذياً البحر ، وتتفرع منه أزقة ضيقة بين منازل عالية منسقة الجمال ، ذات أبواب خشبية منقوشة ، وسرج مستديرة للأضاءة ، وأقواس مدببة على نوافذها .

ويظهر الأثر الهندى فى المكلا فى قصر السلطان الصيفى أيضاً ، وهو على بعد ٣٥ كيلو مترا على الساحل . وقد أحيل الى استراحة حكومية ، تناولنا بها طعام الغداء ، وتحدثنا الى معلم من المكلا فى الأربعين من عمره ، هو أصغر عشرة بنين لصياد سمك فقير ، استطاع أن يجد فرصة للتعليم الأولى فى أيام السلطان . « أما الآن ، فليس هناك أى امي فى اسرتنا ، لا بين الرجال ولا النساء . إننى أخصص وقتا كل يوم لتعليم والدتى القراءة والكتابة . وقد انضمت نساء الاسرة الأخريات لفصول محو الأمية . وأختاى بالمدرسة . » .

لا يستقبل مطار « سيون » سوى طائرات ذات محركين ، ولذا كان علينا أن



قافلة الجمال

استطلاع خاص لـ الدوحة

نقطع مسافة ٢٠٠ **ميل** بالسيارات على طريق غير معبد . ولمدة ثماني ساعات .

ولقد انتهى عصر القوافل يوم كان أكثر من ٥٠ ألف جمل تنطلق من المكلا الى داخل البلاد . ويقال ان **الجمال** نفسها هى التى حملت خرابها . حين نقلت أول سيارات استوردها المغتربون اليمنيون فى أندونيسيا الى حضر موت قبل خمسة وأربعين عاما . وكانت السيارات قد فككت الى أجزاء . حملتها الجمال فى رحلة استغرقت ثمانية عشر يوماً .

وبعد حين توغل الطريق الى الداخل عبر تلال رمادية حمراء . تتناثر فوقها اشجار صغيرة خضراء . وتلوى فى انحناءات حادة وضيقة . صاعدا الجرف المؤدى الى الجول . أو الهضبة العالية . وكان المنظر خلاباً . وكنا نسير كمن يهبط سلماً صخريا عاتياً . حتى خرجنا أخيرا الى وادى حضر موت الذى أسرنا بمشهده الرائع المهيب .

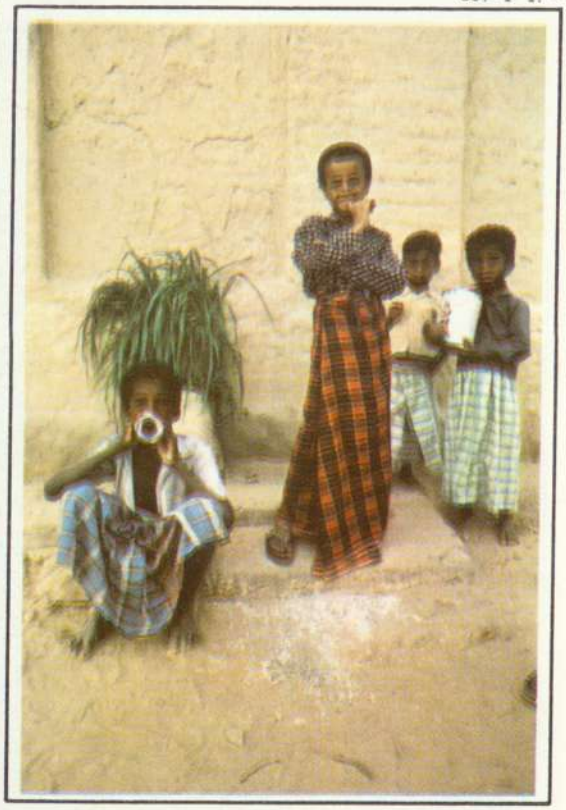
ويتلوى هذا الوادى العريض الخصيب فى بعض أجزائه لمئات الاميال حتى يبلغ البحر . وتطوقه من كل جوانبه جدران من الصخور الرملية التى يبلغ ارتفاعها ثلاثمائة متر . ويضم الوادى ثلاث مدن هى سيون و شيبام و تاريم . بقلاعها وقصورها الريفية . ونخيلها وجنائنها وحقول قمحها .

القلاع الصغيرة

وكانت اقامتنا بفندق السلام . وهو استراحة حكومية فى اطراف مدينة سيون . وعندما نظرنا الى الجنوب الغربى نحو الوادى اثناء سيرنا فى غبشة المساء . أحسسنا من جديد بجود الساحر . وغمرنا احساس من يقف أمام لوحة من القرون الوسطى . ويشعر بأن الزمن قد توقف . وان هناك وفاقاً وتناغماً بين الطبيعة والناس واعمالهم . وأن الرابطة بين المدينة والريف أمر طبيعى . رغم الحروب المتكررة فى حضر موت . وكانت الحقول المزروعة تمتد حتى تلمس أسوار المدينة . دون أن تعترضها **ضواح** . وبدت النسوة العاملات فى **المزارع** بملاسفهن الطويلة السوداء . وقبعاتهن المخروطية العريضة الاطراف وكأنهن ساحرات عصر قديم .

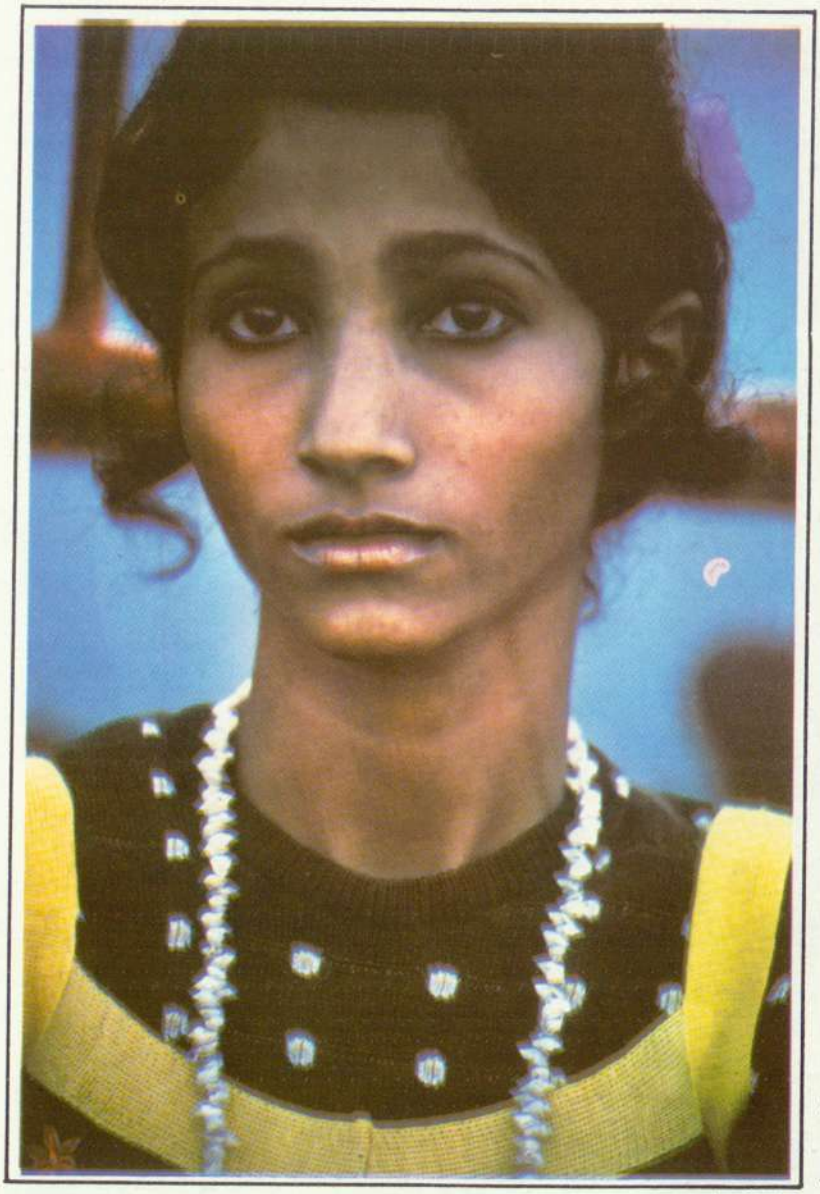
كان هناك جمال الطبيعة وروعة الضوء فى تبدله وتغيره . وبراعة المبانى التى بدت كأروع ما تكون الجرار شكلا . وامتزج اللون الترابى

صبية يلعبون

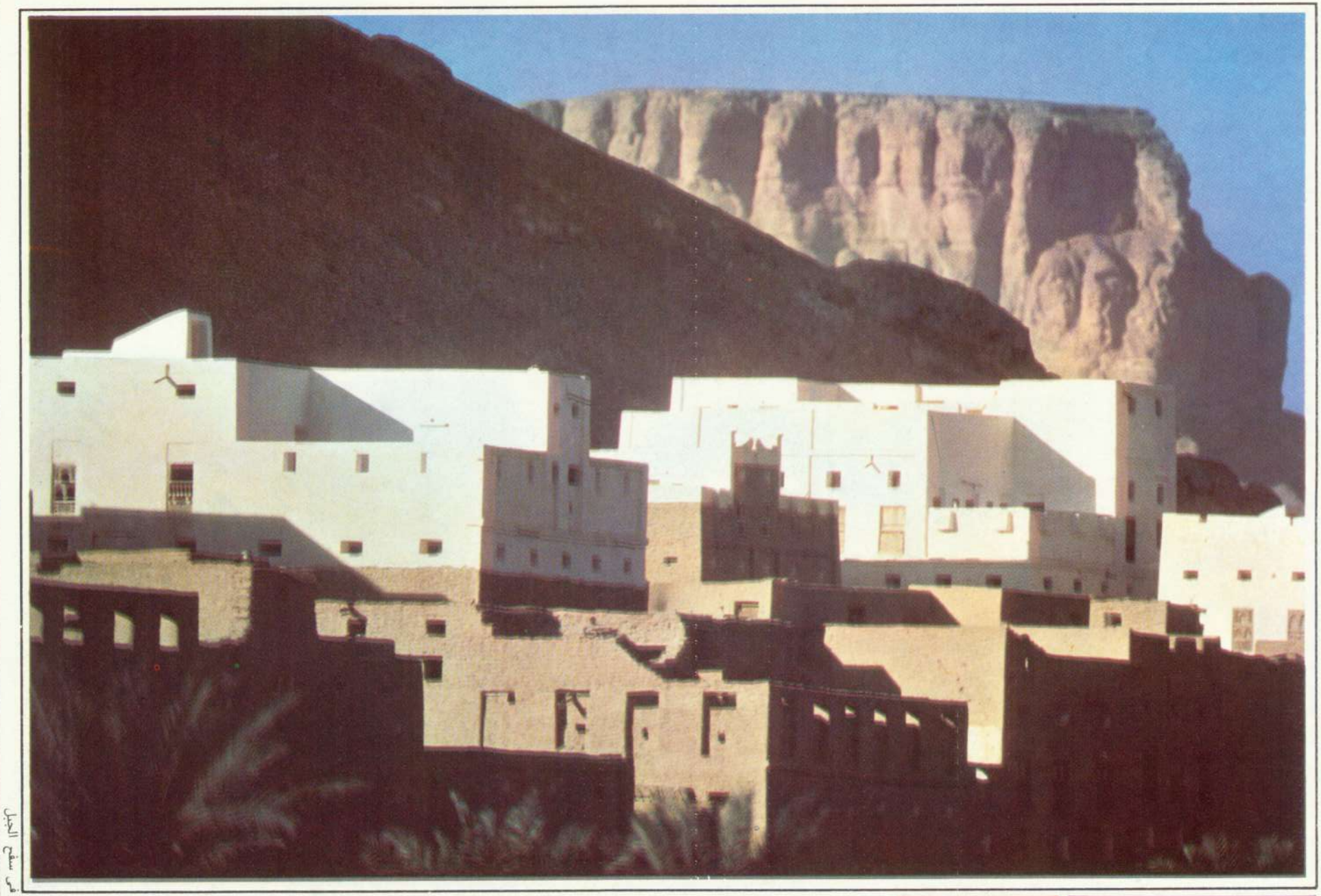


كمن يهبط سلماً صخرياً عاتياً .. خرجنا أخيراً إلى وادى حضرموت المهيب ،

بجدرانه الصخرية الرملية التى يصل ارتفاعها إلى ثلاثمائة متر



وجه من حضر موت



في سفح الجبل

استطلاع خاص لـ الوحدة

البيوت ضخمة.. والقلاع شامخة واضحة تحت ضوء شمس الصباح والمشهد غاية فى الروعة

النقوش والكتابات والجواهر والحجارة الكريمة والأطلال تنبئ عن مدينة عالية فى تطورها



العمارة فى حضرموت

للقلاع الصغيرة القائمة خارج المدن والقرى مع لون جنبات الوادى . وتبدت نفس القلاع بيضاء أماد خلفية من المرتفعات المظللة أو بواسق النخل داكنة الخضرة . وخلف ذلك كله جثم الوادى نفسه . بمرتفعاته وربواته التى تشكل هيكلا دراميا آسرا حيثما نظر المرء . عبر الحقول . أو فى نهاية شارع .

وسيون مدينة تجارية . ذات بيوت واسعة قائمة وسط النخيل والحقول المروية . ويحتل قلبها قصر السلطان الكثيرى السابق وقلعته . التى صارت نقطة للشرطة والجيش وهو مبنى ضخم رفيع . ذو طوابق عدة . جدرانه من الطوب الأخضر . مدهونة بالابيض والاخضر والليلكى . وتروى اسطورة محلية أنه كانت هناك قلعة فى نفس الموقع . دامت قرابة السبعمائة سنة أما المبنى الحالى فقد وضع أساسه قبل مائة سنة .

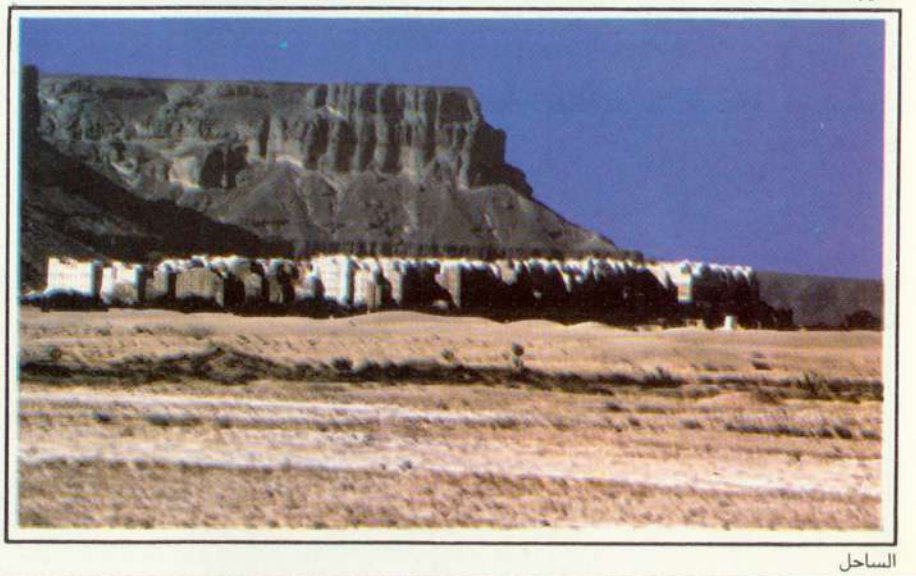
وكان آخر سلاطين الكثيرين فتى فى الخامسة عشر من عمره عند الاستقلال . نحته عن الحكم جبهة التحرير . فلاذ بانجلترا . والتحق باحدى جامعاتها .

المنازل القديمة

وأجمل مدن حضرموت هى شيبام على مسافة عشرين دقيقة بالسيارة من سيون . ويخترق الطريق اليها حقولا زاهية الخضرة فى جوف الوادى الكبير . وتقف البيوت الضخمة والقلاع شامخة واضحة تحت ضوء شمس الصباح



تدريب الفتاة



الساحل



هنا قامت تجارة العطور والبهارات في الماضي

استطلاع خاص لـ الدوحة



الباكر ، وخلفها زرقة الجبال المظللة .

وتبدو المدينة وكأن قلاعها العالية طالعة مباشرة من القاع الرملى لمجرى نهر قديم جاف ، ويمكن تشبيهها بأنها مانهاتن عربية . مدينة ذات ابنية بنية ، بياضها يعشى النظر ، وذات طوابق ستة أو سبعة مجتمعة فى تجاورها كأنها سحاب على طول الازقة الغائرة الضيقة المتربة ، وحول الميادين المغلقة . ولا يزيد عدد منازلها عن الخمسمائة فى الوقت الحاضر ، ولذا لا يمكن بناء أى منزل جديد الا على انقاض آخر . وبها عدد من الجوامع ذات منارات سامقة مبنية من اللبن أيضاً ، ومطلية باللونين الأبيض والأخضر ، ويقال أن عمر بعض المنازل يقارب الثلاثمائة سنة .

وقد بنيت أسوار المنازل من الطين اللبن وغطيت بطين ممزوج بالجير .وعادة ما يتم البناء طابقا بعد طابق بالمال الذى يرسله فى دفعات المغتربـــون فى **الخارج** . وأبوابها كبيرة من خشب النخيل المزين بعوارض من الخشب وزينة معدنية ، واقفال عربية قديمة ومسامير ملولبة . وهياكل نوافذها منقوشة ، وبها مشربيات تمكن النساء من رؤية ما يدور فى الشوارع دون أن يراهن أحد .

وحدثنا رب اسرة قمنا بزيارتها أنه ورث المنزل عن والده الذى بناه قبل خمس وستين سنة . واستغرق بناؤه ثلاث سنوات وكلف حوالى ٢٥٠٠ **جنيه** استرلينى . أما اليوم فان تكلفته لن تقل عن ٥٠ ألف جنيه استرلينى .

« ما **احتجنا** نصلحه أو نجدده أو حتى نعيد طلاءه » كما قال « ويمكنه أن يبقى هكذا ٢٠٠ سنة أخرى » .

تراث مدينة

اما المدينة الثالثة المهمة فى حضر موت فهى تاريم . على مسافة ساعة بالسيارة من سيون . وهى ، كسيون ، مقر لأغنى واحدث التجار المهاجرين . وأكثر السادة الورعين . وتمتاز بأنها أكثر المدن الثلاث تنوعاً وروعة فى معمارها . وبها جامع فريد فى روعته . له مئذنة شامخة ، رفيعة ، مائلة ، مبنية من الطين اللبن المطلى بالابيض والأخضر الفاتح والوردى ، وعمره ثلاثمائة سنة . لكن **المئذنة جديدة ، إذ بنيت قبل ستين عاماً فقط . وصعدنا ١٨٥ عتبة داخل المنارة حتى بلغنا قمتها الضيقة لننظر المدينة من هناك . وكانت البيوت التى رأيناها خليطا من انواع المعمار المختلفة ، فسألنا أحد البنائين الكبار فى تاريم ، ليفسر لنا كيف تبنى تلك البيوت الكبيرة، ذات الطوابق العديدة ، من اللبن وبتلك المتانة ، وكيف لا تسقط وليس لها أساس متين من الصلب أو الاسمنت أو الخشب .. فحدثنا السيد العبيد مبارك بريك أنه تعلم الصنعة من أبيـــه .. وقال :**

« **أننا نحفر الأساس حتى نبلغ أرضية صلبة من الصخور ، ثم نضع الاساس ، ونبنيه بالحجر حتى يصل مستوى نتأكد أن الماء سواء من المطر أو الرى لن يؤثر فيه . ثم نضع الطوب الأخضر فوقه .** »

« **وإذا كان البناء حاذقاً ودقيقاً فى مقاساته فلن يحدث شىء يضر بالبناء ، فالطوب الأخضر مقوى بالقش قبل حرقه تحت الشمس . ونغمس كل طوبة فى الطين قبل أن نضعها على الأخرى .**

« **وبعد اكمال بناء البيت ، نقوم بتبييضه من الداخل، ثم من الخارج بالجير الذى نحرقه فى أفران ثم يتم سحقه ثمانى مرات حتى يصبح ناعماً ، ويخلط بالماء ، ويصبح لونه زاهى البياض ، ثم نضع وجها آخر ونجلوه حتى يلمع .** »

وفى سيون أيضا قابلنا واحداً من الاساتذة البارزين هو جعفر السقاف ، المسئول عن المتحف والمركز الثقافى بالمدينة . وقد جمع لنفسه مكتبة تضم أكثر من ألف كتاب ومخطوط ، ورث بعضها عن والده الذى خط الكثير منها بيده ، كما خط المصحف الشريف وبعض الدواوين لشعراء من سيون .

ومازال أمام علماء الحفريات والآثار الكثير مما يجدر البحث والتنقيب عنه فى تاريخ حضر موت وجنوب الجزيرة العربية . وحتى يتم ذلك فان الحقائق القليلة الراسخة والمقبولة لدى العلماء تعتمد على التراث المروى عن الماضى ، والذى أصبح السقاف حجة فيـــه .

طريق البهار

لقد أتى ذكر حضرموت فى سفر التكوين ، كما ذكرت تحت اسماء مماثلة مختلفة فى اعمال جغرافيي الأغريق والرومان . وفى أعمال الرحالة . وهى واحدة من سلسلة من الممالك التى قامت فى جنوب الجزيرة العربية ثم انهارت حوالى الألف قبل الميلاد والمائة الثالثة بعد الميلاد ، وضمت أوسان وقطابان وسبأ وحمير . وزعم أن سبأ هى المملكة التى قامت ملكتها بزيارة سليمان فى القدس .

وقد تركت ممالك جنوب الجزيرة العربية آثارها فى النقوش والكتابات والجواهر والحجارة الكريمة والاطلال الدارسة التى تنبىء عن مدنية عالية فى تطورها ، قامت على ثروة جمعت من تجارة التوابل والعطور والزراعة المروية .

وكان طريق البهار يبدأ من ظفار فى عمان ، وبعد اعادة شحنه فى قنا على ساحل اليمن الجنوبى فى منتصف الطريق بين المكلا وعدن ، يحمل البهار الى داخل البلاد الى شبوا التى كانت عاصمة حضر موت فى زمن غابر ، ومنها

الى مصر وسوريا وأوربا .

وقد بدأت حضارة جنوب الجزيرة العربية فى التداعى والانهيار عندما ألغت التجارة بحرا تجارة القوافل ، ونخبت الحروب المستمرة نظام الرى ، حتى كانت الفاجعة الكبرى يوم انهار سد مأرب العظيم فى القرن السادس .

ما بعد الطوفان

ثم كان ظهور الاسلام فى القرن السابع الميلادى .

ويروى الحضارمة أنفسهم تاريخهم بصور مختلفة ، ففى رواية لهم أن جنساً من العمالقة من ابناء عاد جاءوا إلى حضر موت بعد الطوفان تحت قيادة شديد وابنه شداد ، وبنوا مدينة من الذهب والفضة طوبها ، مدينة تجرى بها أنهار العسل .. ولكن الله أبادهم عقاباً على خطاياهم .. ثم جاء بعدهم أبناء قحطان .

ويعتز التقليد الحضرمى بنبى الله هـود كرمز لأصلهم ، وهو أول نبى عربى بعد ابراهيم واسماعيل ، وقبره فى أقصى الشمال الشرقى لوادى حضر موت ، كان ومازال مركزا يزار .

ويروى السقاف أن مدينتى شيبام وتاريم جزء من دولة حمير ، وأنهما ظلتا آهلتين لما يربو على الألف سنة . أما سيون ، فانها أقل من ألف سنة لأنها لم ترد فى قائمة مدن الجزيرة العربية التى أعدها الجغرافى العربى الشهير الحمدانى ، المولود فى صنعاء قبل الف سنة . ولكنه ذكر شيبام .

وشهدت نهاية القرن الخامس عشر وصول سلاطين الكثيرين ، الذين استخدموا جيشا ماجوراً من القبائل وانتزع السلطة لنفسه أخيرا . وكان القعيطيون أشدهم بأساً ، ومركزهم المكلا . واستقر الحال بعد التدخل على الساحل وعلى جزء من وادى حضرموت حتى شيبام نفسها .

وكان الكثيريون يسيطرون من عاصمتهم سيون على بقية أجزاء وادى حضر موت بما فيـه تاريم .

ومع ذلك فان كثيرا من القرى كانت تشكل دويلات مدن صغيرة ، لا تعترف بأى سلطة عليها ، ولم تعرف سوى الاحتزاب فيما بينها وكانت مبنية ومجهزة كقلاع .. وقد أدى ذلك إلى ابتعاد الاجانب عن حضر موت ، وشجع على الهجرة للعمل والحياة فى الخارج .

وقد تخصص المهاجرون والمغتربون فى التجارة والعقارات ، وأثروا ثراء كبيرا . كانت الهجرة بنسبة ٣٠٪ من الرجال الى الهند وسنغافورة وماليزيا واندونيسيا وشرق افريقيا ومصـر وثغور البحر الأحمـر وفى وقت متأخر هاجر كثيـرون إلى السعودية ودول الخليج العربى البترولية .

وقد ساعد المال الذى ظلوا يحولونه بانتظام فى إعاشة أسرهم التى تركوها وراءهم ، والتى يعودون إليها فـى آخر المطاف .. كما تم بها تمويل بناء البيوت الفخمة فى مدن وادى حضرموت .

روبرت سيتفنز



بيوت قديمة



التعليم

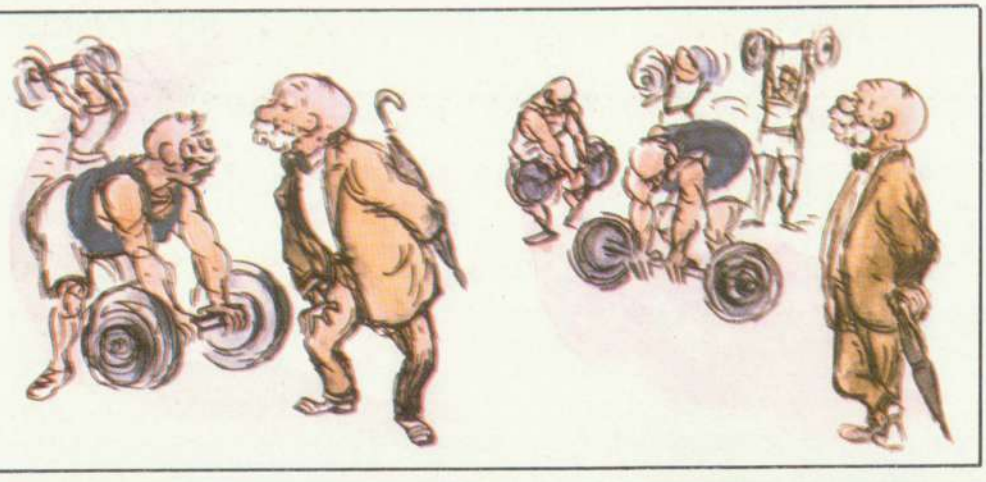
العمّ سيّد طيّب القلب

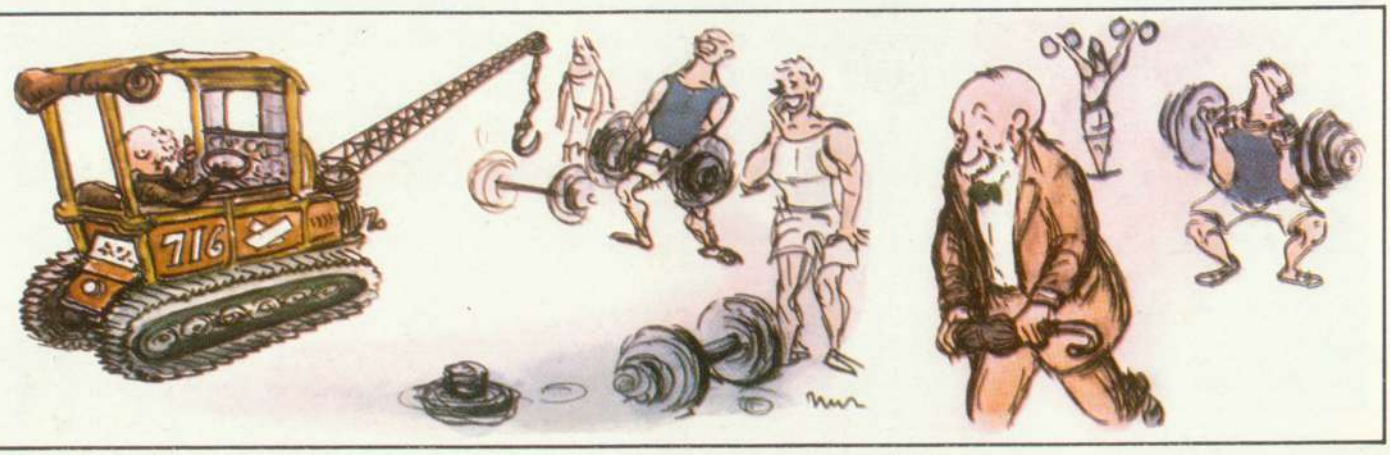






برىشة
الفنان
عبد السلام نور





الرجل والنملة

د. يوسف إدريس



محمد أبو طالب

بعيون فاغرة رحنا نراقب الباب وهو بالعصبية الشديدة يفتح والكتلة البشرية تدفع من خلاله لا نتبينها إلا حين فقط تستقر فى ركن الزنزانة الفارغ حتى السباب المعتاد الذى كان لابد يصاحب الفتح والاغلاق والتكويم ، من فرط الدهشة ، لم نتبينه إذ قد حل الصمت لا نجرؤ على قطعه مخافة أن يجد جديد وأن يكون وراء البداية ماوراءها .

يتعانق الظلام فى العادة بعد التمام . الخامسة تماماً موعد . النزلاء صامتون لمقدمه إذ المفروض ان يحل الصمت ليتمكن حراس الليل من التغيير مع حراس النهار ويتمكن شاويش النهار من تسليم شاويش الليل ، صمت يهيىء للصراخ أن يتعالى إذ حدث خطأ وأفلت نزيل من الاحصاء وارتبك العدد . الباشاويش هو المخطىء ولكن الشتائم تنهمر فوق رأس النزلاء،وثمة جرى ، وصوت الكوالين الحديد يزار وأبواب أخرى تنهد حتى لتكاد تهد الحائط الحجرى ، وأخيرا ، يجرى الزئير النهائى لمفصلات باب العنبر الكبير ، وتخفت الاصوات مع الأقدام مبتعدة ، ويحل الصمت . ويستمر . للتأكد أنهم جميعاً ذهبوا ، وأن النهار المتعب انتهى . ثم ، وكأنما فجأة ، تنفجر من الصدور الزعقات والقهقهات والشتائم مكونة مولد المغربيـة المعتاد .

السكوت فى العنبر طوال النهار أحد الأوامر الصارمة ، الألسنة تتيبس فى الافواه لقلة ما تتحرك ، الحناجر مخشوشنة من فرط السكوت ، فقط حين تذهب قوة النهار ويترك العنبر فى حراسة ثلاثة حراس ليل عواجيز فى الغالب وقريبى الاحالة الى المعاش ، فقط حين يطمئن الجميع إلى ذهاب الجميع يفرج كل نزيل عن لسانه ويبعث الحياة فى شفتيه وفمه وصدره ويزعق ويشتم بكل ما يملك من قدرة وقوة يصرخ ويشتم وينتقم من السكوت وأوامر الشلل ويزاول الغريزة التى طال حبسها غريزة أن يشتم ، فمن فرط ما يتلقى النزيل من شتائم طول النهار وهو عنها ساكت وبالأمر متسامح فتتكون له فعلا غريزة الشتم تنهال بها كل زنزانة على زنزانة ، ويتبارى فى مزاولتها الجميع .

فى احيان قليلة جدا يحدث ، أن ، فجأة ، يدور المفتاح فى قفل الباب الكبير ويفتح العنبر ، وهنا ، وفى لمحة خاطفة واحدة يتسمر كل شىء فى مكانه ويحل أعمق وأغرب صمت ... صمت الترقب الرهيب لما عساه يكون السبب فى فتح الباب ..

وتتعدد الأسباب وتكثر ، وذات مرة تجد السبب باب زنزانتك وهو لروعك يفتح ، وكتلة بشرية ما تدلق ليعود الباب فيغلق قبل أن تسأل أنت القادم أو يفتح هو من تلقاء نفسه فمه للكلام تنهمر مئات الاسئلة من قريب ومن بعيد ومن أقصى الدور الثالث نفسه تتساءل عن حكاية هذا الذى دخل ، فلا تدخل بعد التمام إلا حكاية مهولة ، لابد فى الحال أن تعرف ، وهكذا إن لم تبادر وتحيب ، حتى قبل أن تعرف أنت ما هى الاجابة ، تنهمر عليك انت الشتائم هذه المرة وتؤرق عظام أمك وأبيك أحياء كانوا أم أمواتاً . تغص حياة رهيبة يتولى فيها أناس حبس أناس وخنق أناس وضرب أناس وحشدهم وتكديسهم هكذا فى علب محبوكة من الزنازين والحجرات .

ـ ما بك ياعم ... خير ..

سمعت أنا وحمزة زميلى فى الزنزانة الذى تصادف أن اسمه يشبه اسم قائد السجن الحربى حيث تتم كل ألوان التعذيب ، تشابه كان يجعله وبالتالى يجعلنى هدفاً لتعليقات ونخزات وتعذيب لا حد لها .

ـ مالك ياعم مالك ، ؟

قالها حمزة هذه المرة بأمل أن يجيب القادم . ومكوماً فى الركن لا يتحرك كان لا يزال . الاسئلة تترى تخترق باب الزنزانه المصنوع من قضبان متوازية من حديد ، لا إجابة ، والنتيجة سيول من الشتائم تلعننى وتلعن حمزة .. ما أغرب قدرة الانسان على تعذيب نفسه وتعذيب الآخرين إذا وقع عليه عذاب لا يملك منعه . معذبون يعذبون معذبين . ما أبأسه من محبس داخل محبس وعذاب فى قلب عذاب .

لا رد ولا تحرك ولا يبدو عليه أنه سيرد . أيكون ما نسمعه منه ليس تنفساً عميقاً إنما هو نشيج وبكاء ، بكاء الصامتيـن لا حول ولا قوة . وجدنا أنفسنا نقترب من الرجل نحيط به مشفقين . أيدينا تطبطب عليه وتستخرج كنزنا الثمين ، الشمعة الوحيدة التى نملكها وندخرها للحظات الحاجة القصوى ، أشعلناها .بضوئها الذى بدا باهرا، مددت يدى ورفعتها من الكتف إلى الرأس أعدله وأرى الوجه .

كدنا نموت أنا وحمزة رعبا . فكلانا طبيب ونعرف ماذا تعنيه تلك الصفرة المتكاثرة المتشاحبة التى لونت الوجه . الحدقات الواسعة المفتوحة وهى تمعن النظر فى الفراغ وفى اللاشىء مالم ننبهه مات . أنهلنا عليه بالاسئلة نستفسر إن كان قد ضرب وأين ضرب وأى مكان من جسده يؤلمه أكثر . قسنا النبض وعددنا مرات التنفس . الصدمة فعلا واضحة ولكن لا أثر لأى إصابة فى الجسد ، لا جرح ، لا خدش ، لا بطن منفوخ ، لاشىء . تنفيذا للمعاهدة المعقودة مع الحارس الليلى ساومناه على كوب القهوة أصر على عشر سجائر ونحن لا نملك إلا علبة . وافقناه على مضض كثير . أخيرا اصبح فى يد الرجل كوب قهوة معجز المذاق فى تلك اللحظة ، وسيجارة (وينجز) باكملها ، وعلى ضوء الشمعة دماء قليلة بدأت تسرى فى الوجه الخراب ، وهمهمة تمتمة ، تنهدات الكل يختلط بالكل والكلمات بالاصوات والاشارات .

ورفض أن يفصح .

نلح عليه بكل ما نملك من طاقة الحلح ، والرفض البادى على هيئة صمت هو وحده الجواب . تشاورنا أنا وحمزة ؛ نتركه ؟ نخفف الوطء عنه ؟ نترك كل شىء للصباح ؟ ولكن حب الاستطلاع فينا لا يمكننا نحن أنفسنا مقاومته ، والالحاح ، إلحاحنا وإلحاح بقية الحجرات والزنازين كلما زاد كلما احتمى الرجل بصمته ، وتداخلت رغبته فى الافضاء كما يتداخل حيوان القواقع إلى عمق القوقع كلما شعر بلمسة الأصبع .

تركناه . حتى كاد يغلبنا النوم وعلى الالسنة المطالبة فى الخارج قد سكنت .

الرجل والنملة

ـ هل سأموت ؟

رفع الرأس فجأة بالسؤال ، وكأنها إجابة متأخرة جدا عن قولنا له : نحن اطباء ، لا تخف . فضفض حتى تستريح ، ولا تخف ، فنحن نريد مصلحتك ، نحن أطبـــاء .

ـ هل سأموت ؟

ودون أن نتفق ، لم نجب . رحنا فقط ننظر إليه ولا نجيب .

لم نكن نريد ازعاجه حتى لا يتمسك بموقفه .

فجأة وجدت حمزه ينفجر فيه غاضباً مؤنباً إياه على هذا الموقف الطفولى الذى لا معنى له بالمرة . معتقل سياسى ، ألست كذلك ؟ كان واضحاً من ثيابه المدنية أنه ليس مسجونا . إذن لماذا هذا التشبث بالصمت . أخائف هو على نفسه ، وماذا يمكن أن يحدث له أسوأ من هذا الذى حدث والذى جاءوا به الى هنا بسببه وعلى تلك الحال القريبة من صدمة الموت ؟!

فعلا .. يعنى ح يكون جرى لك إيه ؟

للحـق تنفس وتنهد وقال ببطء ونظراته تعود تنغمس فى الفراغ :

ـ أوحش شىء على ظهر الأرض .

وكدنا نبتسم فى رثاء . ماذا يمكن أن يكون ؟

وعاد يقول :

ـ أوحش شىء على ظهر الارض . حدث لى مالم يحدث لبشر .

ومرة أخرى استخففنا بكلامه وكدنا نقهقه . سبعة عشر شهرا ونحن فى هذه الزنزانة معاً . كان سجن مصر محطة يتوقف القادمون فيها من السجن الحربى فى طريقهم لطره وأبو زعبل والواحات ، والقادمون من تلك الليمانات فى طريقهم للمستشفى أو للافراج أو لعذاب آخر فى السجن الحربى . وارد وصادر وحركة دائبة جعلتنا نصادف كل ما يمكن أن يخطر على البال من تهمة ومتهمين ومعتقلين وأسباب اعتقال ، وتعذيب ، ومعذبين . النفخ والضرب وكي نصف البطن الاسفل وكل شىء ، ولم تبق وسيلة لم نعرفها أو يأت لها ذكر . وكل متهم ـ مثل هذا القادم ـ يعتقد أنه الوحيد الذى حدث له هذا أو مارسوا معه ذاك .

ماذا يمكن أن يكون قد وقع له ؟

ـ أوحش شىء على ظهر الأرض .

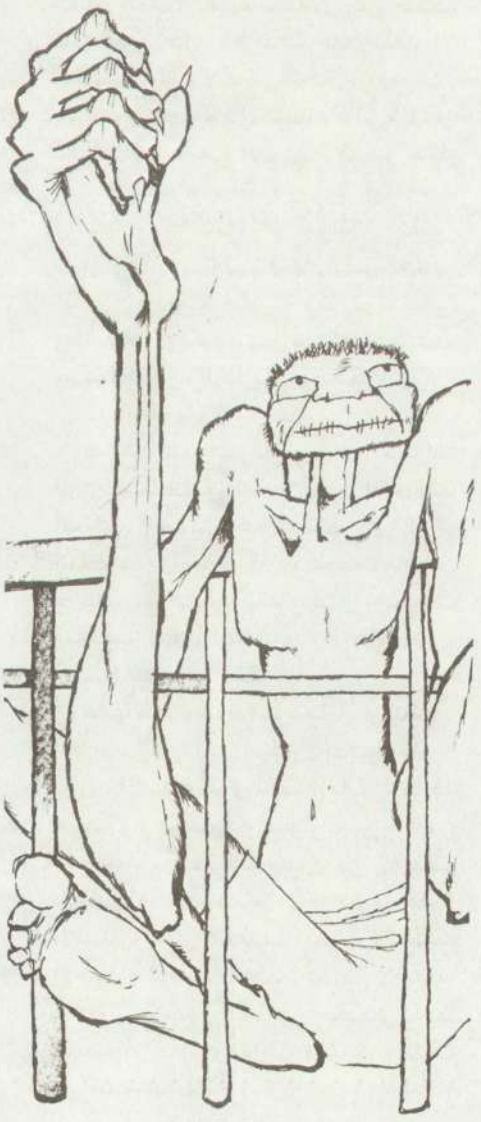
ـ ماذا فعلوا ؟.

ـ نمت مع نملة

ـ وانفجرنا ضاحكين .

طبعا هو لا يبدو مختل العقل وإن كان واضحاً أنه فى طريقه لاختلال عقله . وبوجه جاد صارم يحمل كل ما فى هذا العالم من ندم يقولها . نام مع نمله . وانفجرنا ضاحكين .

وإلى الصباح التالى ظللنا نضحك . ونتذكر ملامحه وهو ينطقها فتصاب معداتنا بالمغص من فرط ما ننثنى



ونضحك . وعلى رأى كليلة ودمنة قلنا له فى الصباح التالى ـ وكان تقريبا لا يزال على نفس جلسته وقرفصته . وانكماشه على نفسه ـ وكيف كان ذلك يا أستاذ ؟

ولم يكن تبدو عليه سيماء المعتقلين السياسيين . معظمهم كانوا مثقفين . حليقى اللحية والشارب ، خريجى أو طلبة جامعات . هذا كان له شارب ، أصفر وغزير ومتهدل على شفته العليا يكاد يلامس السفلى . وجهه خشن لا بد من كثرة مزاولته عمله خارج المكاتب والمنازل حيث الريح والتراب ولفح الشمس . فى الحقيقة لم نفاجأ حين قال لنا إنه عمدة . حين نستخرجه من الحالة التى كان عليها ، والسكينة التى آلت إليها ملامحه وقوامه ،وتفرده، ، وتوقفه وتعيده سيرته الاولى ويتبدى لك على حقيقته تجد أنه حقاً مصدقا لابد كان واحدا من أولئك العمد من طراز : إخرس ياولد . شهم ، كريم ، يذبح للضيف خروفاً ، ويسافر الى آخر الدنيا تلبية لنداء مستغيث . عمدة ومعتقل سياسى . جديدة جدا هذه المرة . والنكته أن يكون عمدة متهما بالعمل السياسى ..

فى الليلة التالية ساءت حالـه وارتفعت درجة حرارته وأصبح نبضه ١٤٠ وبدا وارم الوجه مختنق السحنة وكأنما سينفجر بعد قليل ، لم يكن هناك بد من أن يفضفض ذلك العمدة المعتقل عن نفسه وإلا حدث له فعلا ذلك الذى وصفه بأنه أوحش ما فى الدنيا ، ومات وتكلم .

متقطع الأنفاس .

أخرج من صديريه البلدى الداخلى علبة سجائر (كرافن ا) عشرين سيجارة كاملة ، وعزم علينا ولم نصدق انفسنا ونحن ننفث دخان الكرافن وبكل ما نملك وما أصبح لنا من طول بال نصبر على كلماته التى تخرج بعد عناء ، ولهاثه بين الكلمات .

تكلم .

بدأها من منتصفها ، أو من حيث بدأ يهتم هو بها ، لا نعرف . قال : هذا الوغد ، يونس بحرى . قتلنى بالأمس فعلا قتلنى ، سأموت ، ولكن لن

أموت قبل أن أغرس اسنانى فى زوره واقضم حنجرته.

جالسين وفى أمان الله وبعد يوم شاق من تكسير البازلت وحمله فى المقاطف والسير به نصف كيلو ، من السابعة والصخر فوق اكتافنا والرمل فى عيوننا وافواهنا واقدامنا العارية ينغرس فيها الشوك والزلط والمسامير ، وجلسنا آخر النهار ، قبل طابور العودة نستريح وكانوا ثلاثة ضباط أحدهم هذا الخسيس يونس بحرى . نادانى . منذ أن رانى ورأيته وأنا أشفق عليه وعلى نفسى أن ينادينى . نادانى . تلكأت ولكنى قلت أقصر الشر وألبى نداءه . ذهبت . وقفت . تركنى واقفاً واشتبك فى حديث فاتر مع زميلـه . قلت : أفندم . رمقنى بنظرة ثم عاد إلى حديثه الفاتر . اللهم طولك ياروح قلت ، وعزمت أن أؤجل أى اشتباك فجسمى مهدود ولن احتمل أى ضرب . والبداية واضح أنها ستنتهى بضرب . أقصر الشر ياولد ، واصبر .

هناك ، بعد ربع ساعة أو أكثر . التفت ناحيتى وقال : روح هات نملة من هناك . وأشار إلى كومة تراب قريبة .

صحا مخى من غفوة الوقوف وخيل إلى انى لم اسمع جيدا ، سألته : أجيب ماذا؟ هب فى صائحاً : نملة .. ألا تعرف النمل يابن أل ...؟

سكت .

هب مرة أخرى : تعرف النملة ولا لأ ؟

قلت بتسليم : اعرفها .

قال وهو يلتفت الى زميله : روح هات نملة .

طول الله روحى وذهبت الى حيث أشار ، وتفرست فى كومة التراب ملياً حتى وقعت عينى على نملة كبيرة نسميها فى بلادنا حرامى الحلة . انقضضت عليها بقبضتى ودون أن افعصها امسكتها فى قبضتى وعدت بها ووقفت أمامه وقلت : أهه النملة ياأفندم .

– ورينى

فتحت يدى .. رآها .. قال :

– ولازم تجيبها بالشكل ده ياابن ال... عضضت على شفتى السفلى وسكت .

بنظرة من اسفل إلى أعلا رمقنى وقال:

– دى إيه ؟

وقلت ببراءة ما بعدها براءة : نملة يابيه

قال ....

خيل الى أنى حقيقة لم أسمع فقد كان الطلب الذى طلبه غريباً جدا وغير معقول بالمرة ، سألته : أفندم ؟ .

قال : إخلع هدومك ..

أشار لحامل الكرباج وزميله حامل الشومة ، رفعت يدى مسلما قائلا : حاضر يا بيه .. أخلع هدومى .

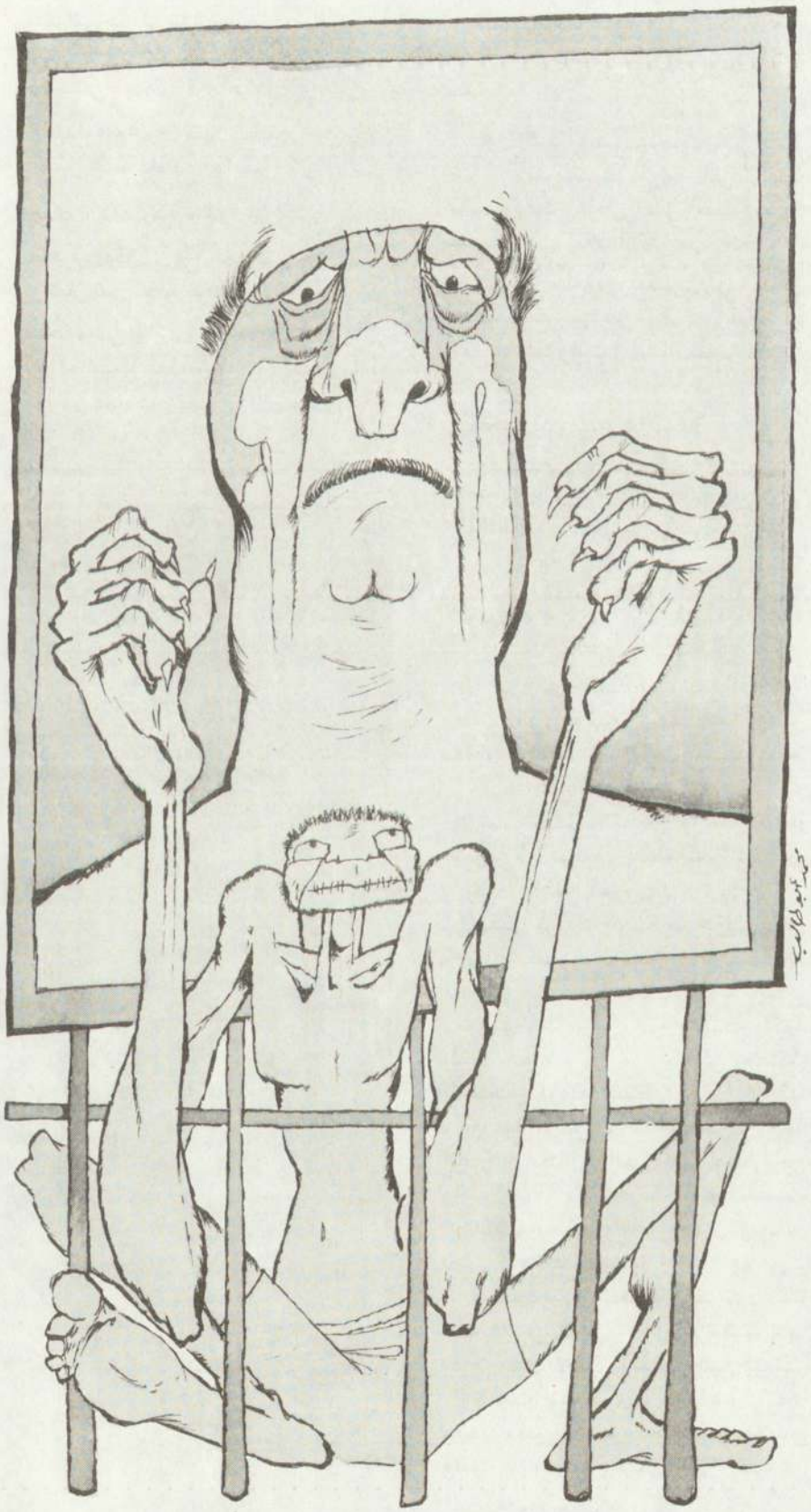
ولكنى ترددت .. نظرت حولى بركن عين .. طابورنا المنكود الحظ قابع كصفين من طابور ذباب أنهكه الكدح والزق والزجر . فى دائرة واسعة رهيبة يلتف حوله سور من عساكر يحملون الاسلحة الاوتوماتيكية بكافة ألوانها وأنواعها ، قريبا منه تناثرت فرقة الضرب تحمل الهراوات والكرابيج والنبابيت والاحزمة والقبضات الحديدية . أنا واقف وحدى ويونس بحرى قابع على كرسيه أمامى . ولا مفر .

استنهضنى بشخطة ولما كنت كما قلت قد قررت أن أؤجل الاشتباك فقد مددت يدى الاخرى وبدأت أخلع جلبابى ، وخلعت الصديرى ، ولا أطيل ، فقد وجدت نفسى بعد برهة خالعاً كل ملابسى واقفاً عاريا كما ولدتنى أمى امامه .

– خلعت هدومك ..؟



الرجل والنملة



ـ زى مانت شايف يابيه ..

ـ طيب (..) النملة اللى فى إيدك .

خيل إلى أنى حقيقة لم اسمع ، وكيف اسمع ، وما طلبه لا يمكن أن يمر إلا من عقل مجنون ، حتى المجنون نفسه يخجل أن يطلبه .

ـ نعم ..

الكرباج مرفوع فوق رأسى والنبوت يتهيأ للانقضاض ويونس بحرى تجمدت نظراته النارية على هيئة الأمر الذى امره ، والدنيا ، وسور العساكر ، والطابور والبازلت والجبل والصخر والطريق ، وكل شىء سكت وصمت وكأمر يستحثنى أن ألبـــى.

بعض الفلاح الخبيث الذى فيّ يقلب الموقـف الجاد الرهيب وقلت فجأة :

ـ بس دى ذكر يا بيـه ..

لم يضحك ، ولا احد من القريبين أو البعيدين ضحك ، بكل صرامه قال : روح هات واحدة نتاية .

وكالذى نومه المنوم المغناطيسى استدرت وقصـدت كومة التراب ، وعسسـت بيدى . طبعا كان اول ما خطر لى أن ابحث عن نملة أنثى ، ولكن كدت اضحك من نفسى لأنى انسقت وراء المشهد فعلا وأخذتـه جدا ، وسألت نفسى : كيف أعثر على الأنثى ، وماالفرق بين النملة الذكروالنملة الانثى ، بل هل توجد نملة انثى ونملة ذكر . المقصود عدت إليه ووقفت امامه وفتحت قبضتى على نفس النملة وقلت : هاهى نملة أنثى

قال : ياالله .

ـ ياالله ماذا ؟

ـ تانى . اسمع .

وفوجئنا بجعجعة أوامـر تفرقع ، واقترب سور العساكر حتى أطبق على طابور المعتقلين ، واستقر افراد فرقة الضرب فانتصبت واقفة مشرعة اسلحتها الفاتكة الرهيبة ، وهوى الكرباج من خلفى وسمعت صفيره وهو يشرخ الهواء ليستقر كالسكين القاطع غائرا فى جلدى ولكن يونس بحرى تلافاه فى آخر لحظة وأمسك باليد المهوية وقال بصوت مخيف صوبه إلى كل أذن تسمع : اسمع .. أنا لا اريد ضربك

.. فانا اعرف انك من النوع الحميرى الذى لن يؤثر فيه أى ضرب او تعذيب ولكنى سأضرب تلامذة ابتدائى هؤلاء .. وأشار .

والحراس يعرفون الى من يشير . فقد كان بيننا خمسة صبيان صغار لا يتجاوز أيهم السادسة عشرة ، معنا فى الطابور ، إذا ضربوا يصرخون بل يصوصوون كالكتاكيت المذعورة وتغور صرخاتهم فى لحمنا الحى بحيث يصبح أهون لأى ان يقطع بالسواطير ضرباً ولا يسمع صرخة الواحد منهم ...

جزعت والحق يقال ، وسقط قلبى فى قدمى مخافة أن ينفذ الوعد . ياعم يايونس ما كنا قاعدين فى أمان الله ، ماذا دار فى عقلك النجس ليقلب سلامنا هذا الى لحظة الرعب هذه حتى ليبدأ الجو يحفل برائحة الدم واللحم المفروم ...

تطويل الروح لم يعد يجدى . ماذا تريد يا أيها القومندان .

ـ ياالله .

ولأننى ضامن انى سأكون على حق فى تساؤلى رفعت صوتى مستغيثا مستعيذا بالله من هذا الهول الذى لا أعرفه : إزاى بس يا بيه .. أنا فى عرضك .. إزاى .

ـ زى الناس .. هكذا قالها .

ـ زى الناس إزاى .. ؟

ـ زى الناس يابن الـ .. ويابن الـ .. ويابن الـ.. ماذا تفعل الناس ؟

ـ ولكنها تفعلها مع الناس والاناث وهذه نملة ..

ـ ولو .. اعتبرها ناس .. اعتبرها إناث .

ـ حاضر ..

قافزا الفلاح الخبيث الى نجدتى مرة اخرى قلت :

ـ حاضر يا بيه ..

وعملت أنى فعلا أزاول ما أمرنى به ، وأنا ، زيادة فى الاندماج ، قد رسمت على وجهى ابتسامة سعادة .. استيقظت منها على صوت نبوت يشرخ الهواء ويشرخ ظهرا من ظهور (التلامذة) إلى جوارى . التفت على الصرخة ، آهة صاعدة من عظام الاقدام لكائن حى إنسان صغير يتألم . انفجر قلبى وتدفق منه الدم الغائر غصة ولوعة .

ـ لا تمثل يابن الكلب .. اندمج .. اتضحك على .. اندمج .. انت خالع الان ملابسك وهذه انثى ، نملة مش نملة لا يهم .. هذه أنثى .. اندمج .. وسأراقب وجهك وملامحك .. وأقسم برحمة أمى إن لم أرك تفعل ما قلته سأشرح تلاميذك وانت وكلكم معه .. وانت تعرف وكلكم تعرفوننى ..

وكان واضحاً من وجهه المسمر المحفر بالجديرى القديم أنه لا يهزل ، حاولت أن اجد فرجة احتمال أو عشر احتمال للتهاون فلم أجد . هذا انسان مجنون وقد تقمصته حساسية المجانين للحقيقة ولن يصدق غيرها ولن استطيع ابداً خداعه وعلى أن افعلها. حاولت . ولكنى فى منتصف المسافة استدركت وطلبت منه العذر .

وجمعت نفسى وباقصى ما استطيع من قدرة على أمر النفس أمرتها . أحسست ان شهبا كشهب الجنون تتراءى لعينى ، ومن فرط الانضغاط بدأ العقل فى مخى يطقطق . مجنون أمر وأمر مجنون ، ولابد أن استجيب ، ومجنونا لابد ، لكى استجيب ، أن اصبح . أنا فعلا رجل ضخم ، وهذه نملة ، وبكل كيانى على أن اصغر نفسى واستحيل من انسان إلى حشرة ، الى نملة ، إلى ذكر نمل ، تستثيرنى انثاى النملة .

وكلما فشلت ، كلما توقفت ، كلما غام وعيى بالمشهد وباستحالة التحول واحسست التهديد يحوم كغربان البين حول التلامذة الصغار وحول الطابور أتصاغر وأتصاغر ويكسونى العرق وتطقطق عظامى وتندشدش ولا بد أن تصبح كفى فى حجم ساق النملة وساق النملة لا يكاد يرى ولا بد أن أهوى بوعيى وبارادتى على كفى وكتفى ولحمى وعظمى ورأسى وبطنى وساقى وعنقى وأدق وأصغر كى استحيل ذكر نملة ، أفرز هرموناته ، وأجعلها بالقوة القاهرة تستجيب لهرمونات انثاى القابعة ، مستسلمة ، فى يدى . هكذا ، رأيتها ، بألف عين دقيقة لى تكونت ، قد استجابت ، وكفت عن الحركة ، ووقفت واضطجعت .

لو كانوا قد عذبونى وقطعت الجبل كله ، لو ربطونى لذيل حصان جرى بى القطر كله من أقصاه الى اقصاه ، لو ربطونى فى عروسة جلد وجلدونى ألف جلدة ، لو فعلوا ما هو أكثر وأكثر لما أحسست بربع معشار ما مر على . ولم اعد استطيع الكف وجسدى يمضى يتصاغر ليصبح نملة ويستمر نملة ويعيش ويحب ويزاول الحب نملة .. وعند لحظة النهاية فقدت الوعى ..

قالوا لى إنهم حملونى حملا إلى الليمان . وانهم خافوا من صراخى اثناء الليل واستجار الزملاء من عضى وتمزيقى لملابسهم وملابسى ، وحملونى إلى مستشفى سجن مصر ، ومن هناك الى هنا .. وهمس لى التومرجى الاسمر العجوز وأنا فى طريقى اليكم انهم يفكرون فى الافراج الصحى عنى ، ولو ، ما الفائدة ، وقد نمت مع النملة واعترفت ، وكان الذى كان ..

ولأن لا أبشع من السجن والمنتظرين المحاكمة من كلمة اعتراف ، فقد وقفنا على اطراف تحفزنا أنا وحمزة ونحن نسأله بماذا اعترف ولماذا اعترف .

قال وهو يشيح بيده : وأنا وسط العذاب ، فى منتصف الساعة بين كونى نملة وكونى ذكر نملة انكسرت ارادتى ولم احتمل ، وقلت كل ما عندى بأمل أن يتوقف أمر يونس بحرى وأن يكف العذاب ، ورغم الاعتراف لم يوقف المجرم الأمر ، وحتى لو كان أوقفه فانا نفسى كنت غير قادر لحظتها أن اوقف عذاب التحول ، ارادة أن أكون بشرا أفلتت وصارت لى ارادة نملة لا تقوى أبدا على الكتمان .

● ● ●

ورغم اعادته الى المستشفى فقد سمعنا أن حرارته ظلت ٤١ طول الليل ورغم جسده المتين الضخم ، فى الصباح التالى مات .

د. يوسف إدريس



ابراهيم ناجى يلقى قصيدة

نعمان عاشور

لقاء مع

ابراهيم ناجي

مدرسة أبوللو

تعلقت بركب ناجي من زمن بعيد في أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة وبعد تخرجي في كلية الآداب كان ناجي يكتب في معظم مجلات دار الهلال وبالذات في مجلة « الاثنين » التي كانت تصدر أيامذاك وفي مجلة المصور أيضا ·· قرأت له قبل أن ألقاه ·· ولكني عرفته قبل أن أقرأ له ·· وكانت حصيلة ما يكتب شيئا خارجا وبعيدا كل البعد عن الشعر ·· كان يقدم أبوابا قصيرة عن الامراض النفسية · ثم بدأ يشق طريقه نحو معالجة القضايا العاطفية حتى استقر نهائيا وتخصص تماما في الكتابة عن الجنس ، يباحث آخر نظرياته ويتصدى لمعالجة قضاياه ومشاكله من واقع ما كان يقرأه عنه في الكتب والمجلات ·· وكان الجنس في هذه الايام يغمر جميع الكتابات وليس فقط الادب الروائي أو الادب القصصي ·· لكنني كما قلت كنت أعرف ناجي قبل أن أقرأ له مثل هذه الابواب والفصول الصحفية ·· والذي وجهني الى ذلك من قبلها بسنوات ·· الاهتمامات الشعرية التي حفزتني وبفضل توجيه الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ·· الى أن أتابع ما كان أيامها يسمى بمدرسة أبولو ·· ومن أبرز شعرائها أبو شادي وناجي وغيرهما ··

ملحمة الاطلال

وكان أول ما أثار اهتمامي بناجي ·· الابيات المحفوظة التي كانت تردد عن ملحمته الرائعة التي كتبها خلال سنوات الحرب ملحمة « الاطلال » ·· وهي مجموعة قصائد في قصيدة طويلة واحدة لم يعن ناجي بجمعها وانما كانت تنشر له تباعا في مجلة « أبولو » أحيانا ·· وعلى ألسنة الشعراء من المعجبين به



زكى مبارك



كامل الشناوى



فرويد



الممثلة اسيا دانمر

● فتنتني الأطلال وفتحت مغاليق حسّي وتذوّقي على شاعريّته.. فانفرد بين كافة معاصريه بإعجابي

● لما أفصحتُ له عن إعجابي بشعره.. ازداد غبطة وكأنه طفل صغير.. ومن هذه اللحظة عرفتُ شخصيّة ناجي على حقيقتها.. إنه يصادق الآخرين من الدقيقة الأولى

أحيانا أخرى ·· وظلت كذلك متناثرة حتى جمعها بنفسه بعد سنوات وضمنها احدى دواوينه ·· فتنتني الاطلال وفتحت مغاليق حسي وتذوقي على شاعرية ناجي فانفرد بين كافة معاصريه باعجابي ·· والحق انه كان أستاذهم جميعا أو هذا ما أثبتته الايام بالفعل · لذلك فما كدت أسمع ذات ليلة بوجوده في مقهى مقابل « لقهوة عبد الله » التي كانت بمثابة مجمع ليلي للادباء في الجيزة حتى سارعت اليه ·· كان يجلس في حديقة مقهى « المثلث » المطل على الجانب المقابل لقهوة عبد الله في ميدان الجيزة ·· وكان ذلك في احدى السنوات التالية لنهاية الحرب ··

ربما عام ١٩٤٦ لم يكن ناجي يجلس لوحده ·· وانما كان محاطا بمجموعة من الشعراء والكتاب غير المعروفين ·· وكان يقرأ عليهم من ورقة في يده ·· احدى قصائده الاخيرة ·· كانت هذه هي عادة ناجي دائما فهو لا يكتب شعرا الا ويقرأه على المحيطين به ·· واستأذنت في الجلوس معهم بجرأة وشجاعة لم أكن أعهدها في نفسي من قبل وانما دفعني اليها اعجابي المتصل بشعر ناجي ·· وفرح الرجل بانضمامي اليهم ·· فلما أفصحت له عن اعجابي بشعره ·· ازداد غبطة وكأنه طفل صغير ·· ومن هذه اللحظة عرفت شخصية ناجي على حقيقتها ·· انه من ذلك النوع الذي تستطيع أن تكون صديقا عزيزا له من أول دقيقة وقد كان هذا موقفه مني بعد ذلك على الدوام وحتى نهاية عمره ··

جلسات المثلث

في الليلة التالية سارعت الى جلسة الحديقة في مقهى « المثلث » بالجيزة بعد أن مررت على قهوة عبد الله لاثبات وجودي هناك اذا سأل أحد عني ·· ولم أجد ناجي في جلسته المعتادة ·· لكني اكتشفت شيئا كان جديدا على بالفعل بالنسبة لهذا المقهى ·· فهو مقهى على مستوى أرفع بكثير من قهوة عبد الله ··

صاحبه يوناني وهو يعتبر بمثابة مصيف ليلي كان يتردد عليه العديد من الادباء والكتاب والفنانين بل ورجالات السياسة أيضا ·· وهو المحل المختار لمخرجي السينما وممثليها وممثلاتها والعاملين باستديوهاتها الواقعة جميعا بشارع الهرم على امتداد ميدان الجيزة ·· والمقهى متخصص في تقديم المثلجات من الجيلاتي والايس كريم وغيرها ··

وفي تلك الليلة بالذات وأنا أبحث عن ناجي وشلته ·· لاحظت هذه الملاحظة فحول أكثر من مائدة ·· كان يجلس بعض السياسيين بينهم الوزير حفني محمود الذي أصبح باشا ووزيرا فيما بعد ومعه مجموعة من أصحاب الوجوه المألوفة في كاريكاتير المجلات السياسية من الوزراء والحكام الذين لم أكن أعني بمعرفة أسمائهم ·· ثم مائدة أخرى تضم يوسف وهبى ·· والمخرج أحمد بدرخان ·· والمنتجة آسيا وغيرهم من السينمائيين الذين أقرأ عنهم وأرى صورهم في الصحف والمجلات واعلانات الافلام ·· لكن المائدة التي كان يجلس عليها ناجي ليلة الامس ·· كانت خالية ··

ابراهيم ناجي



وأوصيت الجرسون قبل أن أغادر مقهى المثلث اذا جاء الدكتور ناجي أن يخطرني بحضوره ·· وأنا جالس على المقهى المقابل ·· قهوة عبد الله · وعدت أدراجي وظللت جالسا أترقب وصول من يخطرني بحضوره ·· حتى مللت الانتظار فعدت ثانية الى حديقة مقهى المثلث وهناك وجدت ناجي وفي صحبته نفس مجموعة الامس ومعهم احدى الممثلات ·· وما ان رآني ناجي حتى دعاني الى الجلوس مع انه حتى اللحظة لم يكن يعرف اسمي ومن أكون الا أنني مجرد معجب عابر من المعجبين بشعره ·· وطلب الي مشروبا فقد كانت هذه هي عادته التي اكتشفتها فيما بعد من متابعتي له ·· انه لا يسمح لأحد بأن يدفع ثمن أي شيء يطلبه وهو في حضرته ·· وبعد حديث خاطف عما يجري من أحداث عامة ·· أخرج ناجي من جيبه ورقة ·· كانت فيها قصيدة من الشعر ·· وراح يقرأها لنا ·· قصيدة يودع بها غراما يائسا ويستقبل بها حبيبا جديدا · من الواضح أن هذا الحبيب كانت السيدة التي تجلس معنا ·· ولم تعجبني القصيدة ·· لانها كما يبدو كانت مكررة في معناها لكثير من القصائد التي قرأتها له ·· ولم يسألنا رأينا فيما كتب ولكنه اكتفى بأن أعطى القصيدة للسيدة الجالسة معنا طالبا منها أن تحتفظ له بها كهدية منه ··

غراميات ناجي

كان ناجي كلما رأى امرأة وقع في حبها ·· فالحب عنده كما كان يقول المرحوم كامل الشناوي مثل « قزقزة اللب » ·· وكامل الشناوي نفسه كان كذلك ·· ويبدو أن جميع كتاب القصائد الرومانتيكية من الشعراء جميعا ·· مثلهما تماما ·· والشرط الوحيد عندهم أن تكون المرأة جميلة وأن يكون جمالها موحيا بالشعر وأن تستطيع بما خلقته في وجدانه من انطباع واحساس بالجمال قادرة على الصد والجفاء وعلى براعة فائقة في الدلال ·· فبذلك وحده تستطيع أن تهز عواطفه ·· وبذلك وحده أيضا يستطيع هو أن يستغني عنها اذا صادفته واحدة أخرى من نفس نوعها متفوقة في الجمال ·

ذات ليلة دعانا ناجي لصحبته أنا ومجموعة من المحيطين به فرحلنا في تاكسي الى ضاحية مصر الجديدة ·· طبعا على حسابه ·· ووصلنا الى هناك والقمر ينسكب على الصحراء الشاسعة ويغطي الليل بغلالة ساطعة من الفضة ·· ونزلنا الى شارع قفر ليس فيه الا بيت واحد ·· فيللا مغلقة صامتة خالية ·· وطلب الينا أن ننتظره ·· وراح يطوف حول الفيللا والطواف حول مرقد الحبيب لا تكاد تخلو منه احدى قصائده ·· وظل يطوف ·· ويطوف ·· ثم عاد يلهث ··

وتحت عامود الكهرباء ·· استند بقدمه الى الرصيف وأخرج ورقة وراح يتمتم وهو يكتب يستعيد ويسجل الابيات التي طوف بها حول الفيللا ·· ثم أخذ يترنم بها في صوت مسموع وهو يشهق ملوحا ·· « روشتة الشفاء » ··

ـ خلاص ·· برئت من هواها ··

كانت الابيات التي كتبها تفيض لوعة وحسرة وألما ·· ولم يحاول أحد منا أن يصدمه ·· فقد كان هذا هو حب ناجي حب دائم متجدد في خياله وأحاسيسه وحدها ·· وما دامت هناك امرأة جميلة تحب فانه يعيش قصة هواها ·· حتى ولو كان عن بعد وبغير لقاء ·· فاذا أراد لها نهاية ·· سجلها في « روشتة الشفاء » وهذا هو الطابع المميز لأغلب قصائده ·· وعدنا مع الفجر لينصرف كل منا الى بيته ·· ذلك أن ناجي لم يكن ينام الا مع طلوع الشمس ··

كان ناجي طبيبا بشريا كما هو معروف وكان يشغل وظيفة مدير لمستشفى حكومي يقع على أطراف حي شبرا ·· مستشفى الخازندار ·· وكانت له عيادته الخاصة في وسط الحي ·· وفيها يلتقي عادة بأصدقائه وصفوة خلانه ·· صحبت أستاذنا مصطفى عبد اللطيف السحرتي في أكثر من زيارة لندوة عيادة ناجي ·· كان يعالج أغلب مرضاه مجانا ·· ويعتمد في علاجه على حالاتهم النفسية أكثر من اعتماده على حالاتهم الجسمانية ·· ومن أجل هذا كان شديد الشغف بقراءة علم النفس ولديه مكتبة زاخرة بالتحليلات النفسية خاصة ما يتعلق منها بالجنس ونظريات فرويد بالذات ·· فقد كان ملما بها الماما كبيرا ·· كما كان شديد التعلق بالكتابات المتلاحقة التي كانت تصدر أيامها عن اللاعقل واللاشعور واللامعقول ·· ولهذا تضيع الجلسة اذا لم يكن لديه قصيدة ليقرأها في الحديث عن العقل الباطن والاسرار الكامنة وراء الظاهر من شواهد الامور حتى ان الكثيرين كانوا يعتبرونه متصوفا أكثر منه باحثا ومحللا نفسيا ، كما كان يحب دائما

- كان إذا رأى امرأة وقع في حبها .. بشرط أن يكون جمالها موحيا بالشعر
- عندما طاف حول بيت حبيبته ذات ليلة .. ثم وقف تحت عامود النور يكتب قصيدة
- روشتة الشفاء : هي القصيدة التي يكتبها .. عندما تنتهي علاقة عاطفية

أن يكون في مجال نشاطه النثري والفكري ·· وكل هذا يتفق تماما مع طبيعة نهجه الفكري فضلا عن اتساقه مع متجهه الرومانتيكي الغامر في الشعر ·

ليلة مع زكي مبارك

ومن الليالي المشهودة في صحبة ناجي ·· اننا كنا نصدر مجلة أدبية يشرف عليها الشاعر والكاتب القدير الاستاذ مفيد الشوباشي وكنا نساهم جميعا في تحريرها بل وطبعها وتوزيعها واسمها « الاديب المصري » وكان من عادتنا أن نجتمع مساء كل خميس في احدى مقاهي ميدان التوفيقية كصحبة أدبية جديدة ·· وحدث ذات مساء ان أهل علينا ناجي ونحن جلوس على مقاعد المقهى الخارجية فوق رصيف الميدان بدعوة كان قد وجهها اليه الاستاذ مفيد الشوباشي بمناسبة نشر أحدث قصائده التي أهداها للمجلة ورفض أن ينشرها في أي مجلة أخرى · وتصادف في تلك الليلة أن كان يجلس بداخل المقهى يقارع بنت الحان أديبنا العتيد زكي مبارك ·· وكان يفضل دائما أن ينزوي بنفسه أو في رفقة قليلة بعيدا عن الانظار ·· فلما حضر ناجي وطالت جلسته معنا لمحه زكي مبارك فقام يهتز لناحيتنا · ويدعونا مادام في صحبتنا ناجي أن ندخل اليه في أغوار المقهى ·· وكانت ليلة لا تنسى بداها زكي مبارك بالهجوم على شعر العقاد ·· ثم تطرق الى ناجي فحاول أن ينال من شعره ·

وطال بنا الليل فأغلقت المقهى علينا ونحن جلوس داخلها وبدأ زكي مبارك يتحرش بناجي في الشعر ·· فطالبه لمطارحته على أن يقول كل منهما بيتا فيسارع الآخر بالرد عليه من آخر حرف في آخر كلمة فيه ·· وبشرط أن يكون من تأليفه على غير العادة في مطارحات الشعر ·· وبدأ زكي مبارك يبث من شعره ·· فرد عليه ناجي ببيت آخر ارتجله مباشرة واستمرت المطارحة ·· كان زكي مبارك يستحضر أبياتا من شعره المكتوب ·· بينما ناجي يرتجل الابيات عفو الخاطر وفي بداهة لا تعرف التوقف وزكي مبارك نفسه لا يصدق ويتهمه بأن ما يقوله من أبيات انما هو من محفوظ أشعاره ·· كان تحديا مثيرا رد عليه ناجي ·· بأن كان يقابل كل بيت يقوله زكي مبارك بعدة أبيات متلاحقة على صورة رد في المعنى والفكرة والمضمون ·· شيء أشبه بالقصائد القصيرة ··

وتلك كانت حقيقة شاعرية ناجي فهو يقول الشعر على سجيته ويرتجله ارتجالا فوريا ·· موهبة فذة لا يضارعها الا عجزه عن حفظ أكثر من بيت أو بيتين من أي قصيدة سبق أن كتبها ··

آخر لقاء

على أخريات حياته ترك ناجي ادارة مستشفى الخازندار وكانت تابعة لوزارة الاوقاف ·· وعين رئيسا للقسم الطبي بالوزارة ·· وأذكر أن آخر مرة رأيته فيها حين لقيته خارجا من الوزارة ومعه أحد الفراشين ·· كان يحمل حوالي خمسين نسخة من ديوانه الاخير ويتقاسم حملها مع الفراش ·· فلما رآني ·· نادى علي من الرصيف المقابل فما أن أقبلت عليه حتى رمى بنسخ الديوان على الارض ·· ثم أسرع وفي يده نسخة فأهداها الي في فرحة بالغة لا تعادلها فرحة الطفل وهو يبادلك لعبته الاثيرة ·· وسألته اذا كان قد جمع فيها كل شعره ·· فهز رأسه في حزن ووجوم ··

هذا كل ما أسعفني به الاصدقاء من أوراقهم ·· يقصد الاوراق التي كان يدون عليها قصائده قبل أن ينساها ويهديها لهم ·· ثم ينساها حين يكتب غيرها ·· وأسرع ليلحق بالفراش بعد أن منعني من مساعدته على حمل بعض ما كان يحمله من النسخ ·· ورجاني أن أقرأ الديوان وأناقشه فيه حين ألقاه ·· ولكني لم ألقه بعد ذلك حتى اليوم ·· لان هذه كانت آخر مرة رأيت فيها ابراهيم ناجي ·· أبرز والمع شعرائنا الرومانتيكيين المحدثين وأستاذهم جميعا ···

نعمان عاشور

العدد القادم

في الطريق

عباس محمود العقاد



أنور الجندى

اللغة العربية

إن اخطر التحديات التى تواجه العالم الاسلامى فى مطلع القرن الخامس عشر هى (المؤامرة على الفصحى لغة القرآن) هذه المؤامرة التى تمثل خيطا من خيوط الغزو الفكرى والتغريب . كجزء من الحملة على القرآن والاسلام والعقيدة الاسلامية منهجا ونظام مجتمع .

وما تزال المؤامرة على اللغة العربية الفصحى مستمرة لم تتوقف لها خيوطها المرتبطة بالاستعمار والنفوذ الأجنبى ، وهى مؤامرة تلبس فى بعض حلقاتها ومراحلها ثوب البحث العلمى ، وتحاول أن تدعى أنها تستهدف التجديد ،والصورة المعروضة اليوم تحاول أن تخدع الكثيرين . وقد كانت المؤامرة على اللغة العربية أساسا تستهدف الدعوة إلى العامية أو كتابة العربية بالحروف اللاتينية ..

وقد أخذت فى بعض الاوقات طريق الدعوةالى معارضة مفاهيم النحو أو نطق الكلمات . وجرت فى خلال السنوات الممتدة منذ حمل لواءها المبشر الانجليزى (ويلكوكس) فى مراحل متعددة وانتقلت من مصر الى المغرب الى الشام ولبنان واستطاعت أن تجد لها دعاة ممن يكتبون بالعربية خلفوا اولئك الأجانب الذين حملوا اللواء أول الأمر ، وقد توالت المحاولات الماكرة تحت اسماء مختلفة ، وهى كلها تستهدف أمراً واحداً هو عزل المسلمين عن بيان القرآن وعن أسلوبه وشق وحدة اللسان والكلمة باعلاء العاميات فى مختلف البلاد الاسلامية حتى تنمو تلك العاميات وتصبح لغات منفصلة ، وعندئذ يصبح (القرآن الكريم) تراثا يترجم ويقرأ عن طريق القواميس والمعاجم .

الفوارق الكبيرة

وهم يضعون تجربة اللغة اللاتينية بالنسبة للانجيل فى أوربا كصورة نموذجية للمحاولة ويجهلون مدى الفارق البعيد بين اللغتين وينسون أن الأنجيل لم ينزل باللغة اللاتينية أصلا وانما يترجم إليها .

إنهم يقولون انه مادامت اللغة اللاتينية قد ماتت ودخلت المتحف فلماذا لا تموت اللغة العربية وتتفرع عنها لغات اقليمية ؟! والحق أن وجه المقارنة غير صحيح وغير صادق فقد انتهت اللغة اللاتينية بتحولها الى لغات ، وليس كذلك ما يحدث بالنسبة للغة العربية التى مازال (القرآن) يظاهرها ويجعل ما كتب بها منذ أربعة عشر قرنا مقروءا الى اليوم ، بينما لم يحدث ذلك مطلقا لأية لغة من اللغات الحية التى تتغير كل ثلاثة قرون ، فامرؤ القيس السابق للاسلام نقرأه نحن الآن ونفهمه ، بعد اكثر من ١٥٠٠ سنة بينما شكسبير لا يفهمه الانجليز ، وقد مضى عليه ثلاثمائة عام فحسب ، وهذه الظاهرة فى اللغة العربية تجعلها لا تخضع لعلم اللغات الذى يحاول أن يحكم على كل اللغات بظواهر عامة مشتركة.. ومن ناحية أخرى تتميز اللغة العربية أيضا بأنها ليست لغة أمة كما يحدث للغات جميعا ولكنها الى ذلك لغة فكر وثقافة وعقيدة لألف مليون مسلم ، العرب بينهم مائة مليون ومن هنا تتكشف فوارق كبيرة بين اللغة العربية لغة القرآن وبين اللغات القديمة كاللاتينية واللغات الغربية ..

المحاولات التغريبية

وقد كانت اللغة العربية بطبيعة تركيبها وتميزها بالقدرة على الاشتقاق والتوالد عاملا هاما فى مكانتها وقد وصفها (ارنست رينان) بأنها خلافا لكل اللغات ظهرت فجأة فى غاية الكمال ، غنية بكل معنى ، بحيث لم يدخل عليها حتى يومنا هذا أى تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة وأنها ظهرت منذ أول أمرها تامة محكمة .

ولقد مضى القرآن يشق طريقه ومضت معه اللغة العربية وكان حقا عليها أن تصل الى كل مكان وصل إليه ، ولكن الاستعمار استطاع منذ أكثر من قرنين أن يوقف تقدمها ونموها ويحول بينها وبين الحركة وخاصة فى ماليزيا واندونيسيا وشرق افريقيا وغيرها واعلاء شأن اللغات الأجنبية واللهجات الاقليمية المحلية ، ولكنها سوف تستطيع فى هذا القرن الوليد بعد أن تحررت الأمم من نفوذ الاستعمار الثقافى أن تعاود توسعها وتصل الى كل مكان فيه مسلم ليس بوصفها لغة فكر وعبادة وثقافة فحسب ولكن على أنها لغة حديث وكتابة وتعامل .

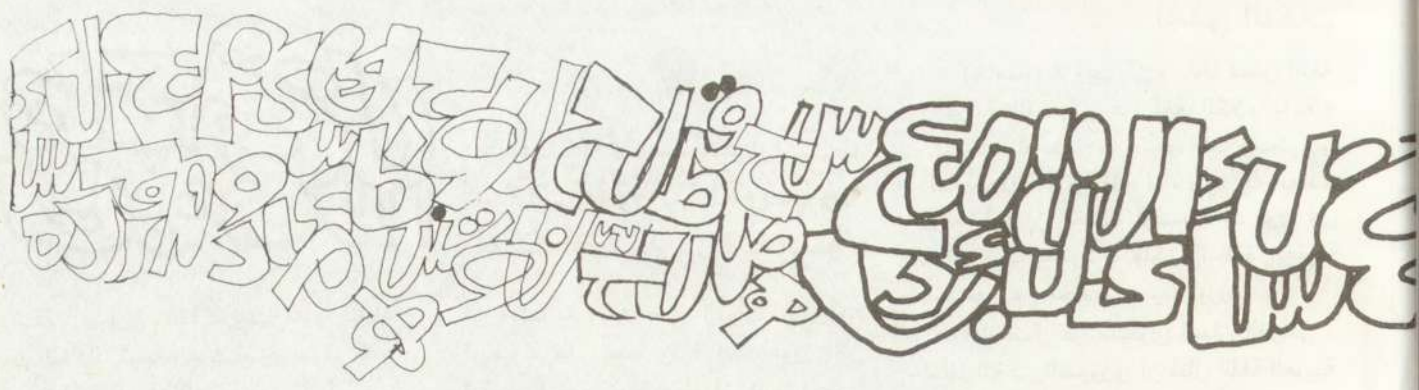
فمن هذا الفهم الصحيح لوضعية اللغة العربية بين اللغات يمكننا أن نواجه كل ما يقال عن (تطوير اللغة) أو أقلمة اللغة أو اعلاء شأن العاميات والادعاء بأنها لغة خاصة ملك لاصحابها ونفهم أن هذه كلها محاولات تغريبية تستهدف :

(١) عزل العرب عن الوحدة الكاملة بينهم .

(٢) عزل المسلمين عن العرب .

(٣) عزل المسلمين والعرب عن مستوى البيان فى القرآن الكريم .

ولا ريب أن اللغة العربية جديرة بأن تلقى دائما فى مستوى بيان القرآن وأن يرتفع الناس إليها . ولا ريب أن الدعوة الى اقامة



متى تواجه التحديات؟

لغة وسطى بين الفصحى والعامية هى احدى محاولات الغزو الفكرى وليس لها هدف إلا إنزال اللغة العربية درجة عن كيانها الذى يرتبط ببلاغة القرآن وبذلك تنهدم ركيزة من ركائز الاسلام وهى حجب المسلمين عن فهم القرآن الكريم واستيعابه وفهم ثقافة دينهم وفقهه وهو أمر خطير وهام ويحتاج الى دوام المحافظة على بلاغة اللغة وروحها ، فاللغة أساسا هى فكر الأمة ، والفصحى هى فكر العرب والمسلمين مرتبطة بذاتية الاسلام ومزاجه النفسى والاجتماعى .

(ثانيا) قدمت فى سبيل المؤامرة على اللغة العربية خطة العاميات ثم خطة الكتابة بالحروف اللاتينية ثم مشروع شرشر ومشروع العربية الاساسية والبقية تأتى من خطط ومؤامرات وقد استخدمت المحافل الرسمية لتقديم عدد من المشروعات وخاصة محاولة دراسة اللهجات واعطائها طابع العلم

يقول الدكتور محمد محمد حسين : ليس الخطر فى الدعوة الى العامية ولا فى الدعوة الى الحروف اللاتينية ولا فى إبطال النحو وقواعد الصرف أو اسقاطها ، وإنما الخطر فى هؤلاء العتاه الذين يعرفون كيف يخدعون الصيد باخفاء الشراك . إن الخطر الحقيقى هو فى الدعوات التى يتولاها خبثاء الهدامون ممن يخفون أغراضهم الخطيرة ويضعونها فى أحب الصور الى الناس ولا يطمعون فى كسب عاجل ، ولا يطلبون انتقالا سريعا كاملا .

اصلاح اللغة

ثالثا : هناك بدعة (اصلاح اللغة) وقد ظن البسطاء أن المسألة يراد بها سهولة الأداء ، فالمصطلح خادع وماكر وسيىء النية أيضا .

وقد كشف هذه المؤامرة الدكتور على العنانى حين قال : ان الاصلاح فى الالفاظ والتراكيب والاساليب لا يكون الا بتغيير قواعد أبنية اللغة وهى (الصرف) وتحوير ضوابط اعرابها والأحوال العارضة على الالفاظ باختلاف الوضع فى الجملة وهو (النحو) وتبديل الموضع اللفظى فى المفرد والمركب من حيث الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية ، وهو (البيان) وبتغيير واهمال ضوابط الفصاحة والبلاغة وهى (المعانى) ومعنى اصلاح قواعد الصرف انتقالا من الصعب الى السهل انما يعنى أن نهدم علم الصرف من أساسه وننسخه نسخا تاما لتعدد قواعده وتنوع ضوابطه ،وبعد أن يتم الهدم يبنى المصلحون على انقاضه صرفا جديدا محدود القواعد قليل التنويع ، خفيفا على العقل والفكر ، سهلا على الذهن والفهم . وكذلك الأمر فى اصلاح قواعد النحو واصلاح علوم البلاغة .

وبهذا يكون معنى (الاصلاح) فى اللغة: نسخ العقلية العربية وما فيها من ثقافة نظرية وعملية ، ذلك أن الاصلاح هو التغيير ، والتغيير يعنى الازالة والوضع . يقول الدكتور العنانى : ان تغيير قواعد اللغة العربية صرفا ونحوا بالوضع فقط أو بالوضع والازالة معناه إحداث لغة جديدة بقواعد جديدة . وهذه اللغة الجديدة إن صح اتصالها بالعربية الحالية المدونة اتصال اللهجة بالأم فانها تبتعد عنها شيئا فشيئا حتى تختفى معالم الصلات بينهما أو تكاد وعندئذ تكون اللغة العربية الحالية من اللغات الميتة .

هذا الذى صوره الدكتور على العنانى هو خلفية الصورة البراقة التى نراها اليوم يحملها مجموعة من أعداء الاسلام واللغة العربية ويدافعون عنها وينقلونها من أسلوب الى أسلوب ، وكلما انكشف لهم جانب اعادوا تشكيلها فى صورة أخرى وهم الان على أبواب التعليم ، وهى خطوة خطيرة اذا سمح بها واعين عليها . على النحو الذى كشفت عنه مؤامرة مشروع العربية الأساسية الذى وصفه الدكتور عبد الحليم محمود بأن هدفه واضح فى هدم معالم اللغة العربية ، وتبعا لذلك البعد بها وبأهلها عن القرآن الكريم ثم ما ينتج عن ذلك من مساس بالاسلام وأصوله كما هى مصونة فى كتاب الله وسنة رسوله الكريم، ذلك إلى إيجاد الهوة الواسعة بين ماتئول إليه اللغة (لاقدر الله) وما احتوته من تراث فى صورتها السليمة يمتد نحو أربعة عشر قرنا من نحو أربعة عشر اقليما ، ومن ذلك نتبين أن المشروع يرمى الى قطع الصلةبالقرآن الكريم والسنة النبوية والتراث الفقهى الذى يعتمد فيما يعتمد على دلالة المفهوم والمنطوق وأساليب القصر والتقديم والتأخير وما إلى ذلك مما لا يتحقق فى لغة أساسها العامية ، بل إنه يقطع صلة المسلم بالتراث العلمى الاسلامى بصفة شاملة .

العلوم القاصرة

(رابعا) اللغة العربية الفصحى لغة القرآن هى لغة ألف مليون هم المسلمون وليس مائة مليون هم العرب وحدهم ، لذلك فان من الخطأ تطبيق علم اللغات الحديث عليها ، ذلك لأنه علم قامت نظرياته ومستخلصاته على أساس دراسة واسعة للغات الأوربية ، هذه اللغات لها تاريخ

لغة القرآن

استطاع الاستعمار أن يوقف تطور اللغة ونموها منذ أكثر من قرنين

وتحديات وطرق ، أما تاريخها فانها مشتقة من اللغة اللاتينية ولغات أخرى ، وقد كانت فى أول الأمر لهجات عامية ثم استقلت بنفسها تحت تأثير عوامل كثيرة ، أما التحديات فان ترجمة الكتاب المقدس الى اللغات القومية الأوربيةجعل الموقف جد مختلف بينها وبين العربية ، أما الطريق فهو أن اللغة العربية ارتبطت بكتاب منزل أعطاها وحماها وجعلها ليست لغة العرب وحدهم وإنما لغة الثقافة الاسلامية عامة منذ ارتبطت بالقرآن الكريم وثقافة للمسلمين جميعا الذين يبلغ عددهم فى مطلع القرن الخامس عشر ألف مليون .

ومن هنا فان ارتباطها بالقرآن هو الذى حماها ومازال يحميها من أن تتحول لهجاتها الى لغات مستقلة ، أو أن يقرأ تراثها بقاموس وسيظل هذا الترابط بين المسلمين ولغة الضاد والفصحى : لغة القرآن قائما الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

إن اللغات الأوربية حين انسحبت من اللغة اللاتينية إلى اللهجات القومية فأصبحت لغات خاصة انقطعت عن تراثها القديم ، وقد أصبح من شأن هذه اللغات أن تتطور وتتطور وهى فى كل فترة تنتقل من اللغة المكتوبة الى لغة الكلام التى تصبح بدورها لغة كتابه ومن ثم فان أوربا لا تستطيع أن تقرأ لشكسبير او ملتون أو غيرهما من اعلام الأدب إلا بواسطة قاموس ، وليس بين اللغات الانجليزية او الفرنسية او الالمانية وبين هذا التراث أكثر من اربعمائة عام بينما يقرأ المسلمون الآن تراثهم القديم كاملا ، ولو أن انسانا عربيا من الجاهلية بعث اليوم لاستطاع ان يتحدث الينا ونتحدث إليه ونفهم منه ويفهم منا ..

كل هذه المعانى تؤكد أن علم اللغات الحديثة علم قاصر وأنه لا يصلح للتطبيق على اللغة العربية ذلك لأن مستخلصاته استمدت من دراسة اللغات الأوربية وظروفها ولم يدرس ظروف اللغة العربية . ولقد اعتقد المسلمون على مدى القرون ، وهو الحق ، أن لغتهم جزء من حقيقة الاسلام لأنها كانت ترجمانا لوحى الله ولغة كتابه ومعجزة لرسوله ولسانا لدعوته ، ثم هذبها النبى الكريم بحديثه ، ونشرها الدين بانتشاره وخلدها القرآن بخلوده ، فالقرآن لا يسمى قرآنا إلا بها والصلاة لا تكون صلاة إلا بها وان الارجانون لأى فكر أو منهج البحث لأى فكر انما يستند الى خصائص اللغة العربية ولا يستطيع أن يستند الى خصائص أى لغة أخرى فلكل لغة منهجها الفكرى القائم على معانيها ومضامينها وكما هاجم المسلمون المنهج الارسطى وقالوا أنه مستند الى خصائص اللغة اليونانية التى تخالف اللغة العربية فكذلك الأمر بالنسبة للمنهج الغربى الوافد ذلك لأن الفكر الاسلامى له منهج البحث الخاص به ومنهج المعرفة الذى يمثله والمستمد من اللغة العربية القرآنية ومن التوحيد الخالص .



أغنى اللغات

(خامسا) لا ريب أن محاولة فصل اللغة العربية الفصحى عن لغة الكلام باعلاء اللهجات أو بخلق ما يسمونه لغة وسطى أو لغة صحافة ، كل ذلك له خطره وله أبعاده ومخاطره إن النظرة العسيرة قد ترى فى ذلك شيئا مقبولا ، ولكن النظرة العميقة تكشف عن محاذير عميقة أبرزها :

الانفصال عن مستوى البيان القرآنى ، ذلك أنه من الضرورى أن تظل اللغة العربية متصلة ببيان القرآن ومرتبطة به فاذا بعدت عنه كان من أخطار ذلك أن تنفصل عن روح الاسلام وعقيدته وشريعته .

واللغة العربية لغة غنية خصبة عملاقة : يقول الخليل بن احمد فى كتاب العين : (إن عدد ابنية كلام العرب ١٢ مليون و٣٠٥ الف و٤١٢ كلمة . ويقول الحسن الزبيدى صاحب (لسان العرب) ان ما يستعمل من الفاظ اللغة العربية هو ٥٦٢٠ لفظا فقط ومن الناحية العلمية فهى تفوق أضخم اللغات ثروة واصواتا ومقاطع ، إذ بها ٢٨ حرفا غير مكررة بينما فى اللغة الانجليزية ٢٦ حرفا ومنها مكرر .

وقد أشار الى هذا النص سليمان البستانى مترجم الياذة هوميروس حين قال: (ان اللغة العربية هى أطول اللغات الحية عمرا ، وأقدمهن عهدا والفضل فى ذلك راجع الى القرآن ، فالالياذة وبلاغتها وسائر منظومات هوميروس وهيدوس على علو منزلتهما ، لم تقم للغة اليونانية دعامة ثابتة حتى فى بلادهما ولم تقو على مقاومة التيار الطبيعى ، ولكن (القرآن) وطد لغة قريش فى بلادهم وأذاعها فى جميع البلدان العربية وفى سائر البلاد وحيث كثرت مخالطة العرب للضاربين فى أقطار الأرض للجهاد والتجارة . واذا كانت اللغة العربية هى دعامة وحدة الأمة العربية فانها هى أيضا الرابطة الكبرى بين الأمم التى يظلها لواء الاسلام والتى ترتبط مع الأمة العربية بروابط تاريخ مجيد أمتد خمسة عشر قرنا) .

هذه اللغة العربية الفصحى لغة القرآن يجب أن تكون أبعاد عظمتها ومكانتها بين العرب والاسلام والقرآن واضحة بينه لشبابنا حتى لا يستهين بها حين يحدثه المغربون عن اللغات الاخرى وليعرف أبعاد التحدى والمؤامرة التى تواجهها دائما لضرب الاسلام والقرآن وسيكون لهذا الوعى قوة رائدة فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى باذن الله .

أنور الجندى



أحلام أحلام

الرجل الزجاجى... والثعابين والخيار...

تقول أسطورة روتها لى جدتى صغيرا ، أن ملكاً فى الجاهلية الأولى ، كان يتجول فى عرض الصحراء ، لتفقد أحوال الرعية ، فصادف فى واد سحيق بين جبلين شاهقين ، راعياً يسوق إبلا ، وهو ممسك بذيل بعير أجرب ، وغير مبال بثعبان غارز أنيابه فى إحدى قدميه ، فوقف الملك مندهشاً ، والتفت الى وزيره ، واسر له بقوله ، هذا الرجل قوى متين الجسم ، لابد أن آخذه معى الى القصر ، وأضمه الى حاشيتى ، بل سأجعله مقدم الجند ، وقائد الفرسان ... فقال الوزير : يامولاى دعه فى بيدائه ، وامنحه ما تشاء من العطاء ، دون أن تفكر فى تغيير (بيئته) ... فأصر الملك على رأيه ، ، واصطحب الراعى فى عودته ، وآواه وقربه ،اليه ، وزوجه ابنته الوحيدة ، واسكنه قصرا فى ضاحية ، وافسح له فى مجلس العرش مكاناً مرموقاً ... وبعد شهور من العيش الرغد فى البيئة الجديدة ، تخلف الراعى يوماً عن مجلس الملك ، فارسل من يستفسر ، فجاءه الخبر بأن الرجل مريض !! فانزعج الملك ، وهرول فى جمع من المستشارين والوزراء والأطباء ، إلى بيت ابنته ، وهاله أن يجد صاحبنا الراعى راقدا فى فراشه الوثير ، وحوله الخدم والحشم والجوارى ، يطلقون البخور ويهشون الذباب ، ويضمدون جبهة الراعى المريض بالماء والخل ... وافضت الاميرة الى أبيها بسر مرض زوجها فيما خلاصته : انه كان فى الصباح جالساً فى شرفة القصريستطلع أشعة الشمس الاولى ، فمر فى الطريق فلاح قادم لتوه من الحقل ، يحمل فوق رأسه (قفة) ملآى بالخيار (الطازج) ... ولما كان للخيار الطازج (زغب) خفيف مدبب ، فان صاحبنا حين قلب الخيار ، شاكته زغبة قوية نوعاً ما ، فالمته ، وخر مريضا عليلا .... فما إن استوعب الملك القصة بحذافيرها تماماً ، حتى ادرك حكمة وزيره وبعد نظره ، واقتنع فى قرارة نفسه ، ولم يبدها لهم ، انه اخطأ ، فى نقل هذا الرجل ، لمجرد ظاهرة رآها فيه ، طفرة واحدة ، من حيث تعضه الافاعى والحيات فلا يبالى الى حيث تشوكه زغبة الخيار الطازجة !!

هنا يقول العلماء ، إن مابذلوه من جهد خلال القرون من استقصاء لأحوال مادة الكون ، اثبت لهم أن أحوال المادة (المستقرة) أربع ، الصلابة ، والسيولة ، والغازية ، وحالة البلازما ، حيث تكون الذرات عارية من كل الكتروناتها تماماً ، تحت حرارة تقاس بملايين الدرجات المئوية كما فى النجوم ، وأن هنالك حالة خامسة أخرى (غير مستقرة) تنتقل اليها المادة إذا بردت فجاة ، إذ تصير (زجاجا) كذلك الذى تخرجه لنا المصانع ، أو ما يتخلف من حمم البراكين ، ولاباتها ، سواء منها النشط ، أو ذلك الذى هرم ، فمات وخمد ، منذ ملايين الأعوام ... فذلك الزجاج صلب ، فى ظاهره ، ولكنه فى حقيقته (سائل) تجمد ، إذ ليس فى كيانه بلورات ذات نظام هندسى ، شأن الاجسام الصلبة (المركبة أو العنصرية) المستقره ... واثبت العلماء أن الزجاج كلما تقادم به العهد ، وطال به العمر ، تدفعه النواميس التى أودع الله اسرارها فى الجماد والحيوان والنبات ، الى أن يبحث عن نوع من الاستقرار ، باعادة ترتيب (لبناته) فى بناء (بللورات) مما يترتب عليه أن يصبح معتما بعد صفاء وهشا بعد صلادة ، وذلك ليوائم ظروف البيئة من ضغط وحرارة ، بعد تغيره المفاجىء طفرة ... وكان صاحبنا ذاك الذى غر الملك منظره من ذلك النوع الزجاجى الذى تضر به الطفرة ، والنقلة السريعة ، وهو فى حقيقته زجاج .... ويقينى أن مسببات ما نحن فيه اليوم ، مرور فترات حسبنا فيه كل (صلد ظاهريا) ، متينا مبنيا من بللورات وكم من الأفراد والمجموعات حسبناها ، وهى لا تبالى بالأفاعى متعلقة فى أقدامها ، بطولات لن تفسدها كل مغريات الدنيا ، فاذا بها تستكن ، حين بهرتها الدنيا ، وتصبح فرائس للوعكات والامراض لمجرد لمس أناملها ، بعد أن طربت ولانت لزغب الخيار الطازج ، وهنا لا نملك إلا أن نقول لا حول ولا قوة إلا بالله ، حتى ياتى لهذه الأمة جيل لا يبالى بأنياب الثعابين ولا شوك الخيار الطازج ....

درويش مصطفى الفار

● اجل حكمك على اخيك حتى تكون فى موقفه .

« رابى هيليل »

● عملت طوال حياتي على تحرير الكتابة من الواقع اليومي وابتذالات كل عمل وكل مجتمع . الكتابة تجاوز للواقع والتعامل مع واقع آخر أكثر تعقيدا ولذة . ولا يعرف أحد وحشة هذه اللحظات الا عندما يخلو الى نفسه الى رحلة اغراء وهوس وجنون .

« الشاعر الفرنسي ميشال بولتويكرر »

د. محمد جابر الأنصاري

من القصة السعودية المعاصرة

اليد السفلى..
ودعوة للوئام الإجتماعى



الصبى (أحمد بن عيضة) بطل قصة (اليد السفلى) للدكتور محمد عبده يمانى ، سرعان ما يدخل الى قلبك بسذاجة معاناته وبساطتها ، كما دخل الى قلوب القراء العرب من قبل ، صبى كتاب (الأيام) لطه حسين أو صبى (طفل من القرية) لسيد قطب ... ذلك أن الدكتور يمانى يقدم لنا (صبيا) وثيق الصلة بنفسه أكثر مما يرسم شخصية مجردة أو متخيلة .

فهذا الصبى يروى قصته بلسانه وبضمير (الأنا) . وصحيح أن الكاتب يضع على لسانه أشياء أكبر من تجاربه الطفولية فى بعض الأحيان ، ويتدخل بشكل غير مباشر لينطق ويعبر باسمه ، فى أحيان أخرى إلا أن أصالة الصبى القادم من الريف السعودى ، وبراءة تجربته تبقى واضحة شفافة فى معظم فصول القصة ، وخاصة فصولها الأولى ، لتقدم لنا أدباً طفولياً لا نملك إلا أن نتعاطف معه ، على الأخص فى تلك المواقف المؤثرة التى يضطر فيها الصبى الى ترك أبيه لأول مرة فى حياته ، والعمل خادماً لدى اسرة غنية فى مكة .

وحتى عندما يكبر الصبى ، وتكبر تجاربه ، يبقى ذلك الطابع الطفولى الساذج هو الطابع المحبب والمميز للقصة كلها . استمع إليه كيف يلخص قصة حياته :

وهل كنت أنا ، نفسى ، سوى طفل يحب اللعب ؟

الدكتور يمانى .. روائياً :

ويبدو أن الكاتب قد ركز اهتمامه على رسم شخصية الصبى ، وعلى نقل تجربته الداخلية الى القراء ، فلم يلتفت كثيراً الى شخصيات القصة الأخرى مثل (باقيس) و (الشيخ عبد الحميد) و (عزيزة) و (دادة جمعة) وغيرها من الشخصيات الثانوية الطريفة التى كان من الممكن إخراجها فنياً بشكل أفضل لتزيد القصة إمتاعاً وحيوية ولتسليط المزيد من الضوء الكاشف على شخصية الصبى نفسه .

فبقدر ما كان الصبى يتحرك بحيوية وواقعية مقنعة فى أغلب الأحيان ، كانت تلك الشخصيات الثانوية تتحرك مثل الدمى ذات الوجوه المسطحة التى لا تحمل أبعاداً أو تنويعاً . إلا فيما ندر . وكأنما اصطنعها الكاتب ليخدم غرضاً فنياً واحداً هو ابراز سيرة الصبى ، بينما العمل الروائى المتكامل يعتمد التنوع والتشابك بحيث تتداخل الشخصيات ، من رئيسية وثانوية ، فى مختبر الرواية ليقدم لنا تفاعلها المشترك المتوازن تلك الشريحة المكتملة من الحياة التى يطمح الكاتب الروائى إلى إبرازها وتجسيدها حية ، كما فعل مثلا ، نجيب محفوظ فى رواية (زقاق المدق) التى اهتم فيها برسم معالم الشخصيات الثانوية ، بطرافة وامتاع ، قدر اهتمامه بأبطال القصة البارزين .

من المآخذ التكنيكية التى يمكن للناقد يؤاخذ عليها الكاتب ميله الى زيادة ـساح والشرح الذى يصل الى حد التكرار يؤثر على ناحية (الاقتصاد الفنى) فى ـة

فالفنان لا ينقل لنا واقع الحياة كما هو حذافيره وبالتكرار التفصيلى الذى تتصف به الحياة اليومية الرتيبة . وانما هو (يختار) و (ينتقى) فنياً تلك اللحظات والمواقف والانفعالات والتحولات المتألقة المكثفة والمعبرة ليستخرج منها ذلك الكائن العضوى المتميز ؛ اعنى العمل الفنى من قصة وشعر ومسرحية .

وبلا ريب فان الدكتور يمانى قد التزم بمبدأ (الاقتصاد الفنى) أو (الانتقاء الفنى المكثف) فى رسمه لمواقف الصبى ومعاناته ، ولكنه فى سرده لبعض الاحداث أو لبعض الحوار كان يكرر ، أو يزيد فى الشرح بما يتجاوز الحاجة الفنية ؛ أو يضع على لسان المتحاورين الكثير من العبارات الشائعة المتداولة كعبارات الشكر والدعاء

- على لسان الطفل أشياء أكبر من تجاربه الطفولية في بعض الأحيان
- الشخصيات الثانوية تتحرك مثل الدمى ذات الوجوه المسطحة
- وثيقة أدبية تصور المجتمع السعودي قبل انتقاله إلى مستوى الوفرة

والمجاملة وما إلى ذلك ، بما لا يخدم التطوير الفنى والنفسى للقصة ولا يضيف جديداً الى بنائها وسرعة حركتها ونبضها .

التوفيق بين الفصحى والعامية

إلا أن الدكتور يمانى يمتلك بعد هذا أسلوباً عربياً مشرقاً ومؤثراً استطاع به تجاوز بعض هذه النواقص التكنيكية والتأثير على القارىء بقوة بيانه . وهو على فصاحة لغته لم يأنف من استخدام اللهجة العامية فى الحوار ـ ولكن بشكل مقتصد وموجز ـ مما اضفى تنوعاً على أسلوب الرواية بين فصحى راقية وعامية شائعة ، وأثبت أن اللغتين تتعايشان فى العمل الفنى عندما تلتزم كل لغة حدودها ، وتقوم بدورها المطلوب دون إفراط أو تفريط . هذا ما يخص القصة من النواحى الفنيـــة ...

المضمون الاجتماعى

أما من النواحى الاجتماعية ، فان القصة يمكن أن تمثل وثيقة أدبية تصور تلك المرحلة المنصرمة من حياة المجتمع السعودى قبل الانتقال الى مستوى الوفرة والرفاهية ، عندما كان الطفل يضطر الى ترك قريته وأمه وهو ابن تسع سنـين ليشتغل فى المدينة وليكافح منفرداً فى سبيل البقاء والارتقاء لا يجد ما يعنيه غير كدحه وغير قيم التعاطف والرحمة التى يتصف بها المجتمع العربى القديم على



د. محمد عبده يمانى

مافيه من شظف وفقـر ، ومن فروق بين الاغنياء والفقراء .

ونحن إذا أخذنا بطل قصة (اليد السفلى) كرمز اجتماعى امكننا أن نستخرج من القصة نمطا من التفكير الاجتماعى القائم على الايمان بقيم العمل الفردى الحر الذى يؤهل صاحبه الى الانتقال من طبقته الى طبقة أعلى ، أو من وضع (اليد السفلى) الى مستوى (اليد العليا) ـ على حد تعبير لغة القصة . وهذا الانتقال يتم بالجد وبالتعاون بين الخادم والمخدوم ، وليس بأسلوب الصراع الطبقى كما تنادى بعض الفلسفات المعاصرة .

التكافل .. لا الصراع :

بعبارة أخرى ، فان قصة (اليد السفلى) هى دعوة لتأكيد قيم التكامل الاجتماعى والسلام الاجتماعى بين مختلف الطبقات بحيث يتمكن الكادحون من أصحاب المستويات المعيشية الدنيا ، من الصعود الى أعلى مدارج الهرم الاجتماعى بجدهم وبتعاونهم المثمر وتعاطفهم المتبادل مع أرباب العمل أو طبقة الميسورين والاغنياء ، دون الحاجة الى التنافس أو الحقد أو الصراع الطبقى كما حدث فى بعض المجتمعات الاخرى .

إن الفتى (أحمد بن عيضة) يظل طويلا تحت عبء كونه : (اليد السفلى) ، أى الخادم الذى يتلقى الاحسان من الايادى الأعلى منه . وهو عندما يشعر بعاطفة الحب القوى تجاه ابنة سيده (عزيزة) يقاوم عاطفته ويكبتها اعتقادا منه أنه من غير الجائز أن تتطلع (اليد السفلى) الى مستويات اليد العليا . وحتى عندما تبادله عزيزه الشعور وتضع يدها فى يده ويظل شاكاً متحرقاً يتساءل : (رباه .. هل هذا ممكـن ؟ .. هل يمكن لليد العليا أن تستقر بمحبة ومودة فى اليد السفلى دون حرج ؟) .

غير أن امرأة فقيرة عامية تخرجه من وهمه فى ذروة توتره وحيرته عندما تقول له :

(ماذا ؟ يد سفلى ؟ .. إنك ، يابنى ، لم تكن يداً سفلى فى يوم من الأيام فى هذا المنزل .. فاليد السفلى هى التى تتسكع وتسأل الناس الحافاً ... لقد كنت دائماً شاباً كريماً عفيف النفس وكنت تكسب رزقك بعرق جبينك .. والذى يكسب من عرق جبينه لا يقال عنه إنه يد سفلى) .

ويتزوج الفتى الفقير ابنة سيده ويمتلك بيته العتيد بعد أن أصبح طبيباً بجده وكدحه

اليد السفلى.. ودعوة للوئام الاجتماعى

، وبمساعدة سيده الرحيم العطوف ، فى وقت معاً .

هكذا تزول الفروق الطبقية وتتقارب الطبقات ، ويصير الفقير غنياً بجهده وقيمته الذاتيه ، وتعاونه مع من هم أعلى منه لا بصراعه ضدهم وقضائه عليهم .

درس من حياة النبى :

ويرد الدكتور محمد عبده يمانى هذا التصور الاجتماعى التعاونى الى الأصول الاسلامية وسيرة النبى العربى نفسه :

(هل نسيت أن رسول الله كان يعمل عند خديجة وتزوجها ، ولم يجد فى ذلك أى حرج ؟ انك تعلم ، وانت الانسان المتعلم ، أن لنا فى رسول الله ، أسوة حسنة .)

هكذا تنتفى ضرورة الصراع الطبقى من المجتمع العربى المسلم ، وتنفتح آفاق التعاون والتقارب بين جميع العاملين والمنتجين من أغنياء وفقراء ..



طه حسين



سيد قطب



نجيب محفوظ

تلك هى المسألة

هذه هى (الرسالة) التى نعتقد أن الدكتور محمد عبده يمانى ، أراد أن يوصلها إلى قرائه ، عبر قصته الهادئة ، والمعبرة ، (اليد السفلى) .

ونحن نشارك الدكتور يمانى أمله ، راجين أن يكون واقع تكافؤ الفرص فى مجتمعاتنا العربية كلها ، بالصورة التى تعرضها وتوحى بها هذه القصة السعودية ، بحيث يتم التلاقى بين الطبقات الدنيا والطبقات العليا بأسلوب التكافل والتفاهم لا أسلوب التصارع والتزاحم .

وليس لنا إلا أن نكرر مع بطل القصة فى النهايـة :

(رباه .. هل هذا ممكن ؟ أن تستقر اليد العليا فى اليد السفلى بمحبة ، ودون حرج ؟)

أجـل .. تلك هى المسألة وذلك هو التحدى الذى يجابهنا جميعـاً ..

دكتور محمد جابر الأنصـــارى

٤ × ٣

قال صاحب كليلة ودمنه : ان صاحب المال يطلب ثلاثة ولا يدركها الا باربعة فاما الثلاثة التي يطلبها .. السعة في المعيشة .. والمنزلة عند الناس والزاد الى الآخرة ..

واما الاربعة التي تدرك بها هذه الثلاثة فهي :

اكتساب المـال من احسن وجوهه .. وحسن القيام عليه ثم التثمير له .. ثم انفاقه فيما يصلح المعيشـــة ويرضي الاهل والاخوان ويعود في الآخرة نفعه .. فان اضاع شيئا من هذه الاربعة لم يدرك شيئا من هـــذه الثـــلاثة ..

لانه ان لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به .. وان كان ذا مال واكتساب ولم يحسن القيام عليه يوشك ان يفنى ويبقى بلا مال .

وان هو انفقه (ولم يثمره) لم تمنعه قلة الانفاق من سرعة النفاذ .. وان هو اكتسب واصلح وثمر ولم ينفق الامـوال في ابوابهـا كان بمنزلة الفقـــير الذي لا مال له .

إشراف: خديجة الصدر

دراما عائلية.. من أجل بيت سعيد

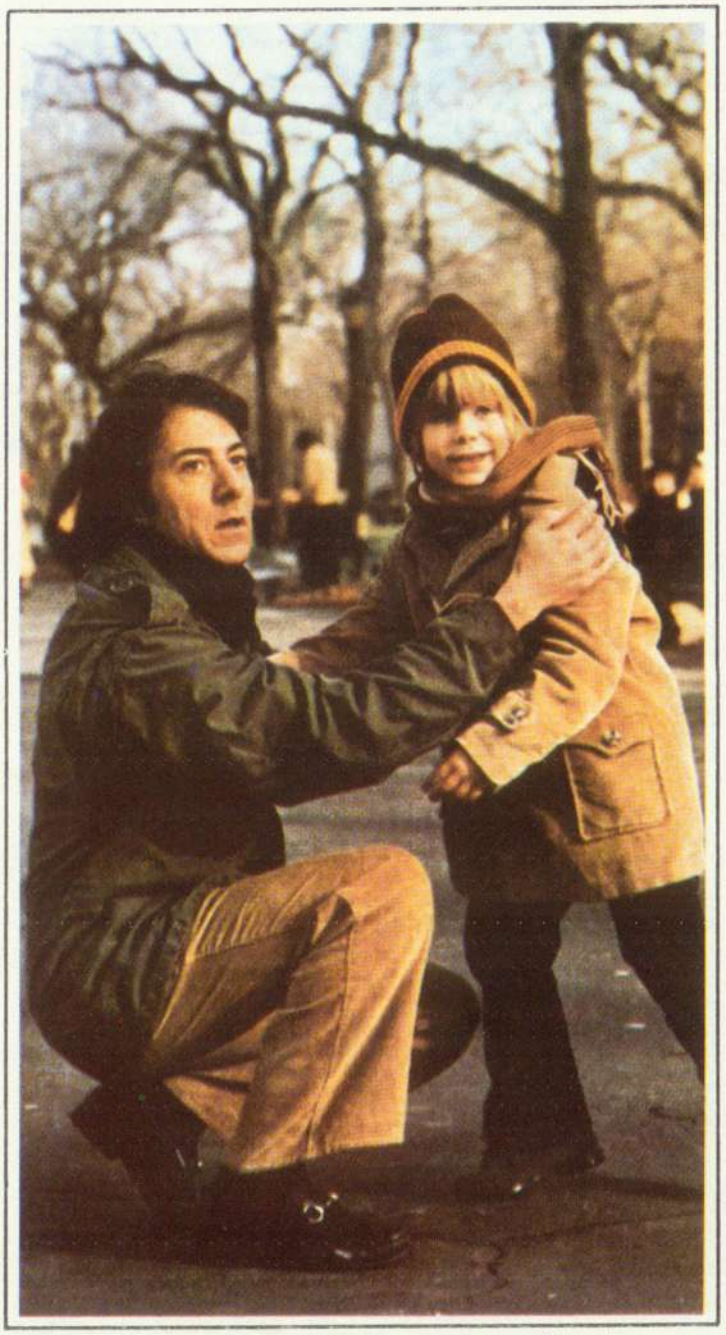
معقدة هى الحياة المعاصرة ، ومشحونة بقضايا لعل أخطرها ما بات يصبغ الحياة العائلية من توتر وتنازع لاثبات الهوية وتحقيق الذات من قبل كل من الوالدين ، وتأثير ذلك كله على تربية الاطفال بشكل سليم .

ولئن كان الطلاق ، ابغض الحلال الى النفوس المؤمنة ، يضع نهاية لعلاقة الزوجين كامرأة ورجل ، فانه يعمق مشكلة كل منهما وهو يقوم بمحاولة تحقيق واثبات ذاتيته ، والاضطلاع بدوره فى حياة المجتمع بشكل مؤثر وفعال ، ولا يحسم مسألة الاتصال المتوتر والتنازع المؤلم بين الأب والأم حول حضانة الطفل ، والذى ينعكس فى جملته ودقائقه ، وبشكل فاجع ، فى النمو النفسى والفكرى للطفل .

وقد اهتمت الشريعة السمحة ، كما القوانين الوضعية ، وعلماء النفس والاجتماع بهذه القضية .. وتمت معالجتها روائيا وسينمائيا فى لحظة انعطاف حاد فى تاريخ علاقة المرأة بالرجل ، وبالعائلة والمجتمع ، وعلاقة الرجل بالعمل والصراع من أجل النجاح الاجتماعى والمادى على حساب مسئولياتهما الانسانية تجاه أحب وأقرب الناس إليهما ـ اطفالهما .

و لا يخفى على القارىء أن صناعة السينما قد غلب عليها فى السنوات الأخيرة طابع انتاج افلام ترفيهية تعتمد على أدوات الإثارة المعاصرة من جنس ورعب وعنف وجاسوسية ودعاية ودعاية مضادة . ولذا فان العودة الى استخدام الصورة والتعبير وكل امكانيات هذه الصناعة الجبارة لابراز تنازع الأب والأم وحضانة طفلهما بعد أن افترقا ، كما فى فيلم « كريمر ضد كريمر » يشكل مؤشرا هاماً فى تاريخ السينما المعاصرة .

وكما كان متوقعا ، فان هذا الفيلم قد اكتسب كل جوائز الأوسكار الكبرى لعام ١٩٧٩ التى رشح لها ، ولقى استقبالا حاراً مذهلا حيثما عرض . وليس اهتمامنا به فى«حياتنا المعاصرة » فقط لأنه فاز بجائزة الأوسكار لعام ١٩٧٩ كأفضل فيلم ، وفاز الممثل الأول فيه ، دستين هوفمان ، بجائزة أحسن ممثل ، وفازت الممثلة التى لعبت دور الأم ، ميريل ستريب ، بجائزة أفضل ممثلة مساعدة ، وجمع كاتبه ومخرجه ، روبرت بنتون ، جائزتى أفضل سيناريو وأفضل إخراج ، وكان الطفل ، جستين هنرى ، اصغر مرشح لجائزة الأوسكار ، بل أيضا لأن الفيلم يجعلنا نعيد النظر فى انفسنا ، وفى الكيفية التى يرانا بها المجتمع ، والمخاوف الكامنة فينا من الفشل فى علاقتنا بأعز وأحب الناس إلينا ، ويلمس فينا أوتاراً خفية كثيرة توقظنا على ضرورة الايفاء بمسئوليات الأبوة والأمومة بما ينقذ الطفولة من أذى ألم لاقدرة لها على تفهمه ، ولن تجد سبيلا الى تفادى التشوهات التى يسم بها سلوكها وقيمها مستقبلا .



عذاب الأب وهو مضطر لوداع ابنه لبضع ساعات يقضيها مع أمه .

الفيلم يوقظ فينا ضرورة الإيفاء بمسئوليات الأبوة والأمومة بما ينقذ أطفالنا من الأذى والألم

حب الام .. وهى تفتح صدرها لابنها لأول مرة بعد فراق دام ثمانية عشر شهرا .



فيلم نادر

هذا الفيلم الذى يعالج قضية أب يكافح من اجل حضانة ابنه ، وام لا تقل عنه حرصا على كسب القضية ، يؤسس نبرته وعمقه ووعيه منذ اللقطة الأولى . وهى لقطة مقربة لامراة جياشة بالالم يلف وجهها الظلام : لقطة لها من الخصوصية والالفة ما يجعل المشاهدين يتشوقون لما يخفف عنهم وطاتها . ولكن هيهات . فالفيلم كله ، تقريبا قائم على وجوه الممثلين والعواطف الحادة والضوء الشتائى . ولأن الممثلين هنا هما دستين هوفمان وميريل ستريب ، ولأن المعاناة حقيقية ، فان المشاهدين سريعا ما يجدون استحالة الا يظلوا مشدودين .

نزاع حول الحضانة

عندما يعرض هذا الفيلم ، سيكتشف عشاق السينما أنه الموجه العاطفى لهذا العام . فالكاتب والمخرج ، جورج بنتون ، قد انتج بالاشتراك مع الممثلين دراما عائلية تبدأ من نقطة حادة فى تاثيرها على النفس ، تاخذ فى التطور والتنامى حتى تلج مشارف الالم . ومع ذلك فان الفيلم « كريمر ضد كريمر » ليس تقليدا لاعمال بيرغمان . إنه وفوق كل شىء امريكى بصفة خالصة .

لقد أحال بنتون رواية لقيت رواجا كبيرا كتبها افيرى كورمان الى قصة تحكى دون أية ادعاءات ومزايدات ما يحدث عندما تتخلى زوجة لا حظ لها من السعادة عن زوجها وابنها البالغ من العمر ست سنوات ، ثم تعود بعد عام ونصف لتقاتل من اجل حضانته . ولكن الاسلوب الذى قدمت به هذه القصة على الشاشة هو أيضا فريد تماما .

ومع أن الفيلم يعالج بشكل حصيف الحياة الزوجية ومشاكلها الابدية ، وحب الأبوين للولد ، فانه يشق طريقه الى كل ذلك عبر حقل ملغوم بالقضايا الاجتماعية المعاصرة ، وبشخصيات تمثل فى الحقيقة مواطنى امريكا فى السبعينات الذين تضيء مشاكلهم الحد الفاصل لحقبة تم فيها هجران وتمزيق كل المسلمات القديمة عن العائلة

مشكلة المرأة والرجل

وهو ليس أول فيلم يعالج هذه المشاكل ، إذ أن عددا كبيرا من الافلام الامريكية قد اعادت تقييم أدوار النساء والرجال طوال حقبة السبعينات كلها ، ابتداء من فيلم مايك نيكول « معرفة الجسد » ، وفيلم بول مازورسكى « بلوم عاشقا » والتى عمدت الى الكوميديا لفضح نفاق الرجل الامريكى الذكى ، المهووس بالجنس .

وبعد أن تبلورت الحركة المطالبة بالحقوق الكاملة للمراة الامريكية خرجت افلام مثل فيلم « ما عادت أليس تقيم هنا » لمارتن سكورسيز ، و « امراة غير متزوجة » لمازورسكى ، وخطت

خطوات أكثر فى محاولة نشر مثل نسوية جديدة ومتحررة وسط جمهرة المشاهدين ، موجة معتدلة من الافلام عن الرجال غير المتزوجين ، ويتمتعون بالحساسية ، ويمثل فيلم « مانهاتن » لوودى آلان ، وفيلم « كل ذلك جاز » لبوب فوسيه نوعا من الحكايات عن التمزق النفسى لدى ابطال يلهون بالنساء لاشباع حاجات نفسية منحرفة . أما فيلم « ١٠ » لبلاك ادوارد ، فهو نوع من المهزلة التى تسخر من التخيلات والاوهام الجنسية الطفولية عند ضحايا سن اليأس من الرجال ، وفى « البداية من جديد » تتحول بيرت رينولدز من عروس حديثة التحرر الى عشيقة متحررة . وتحكى قصة « جوتيان » « لألان الدا » نفس القصة ، ولكن من منطلق أكثر كآبة .

واقعية التصوير

إن الذى يميز « كريمر ضد كريمر » حتى عن هذه المجموعة البارزة من الافلام هو خلوه من العبارات الجاهزة أو أى نوع من المواقف الشائعة . بدلا من أن يفصل المخرج شخصياته لتعكس التيارات المختلفة فى مجال معالجة قضايا الجنس ، فان بنتون قد ترك الامور تتبلور وتتطور فى حرية ومن خلال العواطف الجياشة العاصفة فى قصته . فالفيلم يتحاشى المناقشات الصريحة لحركة التحرر النسوى ، ولا يقدم ابطالا أو أشرارا من أى من الجنسين .. وبذلك فانه يبعد بشكل درامى عن افلام مثل « أليس » و « امرأة غير متزوجة » التى تصور بطلات دافئات يستحوذن على المشاعر ، ورجال هم إما خيرون للغاية أو أوغاد . كما أنه يختلف عن كل الافلام التى تدور حول نساء ورجال غير متزوجين ، وذلك لرفضه استخدام الخيانة كعامل مساعد فى عقدة قصته . إن « تيد » و « جوانا » ، كريمر هما الزوجان اللذان يصور الفيلم نزاعاتهما بابعادها العميقة التى لم تبدأ ولن تنتهى فى غرفة النوم

المشكلة ...

ويعطى بنتون فيلمه عمقه وتعقيده بأن يتحدى الافكار المسبقة والآراء القاطعة الجاهزة لدى المشاهدين فى كل منعطف من الفيلم ، وتبدأ هذه العملية منذ المناظر الاولى . فعندما تخبر جوانا زوجها تيد بأنها ستخرج من البيت ، فان الفيلم يكون فى جانبها تماما : فهى حساسة وجميلة ومحرومة بشكل واضح من هويتها الخاصة ، أما تيد المدير التنفيذى بشركة الاعلانات ، فهو خال تماما من الاحساس والشعور ، ومحبوس فى ذاته ، ولا يهتم إلا بالرصيد المالى الضخم الذى حققه . وهو منغمس فى نفسه لدرجة لا يستطيع معها أن يصدق أن جوانا تعيسة فعلا للحد الذى تضطر معه الى هجره .

وبينما هى تنتظر المصعد فى صالة شقتهما ، يتكلم تيد عن نفسه فقط ، ويحاول أخيرا أن يرغم

الأب والابن يشتركان فى تجهيز طعام الافطار .. ما أعمقها رابطة ..





الأم وهى تدلى بشهادتها أمام المحكمة ..

جوانا الرقيقة الشفافة على العودة الى البيت ، وكأنما استخدام القوة المجردة يكفى لحل المشكلة . فتناشده جوانا فى صوت كهمسة الموت « أرجوك لا تجبرنى على الدخول .. هناك » وتنتزع نفسها من زوجها فى اشمئزاز يجعل كل من يشاهدها يشاركها رغبتها فى الفرار منه بأى شكل .

وفى تلك اللحظة يبدو تيد كريمر وحشا لا أمل فيه ، ولكن الفيلم لا يترك للمشاهدين اية فرصة لحكم متسرع وحالما تخرج جوانا ، يشرع بنتون ، المخرج فى التعاطف مع تيد .. الذى اصبح مسئولا عن تربية ابنه بنفسه . وعندما يجد نفسه مضطرا مرة أخرى للاختيار بين مستقبله الوظيفى ومسئولياته الابوية فانه لا يقع فى الخطأ مرتين . وهو يمنح نفسه فى علاقته مع ابنه « بيلى » (جستين هنرى) فى نوع من التردد أولا ، ثم بكل قلبه . وتقدم محاولات الأب هذه مشهدا نادرا فى الحياة والسينما على السواء ، وهو مشهد شخصية شبه ثابتة تجاهد فى شراسة لتغيير نفسها وتتخذ هوية جديدة .

الصورة المعبرة

وعادة ما تقدم الافلام مثل هذه التحويلات فى الشخصية لتخدم غرضاً فى حبكة القصة فقط ، وتحقق ذلك بقفزات سريعة فى الزمن . ولكن بنتون يقوم بالعبء الشاق ، عبء تقديم التغييرات التى تطرأ على شخصية الأب « تيد » على الشاشة شيئا فشيئا ، ويتم ذلك فى سلسلة من المناظر المذهلة ، تعطينا الجزء الأوسط من الفيلم ، وتدور كلها بين الطفل وابيه ، وهى خير شاهد على ما قاله ف سكوت فتزجيرالد ، القاص والروائى الامريكى الكبير : « إن الفعل هو الشخصية . » فهذان الممثلان ـ أحدهما نجم سينمائى مرموق ، والآخر طفل صغير ليست له خبرة سابقة بالتمثيل ـ يخلقان أصدق علاقة بين أب وابن ظهرت على الشاشة الامريكية حتى الآن ويخلو من تلك اللمسات المتطرفة أو المشحونة بالعاطفة التى سادت الافلام التى تدور حول الآباء والبنين .

ولكى يسجل دقائق حالات « تيد » النفسية المتقلبة بشكل دائم ، فان هوفمان يمثل دوره بتظليل غير محدود ، فهو غاضب وملىء بالمرارة فى البداية ، ووجهه مصبوغ بالفزع ، لكنه يتدرج فى إضفاء لمحات من الرقة والعاطفة الجياشة فى دوره . وتتبلور قيمه الجديدة فى لطف بحيث لا تكاد ترى ، حتى يبلغ المنظر الذى يطمئن فيه ابنه بأن الطفل غير ملوم على هجران

جستين هنرى .. ابن السادسة الذى قام بدور الطفل .. وهو اصغر من رشح لجائزة الأوسكار .



دراما عائلية .. من أجل بيت سعيد

والدته ، ويجلس بجانب بيلى يشرح له الموقف : « لقد خرجت ماما لأننى حاولت أن أجعل منها نوعاً معيناً من الزوجات . والآن أدرك أنها حاولت طويلا أن تسعدنى ، ولما لم تستطع ذلك ، حاولت أن تتحدث معى فى الأمر فلم تجد منى اذنا صاغية ، لأننى كنت غارقاً فى نفسى . »

ولو كان هوفمان هنا لايزال ذلك الرجل المندفع وراء النجاح كما فى الجزء الأول من الفيلم ، لجاء هذا التجريم لنفسه مفاجئا ـ كخدعة من كاتب السيناريو . ولكن تمثيل هوفمان قد صور كل التغييرات التى طرأت على « تيد » بشكل جعل اعترافه بخطايا ماضيه تبدو طبيعية للغاية .

تطور شخصية الطفل

ولم يكن الطفل هنرى أقل تأثيراً ، إذ أنه بالرغم من وجهه الملائكى مثل أى طفل آخر فى الاعلانات التليفزيونية ، قد برىء من ذلك الاحساس بالنفس الذى يتسم به تمثيل الاطفال على الشاشة . فهو عندما يتعارك مع والده ذات مساء حول المائدة ، أو يبكى ليلا لفقد أمه ، فان عواطفه تفصح عن نفسها تلقائياً . ولقد أدرك بنتون ، المخرج ، أن من الافضل أن يترك هذا النجم الصغير يبدع دوره اثناء التمثيل بدلا من أن يرهقه ويقيده بالبروفات لتجويد أدائه لدور جامد .

وشخصية هنرى تتطور وتنمو أيضاً ، فهو عندما يقوم بتجهيز فطور فرنسى مع والده قبل نهاية الفيلم ، يحاول أن يخفف عن ابيه مستخدماً نفس الابتسامة التى يجبر نفسه عليها ونفس التعابير المطمئنة التى استخدمها «تيد» معه فى منظر سابق مواز فى بداية علاقتهما . وهذه طريقة رائعة لتبليغ المشاهدين بشكل غير مباشر أن « تيد » و « بيلى » اللذين كانا كغريبين فى البداية قد باتا يقيمان واحدة من أكثر روابط الحياة بقاء .

الأب يضحى بعمله من أجل أن يصوغ حياة ابنه من جديد ويبرز الصفات الحميدة لزوجته

شحنة جديدة لطرح الحقائق الإنسانية المؤلمة والغامضة بصورة جديدة ومزعجة بعيداً عن الوعظ والمناقشات

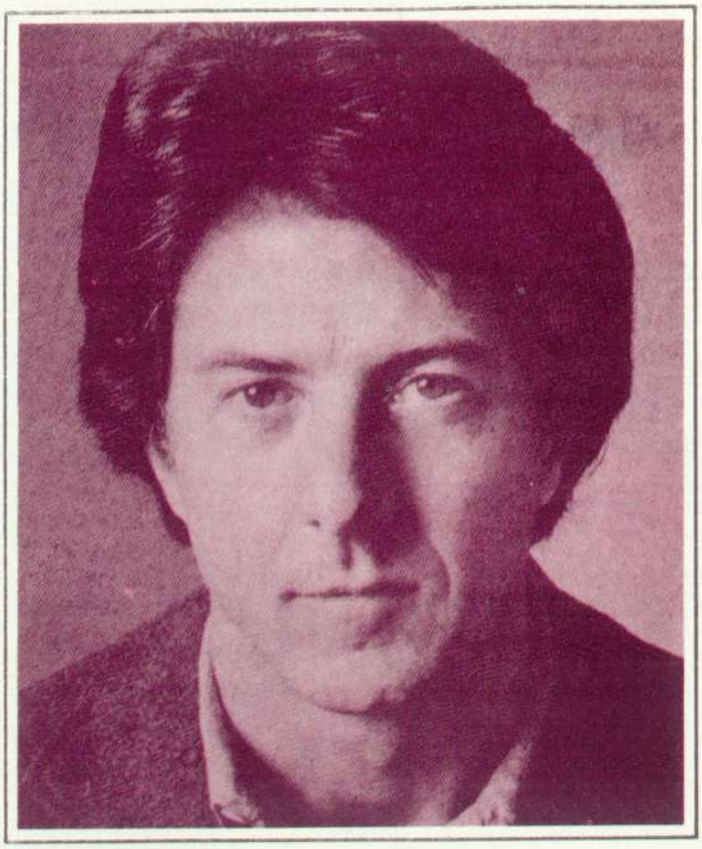
بعد عودة الأم

وذلك هو السبب الذى يجعل قبول « جوانا » عندما تظهر أخيرا أمراً صعباً ، فالمرأة التى حظيت بالعطف عندما خطت فى شجاعة خارج إسار زواجها ، صارت هى الشريرة . إنها تريد أن تنتزع « بيلى » ، الابن ، من أب ضحى فى سبيله بعمله الناجح ، واعاد صياغة حياته من أجله .

ولكن بنتون يتحدى المشاهدين مرة أخرى بدلا من أن يدعهم يقفزون الى موقف اخلاقى جاهز ، إذ يوفر خلال استجواب جوانا فى المحكمة بشأن الحضانة الفرصة لسجاياها الحميدة للظهور من جديد .. شيئا فشيئا . ولأنها استعادت احترامها لنفسها فانها تبدو أكثر قدرة مما كانت لتكون أما طيبة لابنها . وتخلق ميريل ستريب « الأم » بتمثيلها الرائع ارتباكاً واضطرابا أكثر فى الولاء المتنازع . واثناء تقديمها لروايتها الخاصة لزواجها ، والجهد الذى قامت به لتستعيد قوتها النفسية ، تقوم ميريل ستريب بروعة تمثيلها بغض طيات الماضى واحدة تلو الاخرى بشكل مؤلم . وفى دقائق معدودات تخلق حياة كاملة على الشاشة الزوجة الجديدة المحبة ، والزوجة المنهزمة التى تكره نفسها وأخيرا المرأة المستقلة . وهو نوع من الفيلم داخل الفيلم ، لا يهز المشاهدين فحسب ، بل يهتز له زوجها السابق ، الذى كان يشهد كل شىء فى المحكمة .

ميريل ستريب .. ذات الوجه المعبر الشفاف .





دستين هوفمان الذى قام بدور الاب .. وفاز بجائزة الاوسكار لعام ١٩٧٩ لأحسن ممثل .

من المحق ؟

قد يختار بعض المشاهدين الوقوف بجانب جوانا أو تيد بعد المحاكمة . ولكن معظمهم لن يختاروا ذلك ، وقد يرى كثيرون انفسهم فى الشخصية المساعدة الرئيسية مارغريت الجارة المطلقة التى ادت جين الكساندر دورها بشكل جيد . تبدأ مارغريت بتشجيع جوانا على اتخاذ قرارها بهجران زوجها ، ثم تنقلب الى كاتمة اسرار وثقة « تيد » ، وتنتهى بعد أن تصبح ممزقة عاطفيا بين « تيد » و « جوانا » ، عندما تقف لتؤدى شهادتها أمام المحكمة . وبعد أن يعلن القاضى حكمه ، يصعب على المشاهد وجوانا وتيد و مارغريت أن يقرروا من الفائز بالقضية حقا ، وتظل هذه الحيرة حتى اخر صورة فى الفيلم ، وكاللقطة الأولى ، فان هذه الأخيرة ماخوذة من قرب لوجه « ستريب » وان كانت تبدو هنا اكثر فجيعة وبؤسا . ويتغير وجهها من عاطفة لاخرى فى تتابع مرهق ، إذ انها تنكا كل الجراح والنزاعات التى تنطوى عليها هذه الدراما .

فنية الفيلم

لقد افلح بنتون أن يطبع « كريمر ضد كريمر » بطابع الحياة نفسها ، لانه ابعد عنه كل ذلك الترويق الذى يستخدمه معظم منتجى الافلام الامريكية ليشكلوا من التجربة الانسانية ما يسمى بالترفيه ، وقد حذف فى السيناريو كل التفاصيل غير الضرورية ، والخلفيات التى تحفل بها رواية كورمان ، وركز فى اخراجه على ابراز مشاعر الشخصيات فوق كل شىء ولم يستخدم الموسيقى لتعميق أى منظر ، وجعل الكاميرا تتحرك فقط عندما تستدعى حركة الممثلين ذلك .

ولا يغالى بنتون فى تقدير عمله هذا ، إذ يقول « لم اقصد لهذا الفيلم أن يكون فيلما عن عدم عدالة النظام القانونى ، أو عن افضلية الأم أو الأب فى تربية الاطفال ، إنه وفوق كل شىء حكاية حب ، وقصة تدور حول الزواج .

إن ما يسحرنى فى الحياة هو تلك الاشياء غير الملموسة ، غير الواضحة فيها لا تلك المواضيع الحادة مثل ادمان العمل أو تحرر المرأة .

إننى اتجنب قصد انتاج افلام تتسم بالوعظ أو تصطخب فيها المناقشات » .

ولقد تم له كل ذلك . فالفيلم يعرض صورة قيمة عن الرجال والنساء و الاطفال فى أواخر السبعينات لأن بنتون حاول أن يتجنب المواضيع المثيرة للجدال ، ورغم أن الفيلم لا يقدم أجوبة للأسئلة التى يطرحها فانه يعطى المناقشة الدائرة شحنة جديدة بأن يعيد طرح المسائل بصورة جديدة ومزعجة ، أو ربما عبر الحقائق الانسانية المؤلمة والغامضة فى آن واحد .



ميريل ستريب .. الأم . الفائزة بجائزة الاوسكار لأحسن ممثلة مساعدة .

الرضاعة الطبيعية هي الأفضل

رضاعة لبن ثدى الأم جزء حيوى وضرورى للغاية فى عملية تنشئة الاطفال الصغار . وقد استدعتها الطبيعة لتامين التغذية الصحيحة المتكاملة للطفل الوليد . ومع ذلك نجد أن هذه الطريقة الطبيعية آخذة فى الانحسار فى أجزاء كثيرة من العالم ، مما حدا بالسلطات الصحية والحكومية والافراد الى تاكيد خطر التخلى عن الرضاعة الطبيعية والاستعاضة عنها بزجاجات الرضاعة التى خلقت كثيرا من المشاكل والماسى التى كان من الميسور تجنبها .

فالطفل حديث الولادة لايقوى على البقاء حيا دون تغذية كافية وصحيحة ، وحماية محكمة من العدوى والمثيرات الضارة . وما من فترة فى حياتنا أكثر حرجا وعرضة للخطر من الاشهر الأولى من خروج الطفل من بيئة رحم الأم حيث الاستقرار والحماية شبه كاملين ليجد نفسه مطالبا بالتاقلم وبسرعة على عالم ملىء بضغوط مادية مختلفة والطفل الرضيع دون سائر أنواع الحياة قليل القدرة على الاستقلال لأنه لايستطيع القيام بأى شىء ولذا وجبت تغذيته وتربيته بشكل فعال .

احتياجات الطفل

إن إفراز اللبن وتغذية الطفل به وظيفتان من وظائف عملية التكاثر فى كل أنواع الحيوانات ذوات الثدى . وقد وفرتهما الطبيعة لتجعل الانتقال من الحياة فى رحم الأم الى الحياة خارجه ممكنة وآمنة بالنسبة للمولود الرضيع . ولكل من هذه الأنواع احتياجات تختلف عن احتياجات أى نوع اخر ، وقد طور كل نوع سلوكا محددا فى افراز اللبن واطعام رضيعه ، يناسب تلك الاحتياجات المحددة لصغاره .

وفى لبن الأم ، فان توازن نسب الطاقة والبروتين والدهن واللاكتاز والمعادن والفيتامينات والماء تناسب احتياجات غذاء الطفل وطبيعته الفيزيولوجية بشكل مثالى . كما أن الطفل فى ايامه الأولى يتلقى مادة الكلوستروم ، وهو أول اللبن ، من ثدى امه . وحتى الآن لم يتم تركيب هذه المادة خارج جسم الأم . وتقوم كل أم بافرازه لطفلها ، وهو يشبه فى كثير من مكوناته الغذاء الذى كان الجنين يتلقاه وهو فى رحم أمه من المشيمة ، ولذا فان الرضاعة الطبيعية تحد من الصدمة والغربة فى العالم خارج الرحم فى الايام الأولى بعد ولادة الطفل . كما أن هذا الكلوستروم يحتوى على مضادات حيوية تقى الرضيع من أمراض معينة ، وعلى المكونات الغذائية الصحيحة التى تحتاجها الأمعاء لتسرع فى عملها .

الحماية والوقاية

إن لبن الأم يكفى كل المتطلبات الغذائية للطفل الوليد ويستمر فى مقابلتها بشكل كامل فى الاربعة أو الستة أشهر الأولى قبل أن يحتاج الطفل الى الطعام ليكمل لبن امه . وفوق ذلك كله ، فان لبن الأم يحمى الطفل من أمراض وأدواء معينة . فقد كان الطفل قبل الولادة يتمتع بحماية رحم الأم له ، ولكنه منذ أن يطلق صرخته الأولى يواجه مخاطر العدوى والمرض . وتوفر له الوقاية السلبية التى كان ينعم بها فى رحم أمه من المشيمه بعض الحماية بعد الميلاد ، ولكنها ليست كافية وحدها . وهنا أيضا يلعب لبن الام دورا حيويا . فهو يحتوى على المكونات النشطة التى توفر عناية ووقاية تدفعان الاذى عن الطفل كما أن هناك أجهزة دقيقة فى اللبن لم تتحدد طبيعتها بعد تجعل تطور العدوى أقل احتمالا ، وتحد من شدتها حتى إذا ما حدثت بالفعل .

فمثلا .. نوبات الاسهال التى تشكل مشكلة خطيرة بالنسبة للأطفال وخاصة فى العالم الثالث ، تقل جدا وتصبح أقل حدة عند الاطفال الذين يرضعون لبن ثدى الأم . وكذلك الأمر بالنسبة للالتهابات الفيروسية والقىء . والطفل المرضع لبن أمه لا يعانى من مشكلة الوزن الزائد ، خاصة إذا علمنا خطر الوزن الزائد عند الاطفال ، لأنه يجعلهم أقل قدرة على مقاومة أمراض جهاز التنفس . كما أن احتمال اصابته بالحساسية تجاه بعض الاطعمة مستقبلا أقل عنده مما هى عند طفل لاينعم بالرضاعة الطبيعية .

للرضاعة الطبيعة قيمة خاصة بالنسبة لصحة الطفل النفسية ، لأن الاتصال الحميم بأمه ، واهتمامها الدائم به ورعايتها له ، كل ذلك يخلق عند الطفل شعورا بالدفء والطمأنينه والأمان ، له أهميته فى نموه الجسدى والعاطفى ، وفى مستقبله .

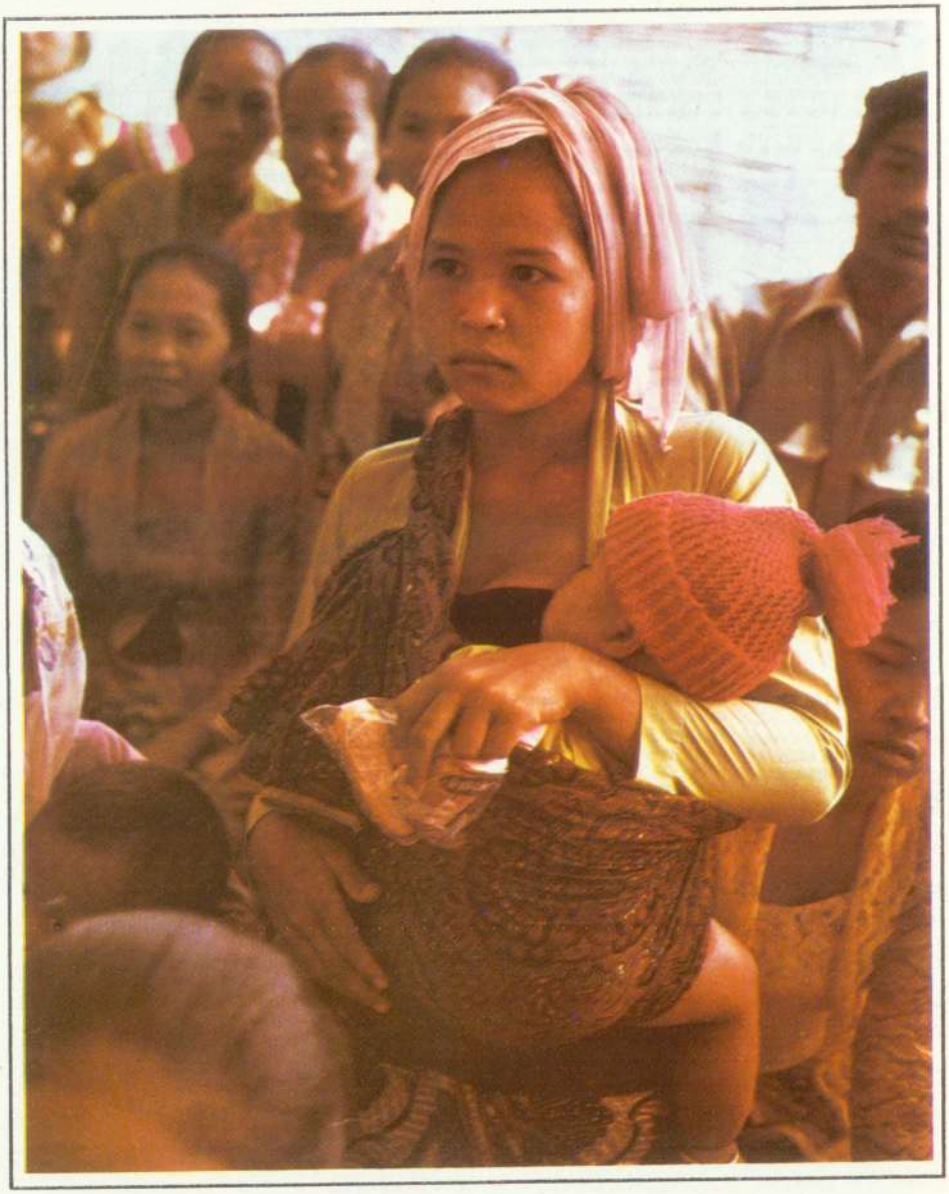
وهكذا نرى أن الرضاعة الطبيعية تقيم جسرا طبيعيا بين الحياة فى الرحم والحياة خارج الرحم ، ويمكن أن نعتبرها نوعا من الاعداد التدريجى للطفل ليقوى على الوجود المستقل ، ولذا يجب تشجيع رضاع ثدى الأم بكل السبل ، لأنه حق طبيعى بالميلاد للطفل ، وليس كشىء غير عادى أو ممل ومزعج ، وغير لائق ، كما صار ينظر إليه فى كثير من المناطق .

الزجاجة ولبن الأم

لماذا ، إذن ، استبدلت الرضاعة الطبيعية رغم كل مزاياها التى ذكرنا ، بما هو أقل منها فائدة وأكثر منها تكلفة ؟ لماذا تحول الناس الى استعمال منتجات لا يمكن ضمان سلامتها فى الاماكن التى يشح فيها الماء النقى ، وتنعدم امكانيات التعقيم السليم للزجاجة والبزازة ،



لبن الأم يحمي الطفل من أمراض معيّنة



وحيث لا يضمن وجود كفاية من أغذية الاطفال ؟

ان الاسباب معقدة ، ويصعب تبريرها هناك أسباب اجتماعية واقتصادية . فالرضاعة ليست غريزة فى الناس ، ولكنها تتم بالتعلم والممارسة ، ولذا يجب تشجيعها بانتظام من قبل الاسرة والمجتمع ، وأن ينظر إليها كجزء طبيعى فى الأمومة . ونجاحها لا يعتمد على قدرة الأم على افراز اللبن فقط ، إذ أن ٩٩٪ من الامهات لهن القدرة على ذلك ، خاصة إذا تمت تغذيتهن بشكل كاف ؛ كما أنها لا تعتمد على قدرة الاطفال على امتصاص اللبن وانما على الطريقة التى تتم بها توعية وتوجيه المرأة على رضاع الثدى وعلى رغبتها فى القيام به ، كما أن الرضاعة تتحد بالمدى الذى يؤيدها به المجتمع ويقدرها .

ولقد كانت الرضاعة الطبيعية قبل عصرنا هذا شيئا اساسيا فى تربية الاطفال فى كل المجتمعات ولم تكن هناك بدائل مقبولة ويمكن الاعتماد عليها . وكانت العلاقة بين الرضاعة الطبيعية وبقاء وحياة الجماعة واضحة ، أما اليوم فان اساليب الحياة قد اختلفت . وبنفس القدر الذى صارت فيه الصناعة والتكنولوجية تشجع الناس على الاعتماد على الاغذية المعلبة بدلا مما تنتجه حدائقهم ، فان الام قد تم تكييفها لتعتقد أن لبن الاطفال الجاهز الذى لا يعدو أن يكون لبن بقر مجفف ومعد بطريقة معينة لاستعمال الاطفال هو أكثر راحة وغذاء ونظافة . وما عليك إلا أن تضيف قدرا من الماء ، ويكون الغذاء جاهزا ، ويمكن لأى شخص اطعامه للطفل ، فلا حاجة للأم قاعدة فى البيت من أجل الطفل أن كان بامكانها أن تعمل فى مصنع أو مكتب ، أو تخرج للزيارة أو السوق ، أو تفر من المنزل لبعض الوقت

صناعة الاغذية

ربما لم يكن عالم الطب يدرك قيمة لبن الأم أو لم يكن يقدره حق قدره فى الوقت الذى بدأ فيه تطوير أغذية الاطفال على يد رجال الصناعات الغذائية . وربما كانت صناعة الأغذية ترى أنها تقدم خدمة اجتماعية كبرى ومطلوبة . طبعا بجانب الفوائد التى تجنيها . وربما كانت الضائقات الاقتصادية فى العالم الثالث هى التى اضطرت كثيرا من النساء الى الخروج للعمل ، ولكن الثابت هو أن استخدام « الزجاجة » للاطفال قد زاد حجما ومدى ، وخلق جملة من المشاكل الصحية والماسى .

ولأن المصانع بعيدة عن المنازل فى الغالب ولا تتوفر بها امكانات الرعاية

الرضاعة الطبيعية هي الأفضل



بالاطفال ، فان الأم العاملة غالباً ما تترك طفلها تحت رعاية اطفال أكبر منه أو عند بالغين لا خبرة ولا تدريب لهم . وفى الدول النامية ، لاتجد القطاعات السكانية الأشد فقرا ماء نقيا ، أو تجهل طريقة تعقيم الادوات المستخدمة فى خلط المقادير الصحيحة من الماء واللبن الجاف مما يضر بكليتى الطفل إذا كان الماء قليلا واللبن مركزا ، أو يعطيه غذاء ناقصا إذا زاد الماء عن اللبن الجاف . وعندما يترك أمر اطعام الطفل للصدفة بهذه الطريقة ، فان النتائج لابد وأن تكون وخيمة ، إذ يمكن أن يمرض أو يعانى من الاسهال المعوى الحاد الذى يسبب الوفاة إذا ما أشتد .

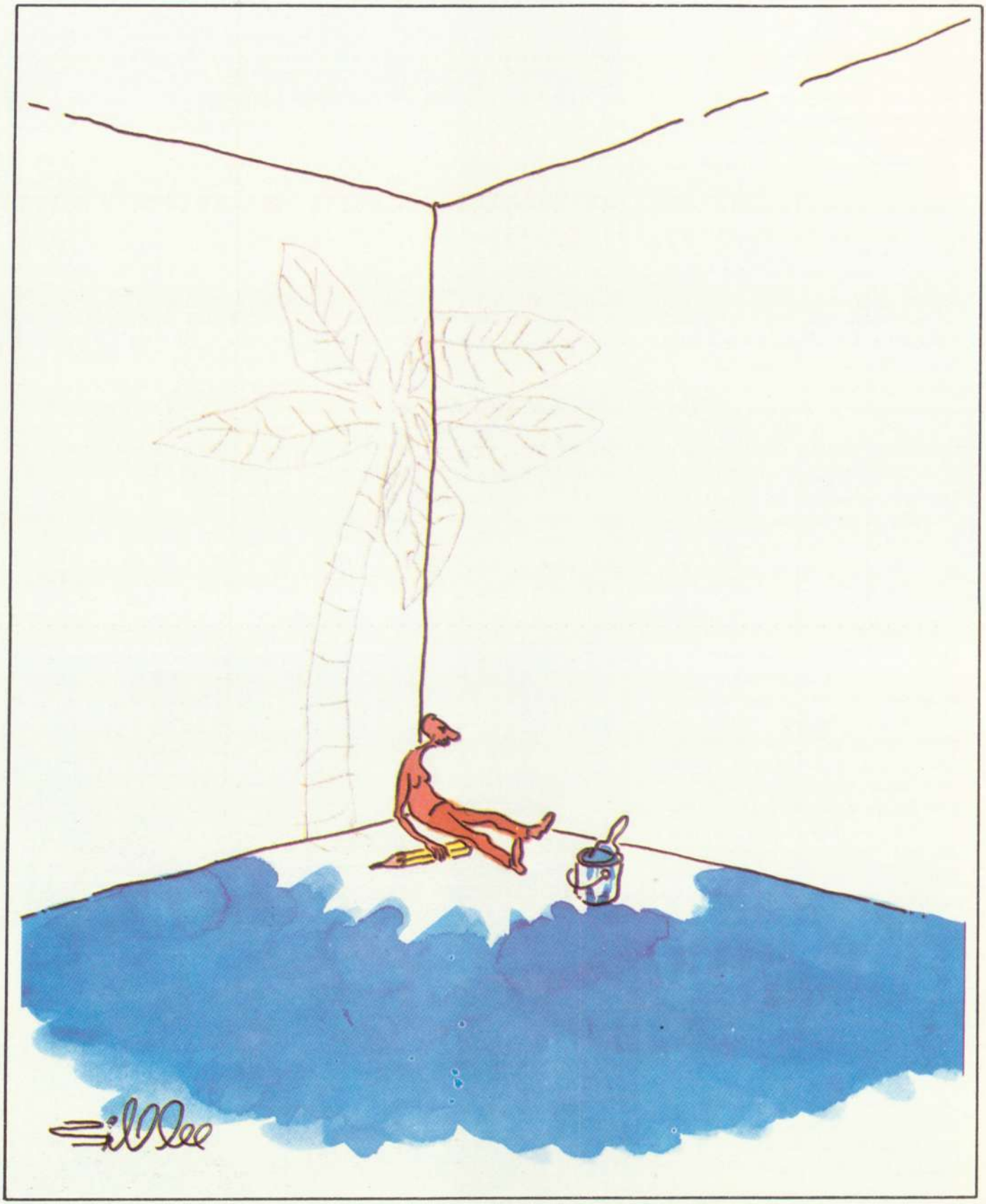
كل هذه الكوارث يمكن تجنبها إذا ما تمت توعية شاملة للنساء الامهات ، يقوم بها العاملون فى المجال الصحى والطبى ، والمسؤولون ووسائل الاعلام ، لابراز فوائد الرضاعة الطبيعية ، واخطار الرضاعة الصناعية بالزجاجة حين لا تكون بطريقة صحيحة . ولأن الفقر والجهل يلعبان دورا كبيرا فى تدهور الرضاعة الطبيعية . ولذا فان برامج الصحة العامة والنظافة يمكن أن تفيد كثيرا فى مساعدة قطاعات معينة من السكان فى تفهم الاحتياجات الاساسية للطفل حديث الولادة .

لا أخلاقية الدعاية

اننا لا يمكن أن ننكر أن الصناعات الغذائية قد ساعدت عددا معيناً ومحدودا من الامهات اللائى لم تمكنهن ظروف طبيعية حقيقية من ارضاع اطفالهن . وذلك حين طورت لبن البقر وجعلت منه غذاء للاطفال . ولكن هذه الصناعات هى المسئولة بطريق مباشر وكامل عن تشجيع وإغراء كثير من الامهات للابتعاد عن الرضاعة الطبيعة ، وما تقدمه من غذاء كامل للطفل ، والاستعاضة عنها بالزجاجة . وقد اثبتت ذلك كل من السلطات الصحية والحكومية والعالمية . ويعود الفضل فى كشف هذه الحقيقة الى الحملات التى قامت بها النساء فى أوربا وأمريكا ضد اساليب التسويق غير الاخلاقية التى تمارسها كثير من شركات الأغذية ، وخاصة شركة نستل السويسرية . وقد طالبت هذه الحملات بوضع احكام عالمية تمنع شركات صناعة اغذية الاطفال من تشجيع الامهات على ترك الرضاعة الطبيعية واستخدام انواع معينة من أغذية الاطفال المصنعة . كما طالبت باجبار شركات الاغذية بالقيام بتشجيع الامهات على العودة الى الرضاعة الطبيعية ، وأن توقف توزيع دعاياتها وعيناتها الجديدة المجانية من الالبان على الاطباء والامهات فى عنابر الولادة .

إن اساليب التسويق المعاصرة قد خلقت بكل تأكيد اقبالا كبيرا على هذه المنتجات . وهذا واضح فى المجتمعات التى تخلو من أية معلومات عن محاسن لبن الأم ، وتطغى فيها المعلومات والدعاية عن فضائل انواع معينة من الاغذية المصنعة للطفل . وبذا تظل الأم جاهلة تماماً أن لبنها أفضل من أى طعام مجهز للاطفال ، وبالتالى تشعر بالنقص تجاه زميلاتها فى الدول المتقدمة لأنها ترضع حيث لا يرضعون . إن إيجاد بدائل للبن الأم قد يبدو مثاليا بالنسبة للمرأة العصرية التى لا وقت لها ، ولنمو الطفل ، ولكنه مضلل بشكل خطير ، لأن كثيرا من النساء وخاصة فى دول العالم الثالث وحتى بين المتعلمات ، يعتقدن أن تغذية الاطفال بأفضل وأغلى ما يشتريه المال يوفر لأطفالهن أفضل ما يمكن تقديمه ، كما يظهر ثراء ومستوى وضعهن الاجتماعى . ومن مصلحة شركات الاغذية بالطبع أن تبقى هذه الافكار نشطة حية ، لأن العائد من صناعة اغذية الاطفال كبير ومغر . فالناس تبغى الافضل لابنائها ، والشركات لا تهتم إلا بالاعلان عن منتجاتها ، وكيف انها أفضل من أى منتجات أخرى لكفاية ما يحتاجه الاطفال . وليس من مصلحتها ان تذكر زبائنها بأن الطريقة الوحيدة لتغذية الطفل تغذية متكاملة هى الرضاعة الطبيعية ، وأن الاغذية البديلة غالباً وحيثما وجدت غالية السعر .

إن فوائد الرضاعة الطبيعية كثيرة ، وهى حق طبيعى للطفل ، وتوفر له أفضل غذاء متكامل ، وفيها سعادة له وحماية لجسده ونفسه فى صغره وفى مستقبله .



زراعة الثدى

أكثر ما يقلق النساء اللآتى يصبن بسرطان الثدى هو أن يتم العلاج باستئصال الثدى المصاب . فالبرغم من أن الطب الحديث قد تمكن من السيطرة على ذلك الداء فى مراحله الاولى كما اشرنا فى اعداد سابقة من هذه المجلة إلا أن الجراحة تبقى ملاذاً أخيرا يلجا اليه الطبيب خوفا من سريان المرض إلى باقى اعضاء الجسم

ورغم أن الجراحة مامونة العواقب فى كثير من الحالات إلا أن النساء اللآتى يخضعن لها يتعرضن للتشويه بسبب فقدان احد الثديين على الاقل ومن هنا فقد كرس أطباء الجراحة والتجميل جهدهم لانجاح عمليات زراعة الثدى لأن ذلك سينقى الخوف عند كثير من النساء اللآتى يخفين المرض حتى لا يتعرضن للتشويه

وقد ظل الاطباء يزاولون زراعة الاثداء لفترة طويلة ولكنهم لم ينجحوا فى تحقيق الغاية الجمالية إلا مؤخرا حيث نجح الباحثون الطبيون فى هذا المجال بدرجة يصعب معها التفريق بين الثدى المزروع والآخر الطبيعى أما العمليات الجراحية نفسها فقد بسطت بالدرجة التى تمكن المريضة من مغادرة المستشفى فى اليوم التالى للعملية .

ويستعمل الاطباء اليوم اكياسا من اللدائن الصناعية المرنة يملؤونها بحبيبات السليكون او الاملاح المعدنية ثم يخاط هذا الكيس فى مكان الثدى المبتور ولكن طريقة الزراعة تتوقف على نوع عملية الاستئصال التى تعرضت لها المريضة فاذا تمت العملية دون المساس بعضلات الصدر التى تقع أسفل الثدى فان هذا يعنى وجود خلايا ثدييه كافية تساعد الجراح على أداء مهمته فى سهولة وببساطة وبانقضاء بضعة أشهر يندمل الجرح وتقوى الخلايا الموصلة مع العضو المزروع .

ويراعى الجراح أن يكون الثدى المزروع فى نفس حجم وشكل الآخر الطبيعى وفى هذا يقول الدكتور قوثرى الذى أجرى قرابة ٦٠٠ عملية انه يقوم بوضع علامة فى نقطة اتصال الثدى الطبيعى بالصدر وباستعمال المسطرة يضع علامة مقابلة على الجانب الأخر من الثدى ويشكل الخط الموصل بين العلامتين القاعدة التى سيخاط حولها الثدى الصناعى بعدها يحدث جرحاً افقياً طوله أربع بوصات لفصل الجلد عن الدهن فى عضلات الصدر ثم يثبت الثدى الصناعى فى الفجوة .

ولا يأخذ الثدى المزروع شكله المستدير إلا بعد ثلاثة أشهر من العملية أى بعد أن يبرا الجرح ويتمدد الجلد بدرجة كافية ، بعدها يمكن اخضاع المريضة لعملية اخرى شديدة البساطة لزراعة حلمة صناعية للثدى بزراعة قطعة جلدية من الحلمة الطبيعى أو الجزء الداخلى من الفخذ ويمكن فى نفس الوقت تقويم الثدى الطبيعى ليطابق شكل رصيفه المزروع .

اما إذا اخضعت المريضة لعملية استئصال جذرية تتطلب ازالة كل عضلات الصدر أو تعرض جلد الصدر للوهن بسبب المعالجة المستمرة بالاشعاع ، فان العملية تصبح أكثر تعقيداإذ يلجأ الجراح إلى استبدال العضلات التى ازيلت أو الجلد الذى اتلف مستعملا الجلد والعضلات الماخوذة من الجزء العلوى من ظهر المريضة ثم يقوم بدفعها من الخلف من داخل الجسم ليتمكن من وضع الثدى الصناعى تحتها .

ومع انه من الممكن جراحيا أن تتم عمليتا الاستئصال والزراعة فى وقت واحد إلا أن الاطباء يتفادون ذلك مراعاة لعوامل نفسية هامة لان الثدى الصناعى مهما بلغ من دقة واتقان لايمكن أن يكون فى جمال ما خلق الله وبما أن صورة الثدى الطبيعى تكون عالقة بذهن المريضة لفترة ليست بالقصيرة فان الاطباء يفضلون مرور فترة كافية على عملية الاستئصال حتى تنسى المريضة هيئة ثديها القديم وتشعر بجمال البديل الذى سيريحها من منظر الجروح والندبات على صدرها .

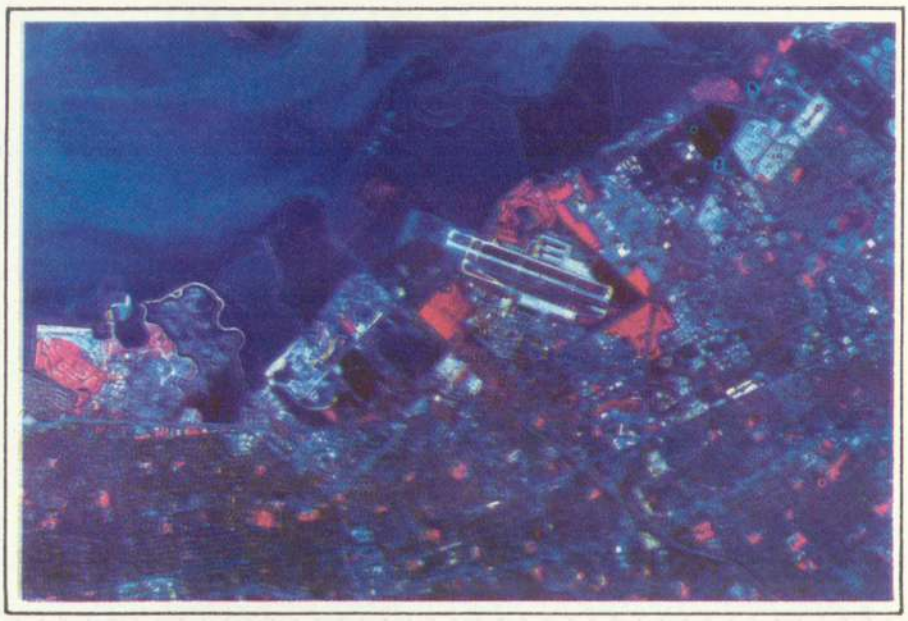
ويفضل الجراحون ايضاً ارجاء عملية الزراعة لحين الفراغ من تقييم المرض وللتاكد من أن المريضة لن تحتاج الى مواصلة العلاج بالاشعاع أو العقاقير الكيمائية ولكن من الممكن جدا اجراء عملية زراعية حتى للنساء اللآتى يتوقع أن تعاودهن الاصابة بالسرطان لان الثدى الصناعى لا يعوق استقصاء المرض .

وفى الولايات المتحدة ظلت تكلفة تلك العملية تتراوح بين الف وستة الاف دولار ولكن بعض شركات التامين ومنها شركتا بلو كروس (الصليب الازرق)وبلو شيلد (الدرع الأزرق) قدمتا تسهيلات كثيرة جعلت امكان اجراء الجراحة ميسوراً ورخيص التكلفة ولكن العائق الكبير لآمال الكثيرات هو أن عدد الراغبات فى العملية أكبر بكثير من عدد الجراحين وامكاناتهم ففى الولايات المتحدة مثلا تجرى ٧٥٠٠٠ عملية استئصال سنوية تقابلها ٣٠٠٠ عملية زراعة .

ولا شك فى أن نجاح تلك العمليات عاد بالراحة النفسية والوجدانية على المرضى من النساء وكما قالت سوزان مورفن ، إحدى أوائل النساء اللآتى تلقين ثديا صناعياً « لقد كان الاثر الجميل الذى تركته زراعة الثدى على نفسيتى اعمق من الاثار السلبية للمرض نفسه »



زلزال عيد الميلاد المسيحى بمدينة كارلايل فى بريطانيا



لم يتوقع أحد من سكان أية منطقة فى بريطانيا أن يصحو حوالى الرابعة صباحاً على صوت هائل وهزة أرضية .

ولكن ذلك هو ما حدث بالضبط قبل ثلاثة أشهر فى اليوم التالى لاعياد الميلاد .

فبعد أن عاد المواطنون فى مدينة كارلايل الى منازلهم وراحوا فى ثبات عميق بعد احتفالات طويلة وقع زلزال أرضى فى منطقة جنوب اسكتلندا وشمال إنجلترا (هذه المنطقة تعد من أكبر المناطق الصناعية فى إنجلترا ومكتظة بعدد كبير من السكان) ، هذا وقد حصل هذا الزلزال فى مركز بشمال مدينة كارلايل بعشرة كيلومترات . ويقـول خبراء الجيولوجيا أن هذا الزلزال لم يكن متوقعا فى هذه المنطقة بالذات لأنها تعتبر من ناحية النشاط الزلزالى أهدأ المناطق فى بريطانيا على الأقل منذ ثلاثمائة عام لم تحدث فيها هزة أرضية واحدة . وكانت قوة زلزال مدينة كارلايل خمس درجات على مقياس ريختر وعلى عمق ثمانيـن كيلومترات داخل جوف الأرض .

إن الهزات الأرضية تجتاح بريطانيا من وقت لآخر ولكن أغلب السكان ليس لديهم أدنى فكرة عن متى وأين يقع الزلزال القادم وفى خلال الألف سنة الأخيرة فى بريطانيا حدثت حوالى الاربعين هزة أرضية منها ما كان عنيفاً وشرساً مثل زلزال مدينة لنكولن الذى حدث سنة ١١٨٥م وزلزال مدينة لندن الذى حدث سنة ١٥٨٠م وزلزال مدينة كولشستر سنة ١٨٨٤م هذه الهزات العنيفة الأخيرة التى أحدثت خسائر جسيمة فى الارواح وفى المبانـــى حدثـت وبالتـالـى على فترات متباعدة بين كل فترة واخرى ثلاثمائة عام تقريباً وقد قدر العلماء قوة كل هزة من الهزات الثلاث السابقة الذكر وذلك لعنفها ٥ر٥ ــ ٦ درجة قياسية . هذا ومن المعروف عند العلماء الانجليز الآن أن رجفة أرضية بقوة ٤ درجات تحصل كل عام فى احدى المناطق فى بريطانيا . وبما أن رجفة بمثل هذه القوة (أى ٤ درجات) تعد خسارتها بسيطة بالنسبة للهزات الأرضية التى حدثت فى لندن أو لنكولن أو كولشستر (ذات القوة ما بين ٦ ــ ٦ر٥ درجة قياسية) . فقد أحدثت هزة عيد الميلاد لحسن الحظ أضرارا بسيطة للغاية إذ تسببت فى تساقط الحيطان القديمة والكتب والأمتعة والاوانى من أعلى الرفوف .

وقد سجلت مراصد الزلزال الموجودة فى أماكن متفرقه بأنحاء العالم جل الهـزات الأرضية التى حدثت فى الجزر البريطانية (خصوصاً المرصد السويدى) فقد وضحت احصائيات هذه المراصد أن قوة الهزات البريطانية فى الجزر البريطانية نتائجها أقل خطورة من الهزات التى حدثت وتحدث فى مناطق مثل اليونان ــ يوغسلافيا ــ إيران ــوكاليفورنيا . وبالتحديد فان هذه الأماكن الأربعة الأخيرة تحدث فيها بقوة خمس درجات قياسية مراراً وتكراراً الشىء الذى لا يحدث فى بريطانيا إلا كل ثلاثمائة سنة تقريبا كما أوضحنا.

وتظهر نتائج الهزات الأرضية أن نوعية الهزة الأرضية فى بريطانيا مختلفة تمام الاختلاف عن نوعية الهزات التى حدثت فى اليونان أو كاليفورنيا . ذلك إنه فى بريطانيا لايمكن أنه تـنسب أى هزة إلى أى نوع من التصدع الجيولوجى . وتوضح الخريطة الجيولوجية لبريطانيا أن جل مجموعات مراكز الزلزال السطحى حدثت فى طيات أو منثنيات أرضية قديمة وليس بسبب التصدع الأرضى وخير شاهد على ذلك الهزات الأرضية التى حدثت ما بين عام ١٩٧٥ ــ ١٩٧٧م نتيجة لوجود مناجم الفحم فى مدينة ستوك .

ومن حق سكان منطقة الهزة الأرضية أن يسعدوا بحظهم بالمقارنة لما نتج عن الزلازل القديمة التى حصلت فى الجزيرة وكيف أن الأرض ابتلعت الأنسان والحيوان والنبات .

فى هذه الهزة الأخيرة لم يشاهد الجيلوجيون الانجليز أى تشقق على سطح الأرض وقد عزى ذلك لكثافة الطمى والرواسب النهرية وغزارة الأشجار والخضرة بينما أحدثت هزة مماثلة فى كاليفورنيا أخدودا طوله ٥ ــ ٦ كيلومترات فى صخور رسوبية حديثة التكوين . ويفسر العلماء هذا الاختلاف إلى تباين فى التكوين الجيولوجى لكاليفورنيا ومنطقة كارلايل . وعامة لا تحدث خسائر رهيبة إلا إذا كانت قوة الزلزال من ٦ درجات فأكثر .

وعلى كل حال فان كل الهزات الارضية التى حدثت فى بريطانيا فى غابر الأزمان لم يكن لها مكان معين فقد اجتاحت الهزات الأرضية الجزيرة من شمالها لجنوبها ومن شرقها لغربها .

ومهما يكن من أمر فان توقعات حدوث زلزال معين فى منطقة معينة أمر صعب للغاية كما أوضحت سلسلة الهزات الارضية التى حدثت فى كاليفورنيا فى العشر سنوات الأخيرة ونسبة لعدم القدرة على التنبؤ فان معظم الأماكن والمبانى السكنية قد بنيت حديثا فى كاليفورنيا على أحدث النظم الهندسية الحديثة المقاومة للهزات الأرضية .

وعليه فان فشل علماء الجيولوجيا بالتنبؤ بحدوث زلزال كارلايل قد أقلق مضجع أغلب سكان الجزيرة البريطانية خصوصاً وانه حدث فى منطقة نشاطها الزلزالى غير مذكور وغير مدون عندهم وطرح سؤال واحد ماذا ولو حدث زلزال فى منطقة بها مفاعلات ذرية لتوليد الطاقة الكهربائية ؟ .

ويامن تهرعون الى بريطانيا للنزهة والمسرة خـذوا بالكـم ! .

هندسة الوراثة



تعتبر تكنولوجية علم الأحياء ، «البيوتكنولوجية » ، أحدث وأخطر ثورة فى عصرنا هذا نسبة لما تبشر به من فرص كبيرة لمعرفة أدق اسرار حياة النبات والحيوان والانسان ، وما يمكن أن يتبع ذلك من امكانيات واسعة لمعرفة اسباب كثير من العلل والامراض ، وبالتالى علاجها بشكل فعال .

وقد اهتمت وسائل الأعلام المختلفة بهذا الموضوع ،وخاصة بعد ما زفه العلماء من بشرى اكتشاف العقار الطبيعى المذهل « الانترفيرون » واجراء تجارب لتركيبه باستخدام البكتريا كمصانع حية لانتاجه ، وتجريبة لمدى عقدين من الزمان فى علاج السرطان وعدد من الأمراض المستعصية ، وبنتائج ايجابية . وكانت « حياتنا المعاصرة » قد قدمته لقراء مجلة الدوحة فى عدد أول مارس الماضى محققة بذلك سبقاً علميا صحفياً على كثير من الصحف العالمية الكبرى .

وقد رأينا أن نقدم فى هذا العدد المقالة الرئيسية التى أفردت لها مجلة النيوزويك الأمريكية غلاف عددها فى ٢٤ مارس ١٩٨٠ ، نسبة لاشتمالها على كل الجوانب المتعلقة بهندسة الوراثة ، وتطورات البحث فى مجال تكنولوجية

● لعل فهم العلماء لتلك الأسرار سوف يسهل لهم استبدال الخلايا المريضة بأخرى سليمة







اعادة تركيب الحامض النووى للخلايا لصنع الهرمونات بغرض تحسين صحة البشر . وقد جمع هذه المعلومات من مصادرها العلمية المتعددة والمسؤولة فريق من محررى مجلة نيوزويك الاسبوعية .

يسمى العلماء تكنولوجية هندسة الجينات ببساطة « تكنولوجية التوصل الى صور جديدة للحياة » . وقد تاتى للبيولوجيين الوصول لهذه التكنولوجيا منذ ١٩٧٣ . ولكنها الآن اصبحت شائعة فى كل معامل البحوث فى ارجاء العالم جميعها . وفيها ياخذ البيولوجيون (الجينات) من احد الكائنات الحية ويزرعونها فى خلايا كائن حى اخر وقد امكن بتقطيع الجينات الى شرائح اغراء البكتريا ان تصنع هرمونات كثيرة لعل اشهرها الانسولين (المضاد لمرض السكر) وما هذه إلا مجرد بداية على طريق هذا الفرع من العلم . وقد ياتى يوم تصبح فيه البكتريا مصانع حية لانتاج العقاقير الطبية بما فيها اللقاحات والامصال ، لمقاومة الامراض والعلل من التهابات الكبد الى السرطان وامراض البرد العادية . ويقول العلماء انه سوف يتسنى لهم صناعة كل انواع البروتينات خلال الخمس عشرة سنة القادمة إن شاء الله .

* ثورة علمية واقتصادية

وتعد هندسة بيولوجيا الجينات ثورة علمية لاتقل شانا عن (الالكترونيات) . ويمكن بمقتضاها ان تقوم الاحياء الوحيدة الخلية بصناعة البروتينات التى تصنعها اجسام الابقار مثلا ، بما يحقق استكمال النقص فى الاغذية البروتينية على مستوى العالم . كما انه من الممكن ان تسخر البكتريا المشرحة الجينات لاستئصال (بقع البترول) التى تسبب التلوث فى البحار ، او لتجميع المعادن النادرة من التربة ، ويقول بعض العلماء إذا كان علم الكيمياء قد وصل الى عصر ذهبى وكذلك علم الفيزياء فان الدور الآن على علم البيولوجيا ليكون له عصر ذهبى مرموق .

وتعتبر تلك التكنولوجيا البيولوجية التى تتلخص اكاديميا فى ما يسميه العلماء اعادة بناء الحامض النووى للخلية ، من اهم الخطوات العلمية منذ اكتشاف الشكل (الحلزونى المزدوج) للحامض النووى سنة ١٩٥٣ .

وهذه التكنولوجيا العجيبة سوف تسهل للعلماء استقصاء قرابة (مائة الف جينة) فى الخلايا الادمية . ولعل فهم العلماء لتلك الاسرار سوف يسهل لهم استبدال الخلايا المريضة باخرى سليمة والتغلب على الامراض الوراثية مثل (الهيموفيليا التى تكثر فى ذرية من يتزوجون الاقارب) وعلى بعض انواع الانيميا فقر الدم) . ومن العلماء من يغالى بقوله ان هذا العلم سوف يمكننا من (تحسين) الجنس البشرى ذاته !! وباستنبات الجينات يامل الباحثون ايضا فى الوصول الى اجابات عن كثير من المسائل البيولوجية المحيرة . مثل تلك التى لا نعرف حتى الآن من اسرار الخالق تبارك وتعالى شيئا حيالها ، كان نجد خلايا ذات (جينات) متماثلة تكون الجلد او العضلات او او الاعصاب ، وكانا نرى خلايا عادية يعتورها فجاة سعار الانقسام مكونة اورما خبيثة . كما ان البحث فى هذا المضمار سوف لا يعاوننا فحسب فى فهم امراض مثل تشوهات الاجنة او السرطان ، بل سوف يعاوننا كذلك على فهم انفسنا ذاتها . والثورة العلمية منذ عهد جابر بن حيان مؤسس علم الكيمياء وابى بكر الرازى وابن سينا واضعى اسس علم الطب الحديث ، وغاليليو مخترع التلسكوب الى عصر فلق الذرة تدعو الى العجب العجاب ومنها اعادة تركيب حامض الخلية الحية .

* اعتراضات وحذر

ومنذ بدا العلماء يبحثون فى هذا الجانب من البيولوجيا قامت بعض الاعتراضات حتى من العلماء انفسهم خشية أن يؤدى البحث بانطلاق نوع من البكتريا التى تولدت فيها جينات مسعورة لا تقهر وتعم الارض ببلاء من صنع الانسان ذاته لا يمكن وقفه او السيطرة عليه !!! ولقد احاط الباحثون انفسهم بسياج من السرية ، ولم يسمح للبحوث فى هذا الباب ان تصبح (رسمية) إلا بعد ان وضع معهد بحوث الصحة الامريكى سنة ١٩٧٦ خطوطا رئيسية لهذه البحوث . وينقى كثير من العلماء كل احتمالات الخطر المتوقعة من تلك البحوث ، ولكن ما شغل بال العلماء اليوم فى مضمار هذه البحوث العلمية الهامة هو اختلاطها بالتجارة إذ ان احتمالات قيام صناعات يتاجر بها المتاجرون (وما ادراك ما اخلاق التجارة اليوم) يجعل كل جهة تنفق على تلك الابحاث تكبل باحثيها وعلماءها وتطلب إليهم عدم تبادل المعلومات والخبرات مع الاخرين ، وهذه روح من اضر ما يمكن بالبحث العلمى ، إذ ان البحث العلمى لا ينمو ولا يضطرد فى (الادارج المقفلة) والتجار والسياسيون هم افة العلم والعلماء ، ولا يكون العلماء علماء إذا كبلتهم ملايين الاموال ومنعتهم من تبادل الخبرة مع زملائهم فى كل انحاء العالم. والمساومات الشيطانية بين العلماء والتجار موجودة منذ زمن النظريات الكيماوية الاساسية فى اساس الحياة وهى دراسة الجينات ، ونحن نعلم ان شكل وفعاليات كل كائن حى ، نباتا ام حيوانا ، يقررها ما اودعه الله تعالى فيه من صفات جزيئات حامض يسمى (د . ن . ا) او حامض (الديوكسى ريبو نكلويك) وهو الذى يتكون جزيئه على هيئة حلزونية او زمبرك مزدوج وحينما تنقسم الخلية فان ذلك الحامض يضاعف نفسه وينتقل بكل ما اودعه الله فيه من الخصائص الوراثية الى الجيل التالى من الخلايا . وهذا الحامض هو الذى يوجه الخلية فى عملية تكوين وصناعة البروتينات الاساسية لحياتها وكذلك الهرمونات، كالأنسولين ، والاجسام المضادة التى تقاوم البكتريا ، ويحور الدم (الهيموجلوبين) الذى يحمل الاوكسيجين والانزيمات للتفاعلات الكيميائية فى الجسم الحى .

* تركيب الحامض النووى

ويشبه الكيماويون ذلك الحامض بسلم حلزونى جوانبه من السكريات والفوسفات ، وعوارضه من مواد اربع اساسية هى الادينين (ا) والجوانين (ج) والسيتوسين (س) والثيمين او الزعترين (ز) ، ولتكوين عوارض السلم نجد ان الادينين دائما مشتبك مع الزعترين بينما السيتوسين مشتبك مع الجوانين . وبهذا النوع من التشابك تاخذ الخلية التعليمات لانتاج (البوتينات ، والبروتينات كما نعلم تتكون من الاحماض الامينية المقطورة بعضها ببعض كعربات قطار وقد وجد الكيمائيون ان قواعد الحامض (د . ن . ا)الاساسية هى التى تتحكم فى نوعية البروتين الذى تصنعه كل خلية ، ولهم فى هذا المجال مصطلحات نحن فى غنى عنها للقارىء الآن ... وفى تكنولوجيا الحامض النووى العجيبة ، توصل الكيماويون الى استخلاص ذلك

هندسة الوراثة



الحامض من البكتيريا والفيروسات وخلايا الحيوان وخلايا النبات ويعالجونه بالانزيمات التى تكسره أو تقطع عنه شرائح طبقا لما يريدون ثم يأخذون تلك الشرائح بوسائلهم الخاصة لدراسة خواص القواعد التى تحتويها ، ثم يلحمون الجينات ببعض البكتيريا التى تعيش فى الامعاء مثلا لمواصلة الدراسة .وقد وجد العلماء أن هنالك فى بعض اميبا الامعاء حامضا على هيئة حلقات تسمى البلاسميدات فهم يستخرجون هذه البلازميدات ويشطرونها بالانزيمات ثم يولجون فيها شرائح مختارة من حامض (د . ن . ا) ثم يلحمونها بانزيمات أخرى ويعيدون ايلاجها فى البكتريا . وكلما انقسمت خلايا البكتريا فانها تعطى الجينات الوراثية المصنوعة الجديدة للأجيال التالية .

* توليد سلالات خطرة

ومن اهم ما حدث فى هذا المجال استطاعة بعض العلماء سنة ١٩٧٣ أن يولدوا انواعا من الجراثيم تقاوم عقار الستربتومايسين ولا تتاثر به ... وهنا مكمن خطر على الانسانية لا شك فيه ، وتحاول الحكومات وضع اللوائح التى تمنع العلماء بمقتضاه من البحث فى مجال صناعة سلالات من الميكروبات تقاوم الادوية والعقاقير ، وكذلك البحث فى مجال تخليق ميكروبات تفرز سموما لا دواء لها !! .

والبحث فى مجال كهذا يتطلب من العاملين فيه احتياطات صحية لا مثيل لها فى مجال آخر .

* احتمال تسربها صدفة

ان احتمال تسرب الجينات التى تجعل البكتريا تقاوم المضادات الحيوية عن طريق الصدفة هو الذى اثار النقاش حول سلامة البحوث المتعلقة باعادة تركيب الحامض النووى . وقد ضيقت القوانين المرشدة التى وضعتها معاهد الصحة القومية الامريكية مجال البحوث فى الجينات المقاومة ، كما أن التجارب التى تجرى على الاحماض النووية (د.ن.ا) للبكتريا أو الفيروسات المسببة للأمراض ، والجينات التى تستخدم فى انتاج السموم الفتاكة لا يسمح بها إلا تحت ضوابط صارمة ، وفى معامل على درجة عالية من الاحتياطات الامنية ، حيث يقوم العاملون فى هذا المجال بتغيير ملابسهم وغسل اجسامهم قبل مغادرة المكان . كما انهم يجرون تجاربهم على البكتريا من خلف اغطية واقية لضمان عدم تلوثهم وعدم انتشارها . وقد توقفت مثل هذه البحوث والتجارب الآن .

وتجرى ٨٠ ٪ من البحوث على تركيب الحامض النووى تحت ظروف التعقيم المتبعة فى اى معمل اختبارى بالمستشفيات ، حيث يتم تعقيم كل شىء قبل القائه ، كما يمنع الاكل اثناء العمل بـــه .

وقد راجع العلماء افكارهم حول اخطار البحث فى مجال اعادة تركيب الاحماض النووية بعد ان حققوا تقهما اكبر للمواد التى يقومون بالبحث عن طريقها . فقد اتضح لهم أن اميبا المصران الغليظ التى تستخدم فى معظم التجارب قدتفقد قدرتها على الحياة زمنا طويلا خارج المعمل ، كما فقدت قدرتها على نشر اى جينات خطرة . كما أن الجينات الادمية تختلف كثيرا عن جينات البكتريا التى تستضيفها ، ولا تقوم بوظائفها إلا تحت ظروف يتحكم فيها الباحث ..

« لقد كان الناس يخشون تسرب شىء ضار وخطير عن طريق الصدفة .. ولكن العلماء ، كما يقول وولتر غلبرت من جامعة هارفارد » يعرفون الآن انهم لا يقدرون حتى ان ارادوا ذلك خلق اى شىء خطير . » .

* نتائج ايجابية

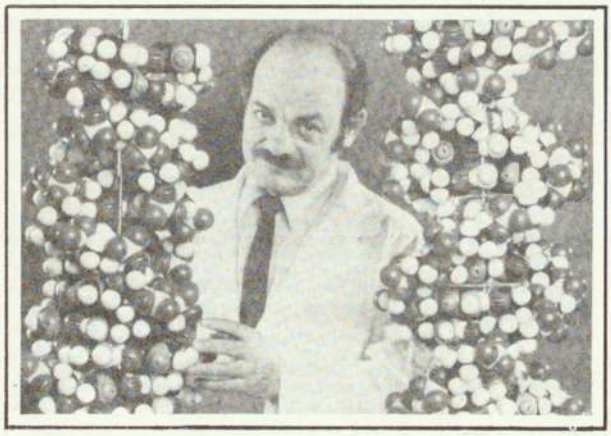
ومن المواد التى يتوقع العلماء ان يوفرها البحث العلمى فى هذا المجال مادة الانسولين المضادة لمرض السكر ، بدل استخراجها من بنكرياس الماشية والخنازير كما هو حادث اليوم . فقد بدات قصة صناعة الانسولين بالطريقة الجديدة سنة ١٩٧٨ . كذلك بدا العلماء كما اشرنا الى ذلك فى عدد سابق من الدوحة فى صناعة هرمون الانترفيرون الذى ثبت جدواه فى مقاومة فيروسات التهاب الكبد والسرطان . كذلك يعتقد العلماء انهم سيتوصلون لصناعة هرمونات النمو المقاومة للقزمية فى الانسان وكذلك هرمونات لعلاج ضحايا الهيموفيليا .

* اسرار جينات الوراثة

ويحاول العلماء بابحاثهم فى طريقة الشرائح هذه واعادة بناء الحامض النووى بها ان يسبروا اغوار اسرار الجينات الوراثية . ومن هذه الاسرار كيفيةتنظيم تلك الجينات ، فكل الخلايا ، ماعدا البويضات والحيوانات المنوية ، تحتوى على مجموعات كاملة من الجينات ، ولكنها لاتقوم بعمل إلا بعـد ان يؤذن لها بمنظم غير معروف بعد . وقد عرف العلماء واحدا على الاقل من هذه المنظمات فى احد الفيروسات الذى اطلقوا عليه اسم (لامدا) . وهذا الفيروس يغزو خلايا الاميبا المعوية ويتخذ احد مسلكين اثنين ، اما ان يدفع هذه البكتريا لانتاج فيروس (لامدا) فى اجيالها الجديدة فتتفجر منتجة اياه بكثرة ، واما ان يظل ساكنا تاركا البكتريا تتكاثر دون ماضرر او اضرار وقد وجد العلماء أن هذا (اللامدا) خاضع فى تصرفه الى وضع جزىء خاص يسمى الضاغط وفى العادة فان الحامض النووى يرسل رسالة لصناعة البروتين بمساعدة انزيم وسيط ، ولكن إذا كان الجزىء الضاغط موجودا فوق (جينة) فان الانزيم لا يستطيع التقاط الرسالة من الحامض وتظل الجينة غير فعالة . واكتشف احد العلماء ان الضاغط نفسه قد يستطيع ادارة الجينة وتحريكها للعمل ، وذلك يتوقف على موقعه من (منطقة الضبط) ، وقد يمكن ذلك الاكتشاف العلماء من استخدام خلايا الكائنات الحية الكبيرة مع خلايا البكتريا لتنشيطها للعمل . ويستطيع العلماء اليوم تحديد التتابع الدقيق للقواعد فى اى شريحة من الحامض (د.ن.ا) وتحديد مواقع الجينات فى الكروموزومات بكل دقة . وهنالك مئات الالاف من امكانيات (توليف) التتابع فى الجينات ولأن الباحثين لديهم القدرة على انتاج الجينات بكميات هائلة فانهم فى النهاية قادرون على دراسة العدد الكافى من الجينات لوضع خريطة القواعد . وعلى نفس القدر يستطيع البيولوجيون ان يخبرونا عن اوضاع اكثر من

العلماء يحاولون إعادة بناء الحامض النووى بحثاً عن أسرار الجينات الوراثية

إنهم يخشون ارتباط هذا النوع من الأبحاث بالتجارة بسبب سريتها



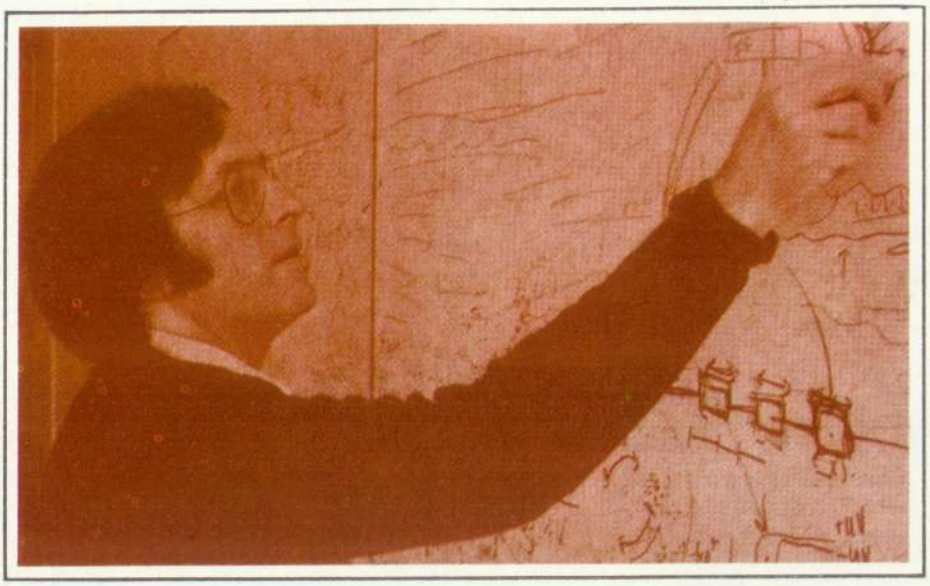
د. الكسندر امام نموذجين للحامض النووى بعد اعادة تركيبه وهندسته

مائة الف جينه وراثية داخل ٤٦ كروموزوم فى الخلية البشرية . وللوصول الى هذا فان العلماء يختارون جينة وراثية ويخلطونها بالكروموزومات التى يكون حامض(د.ن.ا) فيها مفلوقا من منتصفه حيث تجد القواعد الاختيارية اتوماتيكيا مقابلاتها الطبيعية فى الكروموزوم المفلوق فتلتحم ا . ز كما تلتحم س مع ج . وهكذا يعرف الباحثون اى كروموزوم يوائم الجينة ويلتحم معها واين يمكن للجينة ان تستقر فى اى مكان على الكروموزوم . وهذا التخريط الجينى قد يمكننا من شفاء الامراض الموروثة مثل الهيموفيليا . التى يسببها تشوه فى احدى الجينات . فاذا استطاع العلماء تحديد الكروموزوم المناسب فقد يستطيعون اصلاح الجينة التالفة او يولجون فى الخلية جينة اخرى مناسبة .

* فرص جديدة لعلاج السرطان

وقد يساعد البحث فى هذا المضمار ايضا فى علاج السرطان . فقد استطاع بعض العلماء ان يستخلصوا جينات من بعض الفيروسات تسبب اورام فى الدجاج وان يفصلوا تلك التى تسبب تلك الاورام . ومن الجينات التى تسبب الاورام تلك التى تامر الخلايا بانتاج البروتين من الفوسفات . ولكن هذا الكشف لم يطبق بعد فى صناعة العلاج المناسب . ووجد العلماء كذلك ان الجينات التى تسبب الاورام فى الخلايا هى نفس الجينات التى توجد فى الخلايا اصلا . ومطلوب ان ندرس لماذا تجنح هذه الجينات احيانا الى اثارة الخلايا فتنقسم بسرعة مسببة اورام سرطانية . وفى حالات اخرى لا تفعل . وحيث ان تشريح او فلق الجينات اصبح اليوم يسيرا بين ايدى العلماء . فانهم الان يتصورون ان باستطاعتهم اختبار القضايا (المتوارثة) فى الوراثة . والى عهد قريب كان العلماء يظنون ان الجينات فى البكتريا مثلها مثل الجينات فى المخلوقات العليا . ولكنهم اكتشفوا حديثا ان هناك فرقا شاسعا . فقد وجدوا ان جميع القواعد فى حامض (د . ن . ا) فى البكتريا تتالف من ثلاثيات وتترجم الى احماض امينية . بيد انها فى الفيروسات وخلايا الثدييات متوحدة . ان عناصر حامض (د.ن.ا) الذى يامر بصناعة الاحماض الامينية التى تصنع منها البروتينات . تفصل بينها مركبات يبدو انها لا تكون البروتينات اطلاقا . وقد غير هذا الاكتشاف الصورة التقليدية عن كيف تعمل الجينات البشرية . وان هنالك انزيمات تعمل اعمالا اخرى لم نكن نعرفها اذ ان قواعد حامض (د.ن.ا) توجد فى حامض اخر هو الريبونكلويك . وهنا نجد ان المعلومات المناسبة تحمل الى منطقة من الخلية حيث تتجمع الاحماض الامينية لصناعة البروتين . حيث تقوم الانزيمات اولا بمعالجة الحامض الريبونكلويك وتفتت منه اجزاء هى المركبات الفاصلة ثم تلحم ما تبقى

احد المحاضرين بجامعة هارفارد يشرح هندسة الجينات



وهذا من اهم الاكتشافات على الاطلاق . واذا كانت الجينات تنقسم الى قطع فان الله لا شك قد جعل فى ذلك سببا . ويشبه احد العلماء الجينة بانها تمثل الكلمات المكتوبة التى تفصل بينها مسافات . ولولا هذه المسافات لكانت الكتابة متصلة ولا معنى لها .

واستطاع العلماء ان يبلوروا حامض (د.ن.ا) ووجدوا انه لا يشبه الحلزونة المزدوجة التى دلتنا عليها دراسة سابقة بالاشعة السينية . وثبت ان حامض (د.ن.ا) له تركيب بللورى واضح تبدو فيه الذرات فى اماكن هندسية محددة لاول مرة . وهذا الان قيد بحوث واستقصاء دقيق . ولدى العلماء امل كبير فى ان ابحاثهم فى هذا المجال سوف تساعد كثيرا فى علاج السرطان .

كما ان بعضهم يأملون فى ان الابحاث فى هذا المجال سوف تساعد كثيرا على تحسين صحة البشر واخلاقهم بل وخلقتهم . ولكن علماء اخرين يقولون بان محاولات من هذا النوع سوف تكون كارثة على الجنس البشرى ويطالبون بمنع مثل هذا الشطط .

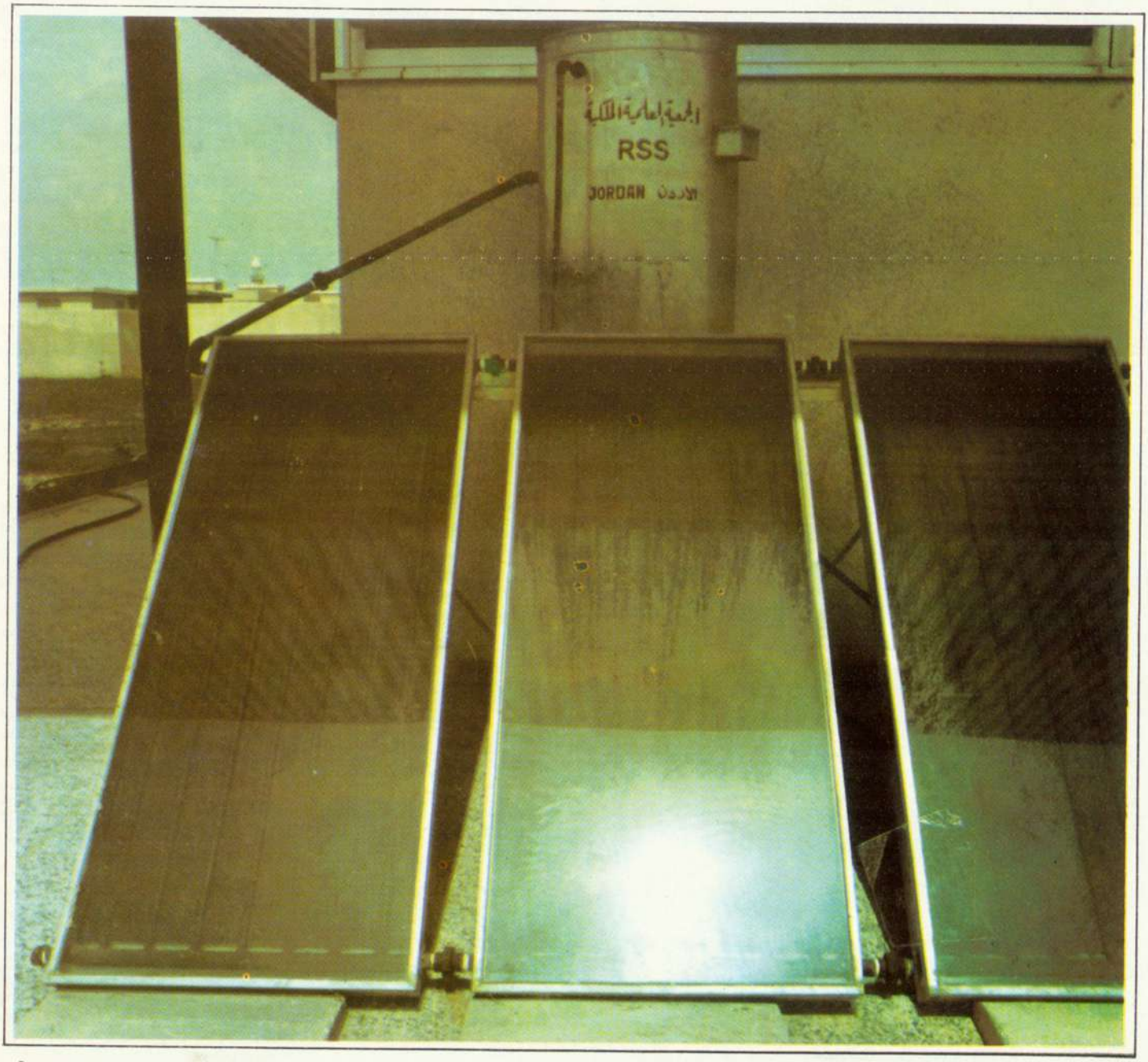
* الآثار الاخلاقية المترتبة

واكبر ما يخشاه العلماء هو ارتباط هذا النوع من الابحاث بالتجارة سوف يؤدى الى ما لا تحمد عقباه بالنسبة للعلم وللمجتمع البشرى على سعته . وذلك بسبب السرية التى تحاط بها الاعمال التجارية . اذ ان كثيرا من الاكتشافات العلمية تاتى نتيجة للنقاش بغير اى تحفظ بين العلماء والباحثين وفى اى مكان .

والعلماء يخشون تماما الآثار الاخلاقية المدمرة لهذا النوع من الابحاث اذا سيطر عليه التجار . كما ان انتاج هذه الابحاث فى السوق سوف يحتاج لتشريعات لم يعتدها البشر من قبل كما ان الاحتمالات التجارية من وراء هذه الابحاث نحت بالعلماء ذاتهم منحى جديدا . فبدل ان كان العالم ينشر نتاج عمله فى مجلة علمية لها احترامها وقيمتها الادبية . فان الباحثين فى تكنولوجيا حامض (د . ن . ا) لا يرون غضاضة فى نشر نتائج ابحاثهم على الجماهير بواسطة التليفزيون او المؤتمرات الصحفية !! كما حدث عندما امكن صناعة الانسولين بهذه الطريقة حتى قبل ثبوت صلاحية ذلك الانسولين للعلاج وبصرف النظر عن الباحثين الذى لوثتهم النزعة المادية التجارية . والذين يسببون نوعا من التشاؤم من مستقبل العلم . فان هنالك من ليس متشائما . اذ ان العلم فى نظرهم ظل يعمل مع الصناعة وبالتالى التجارة زهاء نصف قرن من الزمان . كما هى الحال فى علم الكيمياء . ولكن العلماء لم يتركوا شرف البحث العلمى واصالته الاخلاقية وهم لايفتأون يضيفون كل يوم جديدا فى الكشف عن اسرار ملكوت الله فى مخلوقاته سبحانه لان البحث لدى جمهور العلماء الصالحين مطلوب لذاته لانه سعى للمعرفة . ولهذا فهم يسبرون اغوار نواة الذرة . وينصتون فى صبر وجلد الى النبضات الاليكترونية القادمة من اجواز الفضاء البعيد من المجرات والسدم ويقلبون حبال حامض (د.ن.ا) وليس يهمهم ان يؤدى ذلك الى زيادة فى المراجع العلمية او فى انتاج المصانع فهذا لا يعنيهم بقدر ما تعنيهم (المعرفة ذاتها) . وابحاث شرائح الجينات سوف تنطبع نتائجها على الجانبين الاكاديمى المعرفى البحث والصناعى . فهذه الابحاث سوف تزيح الستار عن بعض الاسرار التى اودعها الله سبحانه فى خلقه للحياة على الارض . وسوف تقلل من قلق الجوعى والظمائين على سطح هذه الأرض .

شمس العرب
بديل جديد للطاقة

إعداد: د. أحمد إسماعيل



- هل هناك أموال عربية طائلة تهدر في هذا الموضوع؟
- منذ عشرين عاما بدأت الأبحاث على الطاقة الشمسية في السعودية
- اتفاقية تعاون مع ألمانيا الغربية لتطوير الأبحاث وتطبيق الطاقة

الطاقة الشمسية لها اهمية قصوى بالنسبة للدول العربية المنتجة وغير المنتجة للبترول . وقد بادرت هذه الدول بالفعل في استغلال الطاقة الشمسية واستعمالها . فاليوم نجد حوالي الثلاثين جامعة واكثر من اربعين مؤسسة حكومية تقوم بدراسات جادة في هذا المضمار .

والدول العربية التي لها مساحة شاسعة تبلغ ١١½ مليون كيلو متر مربع تملك ثروة هائلة من الطاقة الشمسية ذلك لان مقاييس الاشعاع الشمسي أو التاجج الشمسي اوضحت أن كل متر مربع من هذه المساحة يتلقى ما يعادل ٢٧٥ وات (وحدة كهربائية) من الطاقة الشمسية واذا افترضنا ان ١٪ من هذه المساحة (١١½ مليون كيلو متر) قد استغل لتوليد وتوظيف الطاقة الشمسية فهذا يكفي لبناء ٣٠٠٠ محطة توليد كهربائية بسعة تتساوى ١٠٠٠ ميجاوات .

ولكن هنالك من العرب من يقول ان اموالا عربية طائلة تهدر في هذا الموضوع ، اي يجب على الدول العربية أن تعني بالبحث في هذا المجال وتطبقه في اراضيها بدلا من أن تشتري هذه الابحاث والتكنولوجيا من دول الغرب . ومهما يكن الامر فان تكنولوجيا هذه الصناعة الجديدة يأتي جله من الغرب ، وان كانت دول العالم الثالث بما فيها الدول العربية اليوم تملك البسيط من هذه التكنولوجيا (التسخين والتقطير للمياه وهكذا) ولهذا نجد أن الدول العربية (مثل المملكة العربية السعودية والكويت) تفضل أن تشتري آخر ما وصلت اليه تكنولوجيا الغرب في هذه الصناعة وعليه اصبحت دول الغرب مهتمة بتصدير مثل هذه التكنولوجيا - التي قد تكون ليست ذات اهمية في بلادهم - الى الدول العربية حيث أن الطاقة الشمسية والمال متوفران .

واكثر الدول العربية اهتماما بتطوير هذه الصناعة الجديدة وتطبيقها هي المملكة العربية السعودية حيث وحدها تدفع أكثر من ٦٠٪ من تكاليف هذه الصناعة في الدول العربية مجتمعة . وقد بدأت الابحاث على الطاقة الشمسية في السعودية في حوالي ١٩٦٠م في جامعة البترول والمعادن بالظهران . وكذلك اليوم نجد أن كل الجامعات السعودية قد ادخلت هذه الابحاث في برامجها ومختبراتها وفي سنة ١٩٧٠م نشطت الحكومة في هذا المجال ممثلة في وزارة الصناعة والكهرباء والمركز السعودي للتكنولوجيا والعلوم الذي انشيء في عام ١٩٧٧م . وكذلك قامت وكالة للطاقة الشمسية في السعودية سنة ١٩٧٨م. هذا وقد قام المركز السعودي للتكنولوجيا والعلوم بتوفير حوالي ال ٥٠ مليون دولار لابحاث الطاقة الشمسية في الجامعات السعودية . ومن أكبر مشاريع الطاقة الشمسية الذي شارف على الانتهاء مجمع تدفئة وتسخين مياه لكلية القوات الجوية بمدينة تبوك وتبلغ مساحته ٤٣٧٠ مترا مربعا من مجمعات الطاقة الشمسية وتقوم ببنائه شركات امريكية . كذلك تنوي الحكومة السعودية بناء محطة توليد الطاقة من الشمس على مساحة ٤٠٠ هكتار من المجمعات للطاقة والغرض من هذه المحطة أن تمد منطقة جبيل الصناعية بحاجتها من الكهرباء . كذلك تقوم الحكومة السعودية مع الحكومة الفرنسية ببناء طلمبة لرفع مياه الآبار على مساحة ٦٠٠٠ متر مربع من المجمعات للطاقة مع تعميم مثل هذه الطلمبات في بقية المملكة. كذلك قامت الحكومة الفرنسية ببناء مفاعل نووي واحد بمدينة الرياض . وكنتيجة طبيعية لزيادة معدلات الاستهلاك المحلي والتصدير للخارج من النفط القطري فقد اتجهت حكومة قطر نحو الاهتمام بالطاقة الشمسية ممثلة في جامعة قطر والمركز الفني للتنمية الصناعية وقد شرعت فعلا جامعة قطر في الاستفادة من الطاقة الشمسية كبداية لابحاثها المستقبلية (راجع كتاب سالم الجابور - تقييم استعمال الطاقة الشمسية في قطر - ١٩٧٩) وابرمت اتفاقية فنية بين حكومة قطر وحكومة فرنسا في مارس ١٩٨٠ للتعاون في هذا المجال .

اما في دولة الكويت فيقوم المعهد الكويتي للابحاث العلمية بتطوير صناعة الطاقة الشمسية ، وقد وقعت الحكومة الكويتية اتفاقية تعاون مع المانيا الغربية يتم بموجبها تطوير ابحاث وتطبيق الطاقة الشمسية وكذلك كل البدائل الممكنة للطاقة .

دول أخرى

اما في البحرين فقد بدأت دراسة الجدوى الاقتصادية للاستفادة من الطاقة الشمسية في عام ١٩٧٧ . وهنالك تعاون وثيق بين الكويت والبحرين والاردن في هذا المضمار .

اما الجزائر فتولي اهتماما بالغا للاستفادة من الطاقة الشمسية ومن اهم المشاريع التي تجرى فيها الآن بناء قرية قرب بلدة بوسعدة تسع ١٥٠٠ مواطن والقرية مخططة لكي تمد كل منازلها بالطاقة الشمسية ثم تعمم التجربة على بقية أجزاء القطر .

اما بالنسبة للطاقة الشمسية في مصر فهي كباقي الدول لازالت كلها محاولات في المختبرات وان كان التطبيق الفعلي قد حصل في قريتي مينا أبو النكوم والبسايسة . وفي دراسة أجرتها منظمة الدول المصدرة للبترول أظهرت هذه الدراسة أن مصر هي اكثر الدول تنويعا وتكثيفا لبرامج وابحاث الطاقة الشمسية ولكنها تعتمد كليا على المساعدات

شمس العرب بديل جديد للطاقة

الخارجية نتيجة وقف المساعدات الحكومية لهذه الابحاث واتجاه الحكومة للصرف في ابحاث الطاقة النووية . وتملك مصر اليوم على الاقل مفاعلا نوويا واحدا ، وقد وقعت وكالة الطاقة المصرية على اتفاقية مع الولايات المتحدة لكي تمدها بعشرة مفاعلات حتى سنة ٢٠٠٠ وسوف تغطي هذه المفاعلات حوالي ٤٠٪ من كهرباء مصر .

اما اكثر بلدان الشرق الاوسط اهتماما واستفادة من الطاقة الشمسية اليوم فهي المملكة الاردنية الهاشمية وتوضح تجاربها وتطبيقاتها على انها الانجح في المنطقة العربية وقد ساهمت كثيرا في دفع الاقتصاد الاردني. وتقوم الجمعية الملكية العلمية بكل ابحاث الطاقة الشمسية وقد ظهرت نتائج ابحاثها في المشروع المشترك مع شركة دورنير الالمانية التي قامت ببناء محطة تحلية المياه بالعقبة مستعملة مواسير التسخين الشمسية . واليوم نجد في الاردن شركتين تنتجان المسخنات المائية للاستعمال المنزلي . كذلك استفادت الاردن من الطاقة الشمسية في عمل شبكة تلفونات (للطوارىء) على جوانب الطرق تعمل بالطاقة الشمسية وقد عممت هذه الشبكات في كل الطرق البرية الكبيرة بالمملكة . والمحاولات جارية على قدم وساق للاستفادة من الطاقة الشمسية في بث برامج التلفزيون في الاردن . هذا غير بناء المستنبتات الزجاجية الزراعية لتكثيف انتاج الخضر ..

في المغرب ، فقد انشيء مركز ابحاث الطاقة الشمسية في مراكش ويكلف مشروع مختبر البطاريات الشمسية الان ٣٧٫٠٠٠ الف دولار امريكي .

اما في دولة الامارات العربية المتحدة فتقوم اليابان ببناء محطة تحلية مياه (بتكاليف قدرها ٣٠٩ مليون دولار امريكي) تعمل بالطاقة الشمسية وسوف يتم انجازها في ظرف ٤ ـ ٥ سنوات .

النفط المتزايد والازمة

هل تواجه الدول العربية ازمة حقيقية في الطاقة نتيجة النقص المتزايد في احتياطيها الاستراتيجي من النفط ؟ توضح احصائيات استهلاك النفط في الدول العربية المنتجة وغير المنتجة في عام ١٩٧٨ ان هذه الدول تستهلك ٦ ـ ٨٪ وسوف يصل رقم الاستهلاك الى ٥٥ ـ ٦٠٪ في عام ٢٠٠ وهنا تبرز الاجابة على السؤال المطروح لماذا تركز هذه الدول على استغلال الطاقة الشمسية ولزوم وجود بدائل جديدة للطاقة ؟

١ ـ ان الطاقة الشمسية هي انظف وارخص أنواع الطاقات . ان الطاقة الشمسية ليس بها اي نوع من انواع التلوث السيىء الذي بدوره يؤثر على صحة الانسان والحيوان والنبات . وأخطر هذه التلوثات البيئية غير البترولية هي التلوثات النووية نتيجة الشرب في المفاعلات النووية وتسرب نووي حصل في مفاعل ثري مايل ايلاند بامريكا وتسرب نووي حصل في احد المفاعلات بفرنسا وغيره وغيره .

٢ ـ ان الشمس هي مصدر الطاقة لكوكب الارض (عملية التمثيل الضوئي وما يتبعه من نتائج) .

٣ ـ ان الاجهزة التي تستخدم الطاقة الشمسية تستخدم في أغلب مجالات الحياة اليومية مثلا :

(أ) تسخين المياه اللازمة للاستعمال بدلا من الكهرباء والغاز .

(ب) التبريد (الثلاجات) والتكييف (المساكن) .

(ت) تشغيل الموتورات بكافة انواعها (الطلمبات لرفع المياه من الآبار واستغلالها في الزراعة) .

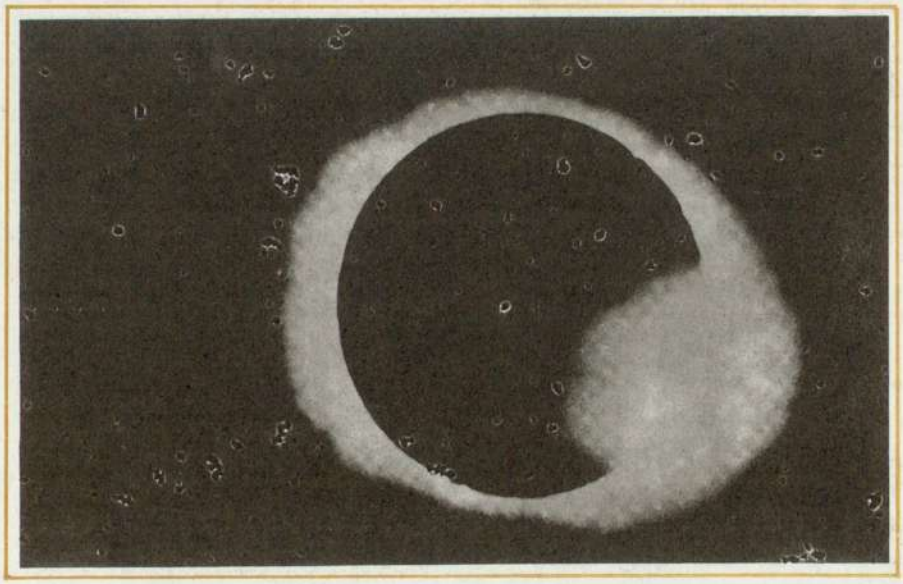
(ث) تحلية مياه البحر بواسطة عواكس لجمع الحرارة (قد تصل درجة الحرارة ٣٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ درجة مئوية) .

(ج) الخلايا الضوئية تجمع الضوء من الشمس وتغيره الى كهرباء (بطاريات) وتستعمل هذه البطاريات في التليفونات والتلفزيونات وهكذا .

(ح) بناء المستنبتات الزجاجية وتكييفها حسب درجة الحرارة المطلوبة (بدون التقيد بصيف او شتاء) وزرع المحصول المراد انتاجه ..

وفي النهاية يمكن أن نقول ان اكبر المراكز لأبحاث الطاقة الشمسية في العالم هي امريكا ـ المانيا الغربية وفرنسا وان هذه الدول الكبرى لا تملك فائضا من المال ومناخا مناسبا لاستيعاب وتطبيق جل ابحاثها في الطاقة الشمسية محليا وعليه سوف تستمر في بيع تكنولوجيا الطاقة الشمسية وباسعار مرتفعة للدول العربية ما لم تكتشف هذه الدول الغربية تطبيقات للطاقة الشمسية في المجال العسكري . وعلى دولنا العربية ان تركز وتكثف في ابحاثها المحلية ، وتكون وكالة عربية لهذا الغرض .

د. احمد اسماعيل



لماذا يحتكر الغرب

تكنولوجيا الطاقة الشمسية؟

مهندس سمير صلاح الدين شعبان د. مهندس مظفر صلاح الدين شعبان

- الليل لم يطل.. وبدأت الشعوب المستضعفة تتحرر تباعا
- بعد اكتشاف النفط استأثرت الدول المتقدمة بتكنولوجيا التنقيب
- الطاقة البديلة أكثر ضرورة في العالم الثالث

في أواخر القرن السابع عشر تمكن الانسان الغربي من تسخير الفحم الحجري وابتكار الآلة التي مهدت لانفجار الثورة الصناعية . لكن هذا الانسان شعر أن آلته بحاجة لمزيد من المواد الاولية تبتلعها لتقذف كميات فائضة من المواد المصنعة التي يتطلب تصريفها ايجاد أسواق جديدة ، فابتكر « الاستعمار » . وخلال فترة زمنية قصيرة اصبحت جميع دول افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية فريسة هذا الوحش النهم الذي لا يشبع .

لكن الليل لم يطل وبدأت الشعوب المستضعفة تتحرر تباعا . وبغية المحافظة على مصالحها الاقتصادية حرصت الدول المتقدمة بكل ما اوتيت من قوة لمنع قيام الصناعة في هذه الدول لضمان استمرار تدفق المواد الاولية من هذه الدول الى الامم المتقدمة صناعيا ، وكذلك لتركها سوقا مفتوحة لمنتجاتها المصنعة.

بعد اكتشاف النفط ـ عصب الحياة الحديثة ـ ظلت الدول المتقدمة مستأثرة بتكنولوجيا التنقيب عن النفط واستخراجه وتصنيعه ، مما سمح لها بالحصول على أرباح طائلة حققتها على حساب الدول المنتجة للنفط .

في الستينات حاولت مختلف الجهات الغربية ـ بما فيها الحكومات ـ اقناع الدول النامية بأن الطاقة الذرية تمثل مظهرا اساسيا من مظاهر الحضارة الحديثة ، فحثتها على شراء المفاعلات النووية ، لانها وجدت فيها مرة اخرى سوقا واسعا لبيع تجهيزاتها الصناعية.

وفي هذا المجال ايضا فرضت الدول الغنية وصايتها ووضعت قيودا قاسية على محطات التوليد النووية في الدول النامية ، متذرعة بالخطر الذي ينجم عن استخدام المفاعلات النووية في صناعة القنابل الذرية . واحست الدول النامية ان تلك عبارة عن شباك فخ جديد لايقاعها في التبعية للدول المصدرة لتكنولوجيا الذرة .

ومع ازدياد حدة ازمة الطاقة اتجهت الانظار الى اشعة الشمس الذهبية التي تتساقط بسخاء على الدول النامية في معظم فصول السنة ، فأثارت الاحلام المخملية في هذه الدول بمصدر مجاني نظيف يحررها اخيرا من التبعية للغرب في حل مشكلات الطاقة . فهل يتحقق الحلم ؟

طاقة الشمس : البديل المنتظر

وعلى هامش ازمة الطاقة لابد من الاشارة الى ان تكاليف المنابع التقليدية للطاقة يجعل الحاجة لجعل الطاقة البديلة أكثر ضرورة في العالم الثالث أكثر منها في باقي دول الارض . وحيث أن معظم الدول النامية تقع في مناطق جغرافية تغمرها الشمس بسخاء في القسم الاعظم من السنة ، لذا تبدو الطاقة الشمسية وكأنها البديل المنتظر .

ومما يدعو للاستغراب ان معظم بحوث الطاقة الشمسية تجري في دول العالم الصناعية الغنية بصناعتها ، الفقيرة بشمسها

ومن الواضح أن نقل التكنولوجيا الخاصة بالطاقة الشمسية الى العالم الثالث سيلعب دورا متميزا خلال السنوات العشر القادمة . ومن المحتم ايضا أن الشركات الغربية التي تنفق الان ملايين الدولارات بغية ابتكار تجهيزات مناسبة لاستئناس الطاقة الشمسية ستجد في دول العالم الثالث سوقا رائجة وواسعة لتصريف منتجاتها . ولكن السؤال الذي يطرح نفسه : الا يتوجب على دول العالم الثالث تطوير قضية الطاقة الشمسية الخاصة بها بدلا من استيرادها .

وهناك سبب هام آخر يدعو دول العالم الثالث الى الاهتمام بتطوير صناعة الطاقة الشمسية المحلية . فمن المعروف أن هذه الصناعة تتطلب موادا بالغة التكلفة ، بينما تفتقر الدول النامية الى القطع النادر الذي تتمكن بمساعدته من استيراد هذه التجهيزات. وبالتالي فان تصنيع هذه التجهيزات محليا سيوفر على الدول النامية قطعا اجنبيا هي في امس الحاجة اليه لتنفيذ خطط التنمية الخاصة بها . وقد اعلنت مؤسسة التنمية الصناعية التابعة للامم المتحدة أن انتاج التجهيزات الشمسية يجب أن يكون له مركز الصدارة في عملية تصنيع دول العالم الثالث

كذلك فان صناعة الطاقة الشمسية ستخلق في الدول النامية فرص عمل كثيرة ، لان صناعة هذه الطاقة تتطلب غزارة في اليد العاملة اكثر من اية طاقة اخرى .

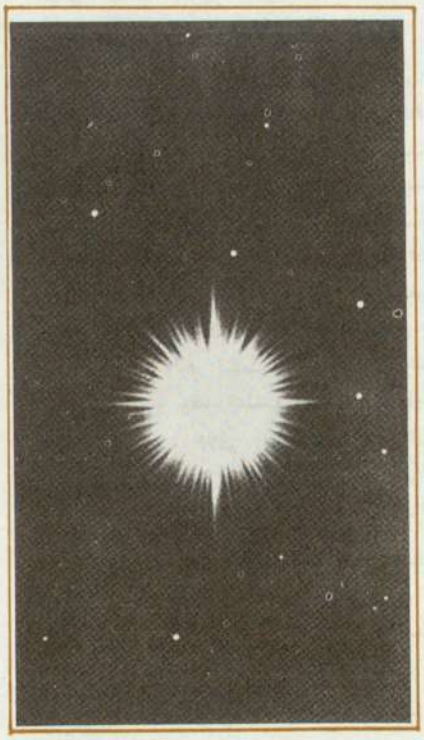
ومع الاسف يبدو مستقبل العالم الثالث

لماذا يحتكر الغرب تكنولوجيا الطاقة الشمسية؟

في هذا المجال باهتا . صحيح أن كثيرا من دوله بدات ببرامج بحوث شمسية ، الا أن معظمها منخفض السوية لا يتعدى تقليد برامج البحوث التي تجرى في الدول المتقدمة . وهذا أمر لا يدعو للاستغراب ، خاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار القدرات العلمية المحدودة المتوفرة في معظم الدول النامية . فالبحوث الشمسية في كثير من الدول النامية مركزة على تطوير « مسخنات الماء » وهي ابسط الاجهزة الشمسية على الاطلاق . كما أن الابحاث تسير بسرعة بطيئة للغاية مما يدعو للاعتقاد أن توصلهم الى مواقع يتمكنون فيها من مقاومة الضغط التجاري الذي سيمارسه منتجو أجهزة الطاقة الشمسية في الغرب وسوف يستسلمون عاجلا او آجلا ، مما سيضطرهم الى استيراد التجهيزات الشمسية ـ تماما كما هم مضطرون اليوم لاستيراد تكنولوجيا النفط ، الفحم والذرة .

أهمية الاعتماد على النفس :

في الحقيقة تعتمد التقنيات الشمسية



بصورة اساسية على سويات فكرية وعلمية متطورة . لكن كثيرا من الدول النامية تفتقر حتى الى المعلومات الضرورية ، ، وفي كثير من الاحيان تجد صعوبة في اتخاذ قرار بشأن « استيراد » افضل التجهيزات التي تناسب أوضاعها . وفي معظم الحالات لا يجد الباحثون في الدول النامية امامهم سوى المعلومات والمعطيات والمراجع التي يزودهم بها المنتجون . وهذا ما يعرض الدول النامية لضغوط تجارية كبيرة . وقد ساهمت هيئات تكنولوجيا الطاقة الشمسية ، بمؤازرة جمعيات حماية البيئة في الغرب ، في تشكيل الانطباع ان تكنولوجيا الطاقة الشمسية واحدة من أهم التقنيات التي يجب تزويد العالم الثالث بها . ربما يكون ذلك صحيحا .

ولكن يجدر بنا النظر بعين الحذر الى جميع البيانات والتصريحات الغربية والتي قد تخفي وراءها اغراضا بعيدة . جواو ماير من جامعة كامبينز في سان باولو بالبرازيل التي ـ تعتبر دولة متقدمة نسبيا ـ لا يشك في صحة المعلومات المرتبطة بمبيعات الشركات فحسب بل يشتبه أيضا حتى في الاكاديميين الفرنسيين والممثلين الرسميين هيئات الامم الدولية . كما صرح مؤخرا ناطق رسمي باسم الامم المتحدة ان فرنسا صدرت الى المكسيك عددا من المضخات الشمسية ، تبين عند تشغيلها أنها كثيرة التوقف والاعطال .

وعليه فان افضل ما تقوم به الدول النامية هو وضع برامج للبحوث تجعلها قادرة على التسابق مع الدول الغربية في هذا المضمار . والمطلوب منها ان تركز بالدرجة الاولى على استنباط تقنيات شمسية جديدة تمكنها من انتاج اكبر قسم ممكن من اجزاء التجهيزات الشمسية محليا ، بحيث تكتفي باستيراد الاجزاء المعقدة التي تخرج عن امكانياتها الصناعية والتقنية . وبهذه الطريقة ستصبح دول العالم الثالث قادرة على استئناس تقنيات الطاقة الشمسية وتعديلها حسب ظروفها الخاصة ، مما سيسمح لها بتخفيض مدفوعاتها بالقطع الاجنبي ، تحسين الامكانيات والمقدرات الصناعية المحلية ، تشغيل اليد العاملة الوطنية في الصناعة ومكافحة البطالة واخيرا التغلب على مشاكل الصيانة .

ومع الاسف فان عددا قليلا فقط من الهيئات العالمية أو وكالات الانماء الدولية يحاول المساعدة في هذا الاتجاه . وعلى العكس هنالك تخوف حاليا من احتمال استغلال مساعدات الدول الغربية من اجل تصدير معدات الطاقة الشمسية . وقد غذى هذه المخاوف التصريحات الرسمية التي صدرت عن حكومات كل من الولايات المتحدة ، المانيا الاتحادية وفرنسا ـ اكثر الدول تقدما في هذا المضمار ـ ان تطوير التقنيات الشمسية سيفتح اسواقا هائلة الاتساع في العالم الثالث ، وسيوجد من ناحية اخرى فرص عمل كبيرة في الغرب لتخفف من حدة البطالة المتفاقمة .

وقد دلت التقارير على وجود خلاف حاد بين وكالة الانماء الدولية الامريكية من جهة والحكومة الامريكية من جهة أخرى حول نقل التكنولوجيا الشمسية الى العالم الثالث . فقد كانت وكالة الانماء تخطط لتطوير البحوث والدراسات في دول العالم الثالث نفسها ، لكنها لاقت على ما يبدو صعوبات جمة مع وزارة الطاقة الامريكية التي تنوي تنفيذ رغبات الحكومة في « تصدير » تجهيزات الطاقة الشمسية . كذلك ادى ظهور شركات خاصة ضخمة على المساحة الى تنوية احتمال توجيه بحوث الشمس باتجاهات الريح الكبير، لانها ترغب مثلا في تطوير منشآت مركزية ضخمة على درجة عالية من التعقيد وهذا قد لا يناسب الدول النامية كثيرا .

كيف السبيل ؟

ما هي الاختبارات المتاحة امام العالم الثالث ؟ على المستوى الدولي يبدو هنالك طريقان : ـ

الطريق الاول : هو اجراء مفاوضات مع الدول الغربية لضمان افضل وسيلة للحصول على الخبرة الفنية الشمسية . وقد اقترح في مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية الذي عقد في العام الماضي أن تقوم الدول الغربية بتقديم الخبرة الفنية الشمسية للدول النامية « بدون مقابل » .

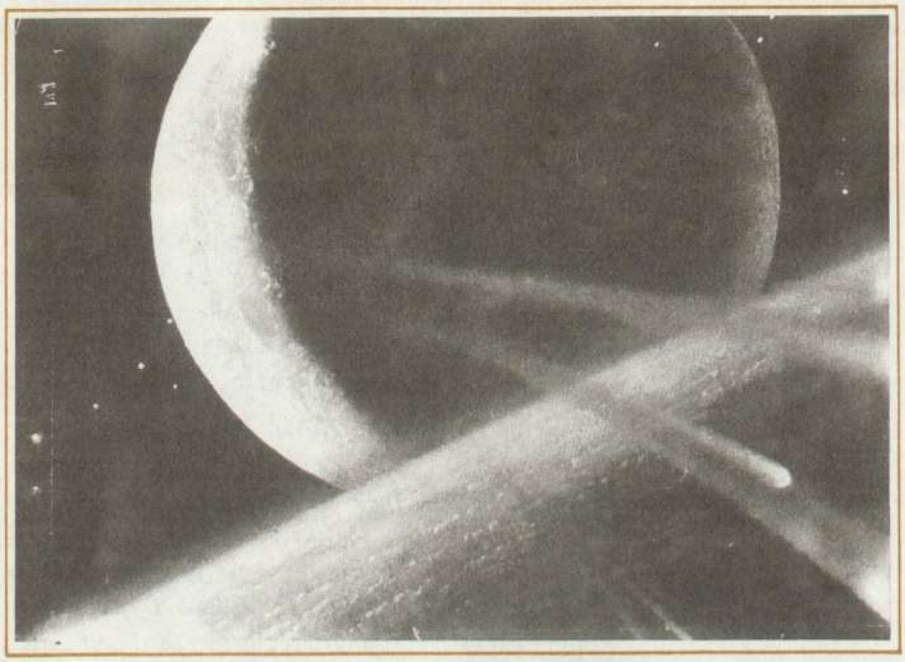
وحيث ان معظم البحوث الشمسية تمد

لها الحكومات ، لذا سيكون ذلك سهل التحقيق في العديد من الدول المتقدمة . وقد بلغ الامر بمؤتمر التجارة والتنمية انه طالب باعلان التقنية الشمسية « تقنية مشاعة للبشرية بأسرها » .

وعلى الرغم من هذه الصيحات المتفائلة فان عددا قليلا فقط من الخبراء يصدق أن مثل هذا الموقف للدول النامية سيؤدي الى نتيجة ايجابيةفي تعاملها مع الدول الغنية التي تظهر فيها اهتمامات تجارية قوية في المجال الشمسي . لكن شركات الموردين الغربيين المؤيدين لاقتراح اشاعة التقنية الشمسية ربما تتمكن من اقناع مزيد من الدول المتقدمة باقامة بعض المشاريع في الدول النامية من تلك التي تتسم بطابع البحوث المبتكرة ، والتي ليس هنالك ما يضر من كشفها او اشاعة أسرارها من الناحية التجارية .

والطريق الثاني : الذي يمكن للدول النامية ان تسلكه هو أن توحد امكانياتها التقنية والمالية لتمهد بها طريقها . وقد درست امكانية التعاون هذه في مجال البحوث الشمسية في العديد من لجان الامم المتحدة ، لكنها لم تثمر ولم ينتج عنها اية أشياء عملية تذكر . في أيامنا هذه يمتلك العالم الثالث جميع الشروط الضرورية في بلدانه ذاتها : المال والاهتمام في الدول الغنية بالنفط مثل الكويت ، السعودية ، ليبيا وايران ، والمقدرة التقنية في الدول المصنعة نسبيا مثل البرازيل ، الارجنتين ، المكسيك، مصر ، الهند ، وكوريا الجنوبية . وتمثل هذه الامكانية الطريقة المثلى للسير على هذا الطريق .

فمبقدور برنامج عالمي تديره وتشرف عليه دول العالم الثالث مساعدة هذه الدول على تطوير صناعاتها الشمسية الى اقصى حد ممكن بالمقارنة مع كثير من برامج البحوث الصناعية الاخرى فان برنامج البحوث الشمسي المتوافق مع الاوضاع الخاصة لدول العالم الثالث لن يتطلب الا نفقات صغيرة ، رغم أن بعض التقارير تشير الى أن بعض الدول المنتجة للنفط تصرف الكثير من الاموال على البحوث الشمسية المشتركة مع الدول القوية ، لكن معظمها يذهب الى مؤسسات



موجوده في الولايات المتحدة واستراليا .

وينسب الى أحد العلماء السعوديين المرموقين تصريحه في معرض الطاقة الشمسية في البحرين عام ١٩٧٨ « من السهل استيراد هذه التجهيزات والعبث بها . ولكن ذلك لا يسمى بحوثا » وفي شهر آذار (مارس) من العام الماضي قام السكرتير المساعد لهيئة الدول العربية المصدرة للنفط ـ محمد أمين ـ بتحذير الدول العربية وتنبيهها الى ضرورة التصرف بحذر ، والا تحولت هذه الدول ببساطة من دول « مصدرة » للنفط الى دول « مستوردة » لتقنية الشمس .

الخاتمة

ان ما يدعو للقلق ، عند النظر الى التناقضات الموجودة بين حكومات العالم الثالث ، انه يتراءى للمرء أن هذه الدول لن تجتمع اطلاقا على رأي موحد . فقد جرى اجتماع باشراف الامم المتحدة لممثلين عن ١٥ دولة تطل على البحر الابيض المتوسط في تشرين الاول « أكتوبر » ١٩٧٨ ، أوصى هذا المؤتمر بتأسيس برنامج للبحوث تتعاون فيه الدول المشاركة على استثناس مصادر الطاقة المتاحة (الشمس ، الرياح ... الخ) بما في ذلك انشاء مركز في مالطا ـ مهمته الرئيسية تبادل المعلومات والخبرة الفنية والتدريب وتأسيس مركز آخر في تركيا تكون مهمته اجراء البحوث الشمسية . لكن العديد من الحكومات ضربت بهذه التوصيات عرض الحائط واعلنت بدلا من ذلك أن لديها هيئات بحوث اقليمية أكثر فعالية من المراكز المذكورة وفضلت قصر التعاون على المؤسسات الاقليمية الحالية القائمة فعلا في دول البحر الأبيض المتوسط ولكن ، ألا ينذر هذا الوضع السياسي غير الحازم بالخطر ؟.

عند فقدان الامل في التعاون مع الدول النامية الاخرى ، ربما تقوم بعض الدول النامية المصنعة نسبيا ـ مثل البرازيل ، الهند ، كوريا الجنوبية وبعض الدول الاخرى ، بتطوير التكنولوجيا الضرورية لتلبية بعض احتياجاتها النفتية بقواها الذاتية . ولا يستبعد أن يصل بها الامر حتى الى الانضمام الى الاحتكارات الغربية متعددة الجنسيات ، لتقوم هي أيضا بدور المصدر للتقنيات الشمسية الى دول العالم الثالث الاخرى . بقية الدول في افريقيا ، البحر الكاريبي ، جنوب وجنوب شرق آسيا واجزاء من أمريكا الجنوبية ـ سيكون مصيرها التبعية التقنية الابدية للغرب . وبذلك يتبدد حلم الطاقة الشمسية كمنبع لطاقة التحرر من التبعية ويتلاشى الى الابد .

هؤلاء الكتاب العظام واجورهم المتواضعة

(الفكر والأجر من أصل متنافر) حقيقة أولى تشد إنتباهك فور اقترابك من مجالات النشر فى بلادنا .. تحل لك لغز المقولة المشهورة (الفكر لا يطعم خبزاً) وقد تخلفت هذه الحقيقة من مفارقه أغرب من نتيجتها .. وهى بالرغم من أن دولاب عمل الناشر لن يتحرك إلا إذا أمده الكاتب بالمادة التى تدور به ، وبما أن الناشر لا يتوافر له مردود ما أنفق كاملا على ما نشره حال توزيعه فى السوق من ثمن الورق وأجر العاملين التى لا تحتمل تأجيل الدفع أو تسويف الأجر .. فان الكاتب وحده بما أوتى من سعة أفق يستطيع التدبر والانتظار .. والانتظار قد يكون الى ميسرة .. والميسرة شىء لا يعترف به الناشر أبدا .

تنافر حادث من المفروض أن يكون تجاذباً .. أعداء يجب أن يكونوا أصدقاء وإذا كان هذا التمايز قد خلف كثيرا من الطرائف .. فانها طرائف تثير التأمل بعد الابتسام ، ولا تصل الى الضحك الذى كالبكاء لذلك نجد أن أكبر كتابنا هم أكثرهم وعياً لهذه الحقيقة وتداركها ..

طـه حسين : الدفع أولا

فالدكتور طه حسين لم يكن يكتب أو يتكلم فى الاذاعة أو فى التليفزيون إلا بعد اقتضاء أجر مجز .. طلبت منه الاذاعية المشهورة (آمال فهمى) أن يتكلم لمستمعى إذاعة الشرق الاوسط التى ترأسها فى برنامج أسمته (لغتنا العربية يسر لا عسر) فوافق الدكتور على شريطة أن يتسلم أجره قبل التسجيل ، شرحت له آمال فهمى ضرورة مرافقة نص الحديث لاذن الصرف ، فذهبت توسلاتها أدراج الرياح ، ولما كانت آمال قد أدرجت هذا البرنامج وسط فقرات شهر رمضان التى نشرت فلم تجد أمامها إلا أن تدور على الاصدقاء تجمع منهم المبلغ المرتفع الذى طلبه الدكتور طـه حتى ليتكلم .

وإذا كان هذا هو اسلوب طه حسين فى التعامل مع الاذاعة والتليفزيون من بعد مع (ليلى رستم) ، وكان تعامله مع النشر قطعيا (أى احتكار) لدار المعارف ، فقد أعدت لنا الصدفة معه شيئا أغرب من الموقف السابق .. ذلك أنه عندما نشر مذكراته فى مجلة آخر ساعة (وهى ما بعد الايام) سارع الدكتور سهيل إدريس صاحب دار الآداب بجمعها وطبعها محرزا بذلك قصب السبق .. لم يبق أمام سهيل إلا التكليف برسم الغلاف ثم التوزيع وقبلهما طبعاً موافقة الدكتور طه ..! عندها سقط فى يد سهيل موضوع أو مشكلة الشراء القطعى لدار المعارف . ولكنه لم ييأس بل أخذ يبحث وينقب فى قانون النشر ويسأل القانونيين عن ثغرة ينفذ من خلالها إلى أن عثر .. يومها ذهب الى الدكتور طه مستبشرا واستهل كلامه بأنه دفع لنجيب محفوظ اليوم أجره عن نشر (أولاد حارتنا) الفين وخمسمائة جنية .. فردد الدكتور طه المبلغ مستعظما إياه (ألفين وخمسمائة جنيه) ثم أردف : الدنيا حظوظ .. فاندفعت الكلمات قفزا فوق لسان سهيل : نحن مستعدون أن نجعلك محظوظا يادكتور .. فرك الدكتور طه كفيه ثم نشرهما متمنيا : واحسرتاه .. على أى شىء تعطينى .. ؟ رد سهيل لاهثا : عن مذكراتك فى آخر ساعة فسأله الدكتور طه يائسا : ودار المعارف ؟ فقال سهيل لقد بحثت هذه المسألة قانونيا وطلعت منها بأن دار المعارف تحتكر مؤلفاتك أما هذه فمذكراتك والفرق شاسع بين ذلك وتلك .. تأمل الدكتور طه الكلمات هنيهة ثم سأله : أمتأكد أنت يا سهيل .. فقرأ عليه سهيل نص القانون فانفرجت



العقاد



نجيب محفوظ



د. محمد مندور



صلاح عبد الصبور

طه حسين لم يكتب أو يتحدث فى الإذاعة والتليفزيون قبل اقتضاء أجر مجز

صلاح عبد الصبور تقاضى خمسين جنيها عن ديوانه الأول : الناس فى بلادى

سهيل إدريس أرسى حجر الأساس لمدرسة الأجر الرمزى فى النشر

أسارير طه فرحا .. ونادى وكأنه يزغرد : فريد .. أعطنى الختم من جيبى .. ووقع به فوق عقد الهبة التى سقطت عليه من السماء والذى كان انفراجا لأزمة سهيل أيضا .. فاستعد له .

لاتحسبن وانت تقرأ ذلك أن د. سهيل إدريس يوزع الآلاف إثنين إثنين شمالا ويمينا على كتابنا .. فالحادثتان اللتان ذكرتهما .. استهلالا .. لهما ظروف غاية فى الخصوصية . فأولاد حارتنا هى أول رواية تطبع خارج مصر .. وخارج احتكار دار عبد الحميد السحار لأعمال نجيب . لاعتراض الازهر على نشرها فى كتاب بعد أن تدبر مغزاها اثناء نشرها كمسلسل فى (الاهرام) .. ومذكرات طه حسين لها شبه هذه الظروف وكانت ورطة لسهيل أيضا .. أما الاجور التى يعطيها سهيل إدريس للكتاب عادة فهى شىء آخر .. فاذا كان هو من احتضن الشعر الحديث ونحت صورته بتجميع باقة شعرائه من كل أرجاء الوطن العربى . (بدر شاكر السياب) و (عبد الوهاب البياتى) و (نازك الملائكة) من العراق و(نزار قبانى) من دمشق ثم (صلاح عبد الصبور) و (أحمد حجازى) و (عفيفى مطر) من مصر وبنى بهم خط دفاع قوى لهذا الشعر جعل صداه ينعكس داخل بلاد شعرائه متجاوزا حدود أبيات البياتى التى يقول فيها عن ميلاد شعره فى الغربة :

النهر للمنبع لا يعود
النهر فى غربته يكتسح الحدود

حجازى : ٢٧ جنيها !

كان بناء سهيل لهذا الصرح من استقطاب وإبراز كثير من الكتاب الشباب



توفيق الحكيم



يحيى حقى

قد توازى مع إرسائه لحجر الأساس فى مدرسة الأجر الرمزى فى النشر فى عالمنا العربى ، فقد نقد أحمد عبد المعطى حجازى سبعة وعشرين جنيها وفاء لديوانه الأول (مدينة بلا قلب) وذلك بحجة أن هذا الديوان قد صودر فى مصر بسبب قول حجازى فى مقطع (ياقاهره .. ياذات المآذن الملحدة) مع أن القاهرة هنا كانت تضاهى بيروت من حيث تواضع الأجر..وعد سهيل حجازى بأن يعوضه فى المرة القادمة وقد بر بوعده فأعطاه خمسة واربعين جنيها وفاء لقصيدته (أوراس) وهى عن ثورة الجزائر .. لأن النقاد أخذوا عليها مقطع (اندلس هى الفردوس المفقود) وهكذا ظل القدر بالمرصاد لحجازى يستتبع عليه لعنات الأجر الرمزى من سهيل .

عبد الصبور : وثمن الدركسيون !

أما صلاح عبد الصبور فقد أفلت من القدر .. فأجزل له سهيل العطاء حيث نقده سهيل بعد نجاح ديوانه (الناس فى بلادى) خمسين جنيها ، ومائة جنيه بطولهم وعرضهم لقاء ديوانه (أحلام الفارس القديم) ، يوم تسلم صلاح هذه الهبة ــ من فتحى نوفل عديل سهيل ومدير أموره المالية فى القاهرة ــ كان يريد بهما إكمال ثمن عربة فولكس مستعملة .. يومها جلسنا صلاح وزوجته نحسب أجر (أحلام الفارس القديم) من العربة القديمة .. فوجدناه يعادل ثمن (الدركسيون) أو عجلة القيادة .. ولاشك أن هذه الأجور انسحبت على بقية أصحاب الشعر الحديث أجمع ..

واسلوب الرمز فى الأجر عند سهيل شىء مجز إذا قيس بأسلوب أدونيس (الغرم بالغنم) أى الذى يكسب نشر رأيه عليه تحمل خسارة مجلة (مواقف) النهائية .. وقد ارتضى أدونيس هذا الاسلوب لأسباب نقره عليها فى كثير من الاحيان .. أولها أن أدونيس من القلائل فى الوطن العربى الذين يحيون أفكارهم كلما وجد سبيلا لذلك .. ولما كانت أفكاره توافق بطريقة تكاد أن تكون متطابقة مع كل ما يراه الكاتب السعودى (عبد الله القصيمى) وتوافق ثورة نزار قبانى على نفسه وعلى كل جيله .. فقد استعمل اول عدد من مجلة (مواقف) باستهلال قال فيه : نلتقى فى (مواقف) كوكبة أصدقاء . تحتضن أصواتنا وأصوات الخلاقين جميعا... إنها لذلك حقيقة ورمز تفجرجيل عربى اختبر مافى الحياة العربية من تصدع .. هكذا تطمع (المواقف) إلى أن تكون استباقا . كل استباق إبداع . الابداع


سهيل ادريس


أدونيس


عبد الحليم حافظ


عادل امام

● لم يستطع ادونيس الوفاء بأجور الكتاب دائما !

● عدة آلاف من الجنيهات جعلت توفيق الحكيم يحكى ذكرياته عن والده ونجله !

هجوم : تدمير ما نرفضه وإقامة ما نريده ... تلك هى مواقف إنها مناخ للمجابهة ..... هكذا تنهض (مواقف) انها نقيض القبول ، بما نرثه أو يرد علينا . والثقافة هنا كفاح . وحدة فكر وعمل . إنها الثقافة التى لا تعنى بتفسير العالم أو الحياة أو الانسان إلا لغاية أساسية : تغيير العالم والحياة والانسان . إنها الثقافة ـ الثورة .. ثم تأتى المقالات تباعا فنجد مقال (لئلا يعود هارون الرشيد) لعبد الله القصيمى المتفجر عن أوضاع العرب الحالية .. ثم قصيدة نزار قبانى (الاستجواب والممثلون) ، ومعهما قصيدة (حرية القتل) لافتشنكو آخر الساخطين وشحنات متفجرة أخرى .. فى جميع المجالات أو المناشط العربية ...

جرت هذه الجراة من أدونيس عدم دخول (مواقف) أغلب الدول العربية ، ولما لم يكن لدى أدونيس دار للنشر يعوض بها خسارة المجلة .. فقد اضطر لعدم وفاء الأجور .. ثم أصبح هذا حقا مكتسبا له فقد سارت المجلة سيرا متعثرا لصعوبة دفع أجور المطبعة .. وفى اثناء ذلك فوجىء أدونيس بنشر كتاب لنزار فى دار نشر يحوى عدة لقاءات أجريت معه على صفحات مجلة (مواقف) إحتج أودنيس ورفع قضية ولكنه خسرها .. لأن سهيل إنحاز مع القانون الى جانب نزار .. ورأى بأن من حق نزار أن ينشر كل اللقاءات التى أجريت معه فى كل مكان يختاره .. مادام أدونيس لم يدفع ولو أجرا رمزيا لنزار .. وضاع فى خضم ذلك (دفع) أدونيس بحقه لأن الاسئلة التى وجهت لنزار ووجهت مسار الحوار كانت من وضع المحرر الذى أجرى اللقاء .. أو انتوائه نشر هذه اللقاءات عندما تتسنى له دار للنشر .

أما مشكلات النشر المتفاقمة التى واجهت أدونيس .. إضطر للرضوخ والاستسلام للناصحين له بمناقشة رسالة دكتوراه وهو من قدمت فيه رسائل كثيرة بعضها خارج عالمنا العربى .. حتى يستطيع أن يوفى الكتاب من مرتبه أجورهم ولو رمزيا ..

مندور : على قدر الفلوس !

والرمز كان أول زاد أمدنى به سهيل فى الفترة التى عملت فيها كمراسلة للآداب فى القاهرة سنة ٦٧ .. فأول وجباته قوله : لتملئى جعبتك بتبر الرمز والرمزية تنثريه على كل مفاوضاتك مع الكتاب ، فنحن نعرف أقدار الكتاب ومكانتهم العالية .. ولكن ظروف النشر هى التى تحتم علينا هذا الأسلوب .

وحول الرمز والرمزية ، قال الدكتور محمد مندور لسهيل يوما : يظهر ياسهيل أن عملك فى النشر أوقف قراءاتك ولم تعد ثقافتك ثقافة عصرية . ففزع سهيل وكأن لسان حاله يقول أنا من أنشر سارتر ، وسيمون ، وكولن ولسن وماركيوز . قال مندور : لأن المذهب الرمزى تطور عبر التعبيرية والواقعية . فلماذا لا تحاسبنا وفقه والأجر فيه يساوى الجهد .. تنفس سهيل الصعداء وهو يضحك قائلا : والله يادكتور إننى لا أتخذ من الرمز مذهبا بقدر ما أتخذه أسلوبا . لأن المجلة تخسر .. ولأنها لا تدخل أكثر البلاد العربية لظروف سياسية .... الخ

ولفشل مندور فى أن يحرك سهيل خطوة للأمام .. اتخذ تجاهه فلسفة أن يكتب بقدر المدفوع .. ويوما كان يملى على مقالا للآداب .. فتوقف لحظة وسألنى كم يغطى ما كتبتيه من صفحات الآداب .. قلت له : قد يغطى صفحتين وبجانبهما إعلان صغير .. قال : إذن أكتبى هاتين الجملتين .. ثم وقعى .. هذا يكفى بالخمسة جنيهات والتفت الى وهو يقول هذه ثقافة أضعنا فى تمكنها المال والجهد والزمن . فلماذا نبيعها بأثمان رمزية .

كان هذا سلوك مندور مع الناشرين أما عن أجهزة الأعلام من إذاعة وتليفزيون

وهى أجهزة لا تدفع ـ لاسيما إذا انتقل المذيع بأجهزته الى مكان المتحدث ومن ثم كان لمتحدث هو من يختار مكان ووقت التسجيل فقد الح عليه الاذاعى طاهر ابو زيد استضافته فى برنامج (مع الشعب) فسأل مندور .. كم تدفع الاذاعة .. قال طاهر : (جراتسيا) أى شكرا بالايطالية .. فرد عليه مندور يفتح الله .. وهل سأعمل ساندويتش جراتسيا لأولادى الخمسة .

كان مندور لا يستقبل صغيرا يتحسس طريقه إلا ونفحه هدية بسيطة ، كتاب له أو لغيره .. أشهد بأن ذلك كان سلوكه تجاهي .. ذلك انه عند ظهور كتاب ما فى السوق يشتريه مندور .. ولكن المؤلف سرعان ما يهديه نسخة فتكون المشتراه من حقى ! .. كان إذا نظر الى مكتبته ووجد نسختين من كتاب شار لزوجته الشاعرة ملك عبد العزيز قائلا نسخة(عايدة) حتى قر فى خيالى أن كل كتاب له نسخة أخرى تصبح من حقى حتى ولو كان فى مكتبة عامة .. !

أردت أن أجرب هذه العادة لدى اساتذة لى آخرين .. فكنت أواجه دائما بهذه الردود : إن هذه النسخة تكون معى فى غرفتى والأخرى فى المكتبة .. أو (إننى أشرت بالقلم تحت مقاطع من النسخة المشتراة .. وأحب أن يكون لدى نسخة باهداء المؤلف

الحكيم : المتشدد فى الأجر

على رأس المتشددين فى أجر كتاباتهم وكلامهم توفيق الحكيم الذى عرف كأبخل أديب فى الوطن العربى .. فهو يوازن بين مجالات الكسب .. بين الجهد والسهولة ويختار المكسب السهل كما حدث فى برنامج (بورتريه) للمذيع التليفزيونى (طارق حبيب) الذى حكى فيه ذكرياته وأضحكنا على بخل والده .. كل هذا لأن طارق ألقمه عدة آلاف من الجنيهات .

وعندما احتفلت (الأهرام) باليوبيل الفضى لنجيب محفوظ فى حفل كبير دعى إليه أكثر أدباء العالم العربى والمستشرقين واتحفوه بكثير من الهدايا القيمة .. جاء دور توفيق لحكيم فى التقريظ .. فقام واستل من جيبه كأسا بحجم الاصبع الخنصر .. وقدمه لنجيب محفوظ قائلا (إنه من فضة وإنه من حر مالى) .. وضحك الحاضرون وتسلمه

على رأس المتشددين فى أجر كتاباتهم وكلامهم توفيق الحكيم الذى عُرف كأبخل كاتب فى الوطن العربى

المقاولون أخذوا من نجيب محفوظ قيمة جائزة الدولة عن الثلاثية .. ولم يقيموا له البيت الذى كان يحلم به !!

نجيب ممتنا ضاحكا .. ونوادر وطرائف توفيق الحكيم عن البخل وعدم الدفع والأجر المرتفع كثيرة تحكيها شخصيات مصر الظريفة .. من أم كلثوم إلى كامل الشناوى .

وتوفيق الحكيم يسدى نصائحه المالية دائما لنجيب محفوظ .. فعندما حصل نجيب على جائزة الدولة التقديرية عن (الثلاثية) وكان مقدارها ألف جنيه .. وكان قد فكر أن يبنى بها مع الألف الأخرى التى تقاضاها من الأهرام عن نشر قصته (أولاد حارتنا) مسلسلا .. لم يمنعه توفيق الحكيم من ذلك ، لكن ظهر أن المقاولين الذين أخذوا من نجيب هذا المبلغ .. كانوا عصابة نصابين .. يومها قال نجيب ساخرا ومعزيا نفسه (لقد انتقم الجبلاوى لمقتله .. والجبلاوى هو بطل أولاد حارتنا وهو رمز الغيب الذى قتله (عرفه) رمز العلم .

نجيب محفوظ : أكثرهم تواضعا

ونجيب محفوظ من أكثر الكتاب تواضعا فى طلب الأجر .. لأنه ينظر الى نفسه بتواضع .. لا يأخذ إلا ما يراه يستحقه وهو قليل جدا .. وربما سبب ذلك أنه كان يتقاضى بعد تخرجه من قسم الفلسفة وكموظف فى حسابات وزارة الاوقاف أيام كان مصطفى عبد الرازق وزيرا لها ثمانى جنيهات .. فأصبح هذا المبلغ مقياسه فى الأجر الى يومنا هذا .

يروى المخرج صلاح أبو سيف أن الممثل فريد شوقى كان يتهيب تجربة الانتاج فى أول فيلم ينتجه (حكم القوى) قصة نجيب محفوظ التى سيكتب لها السيناريو أيضا.كان نجيب قد وصل فى كتابته فى هذه الأيام درجة أحسن سيناريست فى مصر .. سأل فريد صلاحا : الاستاذ نجيب كم سيأخذ عن القصة والسيناريو .. لابد أنه سيطلب ثمنا باهظا يفوق ما رصدته للانتاج .. هون عليه صلاح الأمر وكان سيخرج الفيلم قال : إنه سوف ينقل لنجيب صورة واقعية لمبلغ الانتاج .. وسيجعل زوجته ـ زوجة صلاح ـ (وفيقة أبو جبل) وهى التى ستقوم بمونتاج الفيلم .. تستخدم مهارتها فى هذا الفن لتوفير وقت وجهد نجيب فى الكتابة .. فلا يتقاضى أكثر من مائتى جنيه .. لم يتخيل أو يصدق فريد رضاء نجيب بهذا الاجر المتواضع ودرءا للالتباس فضل فريد أن يسأل نجيب بنفسه .. استاذ نجيب كم تطلب كأجرك عن القصة والسيناريو ؟ فرد نجيب بحزم وعلى الفور : مائة جنيه . أسقط فى يد صلاح واحرج أشد الحرج خشية أن يتسلل شبه ظن إلى فريد أنه كان سيأخذ الباقى له .

أجور نجيب فى السينما بعد ذلك تفوق الخيال .. فالى سنة ٦٥ لم يكن يعرف الشيك الذى يستحقه عن إخراج روايته (زقاق المدق) التى اخرجت سنة ٦١ ، ذلك أن المنتج رمسيس نجيب .. كان قد اعطاه إياه وهو دون رصيد .. ثم أفلس .. عندما أطلعنى نجيب على هذه الحقيقة نشرتها فى مجلة روز اليوسف .. غضب رمسيس عندما قرأه وعاتب نجيبا تليفونيا .. وضع نجيب سماعة التليفون آسفا .. اعلمنى بفحوى المكالمة ثم أقسم بأنه لم يكلم احد الصحفيين بهذا الموضوع يوما .. قلت : لاتحلف ياأستاذ نجيب فأنت صادق .. انا التى نشرته .. فجلجلت ضحكته .

عندما عاد رمسيس نجيب الى الانتاج تحت اسم ابنه .. وعد نجيب محفوظ بسداد الدين القديم بعد عملية بسيطة من نجيب ، هى أن يكتب المعالجة السينمائية للأعمال التى

سينتجها رمسيس .. ويكون بذلك قد ضرب أربعة عصافير برمية واحدة . . الفوز بمعالجة سينمائية تغنى القصة .. الاستفادة من اسم نجيب محفوظ فى الدعاية للفيلم خصم المال المدفوع لنجيب من أصول الفيلم التى تخصم من الضرائب .. سداد شيك بدون رصيد كان يستحق عليه الحبس .. لقد فعل نجيب كل هذا عن طيب خاطر فهذه طبيعته .

نجيب محفوظ ـ بالمناسبة ـ لا يستلم مليما واحدا من غير طريق الكتابة والمرتب والاستضافة.دخل عليه موظف من ادارة الحسابات بمؤسسة السينما مسرعا وبيده دفتر .. طلب من نجيب أن يوقع فى خانة أشار له عليها .. ورغم سرعة الطلب سأله نجيب : على ماذا أوقع-!؟ قال الموظف : ثلاثين جنيها كبدل مظهر ومشروبات لضيوف مكتبك ـ كان يومها رئيسا للجنة القراءة ـ التى كنت عضوا فيها ـ عندئذ وضع نجيب غطاء القلم فوق سنه .. رافضا التوقيع واستلام المبلغ وهو يقول ضيوف مكتبى هم ضيوفى .. وعندما أشيع هذا الخبر فى المؤسسة غضب رؤساء الاقسام احمد بدرخان .. وموسى حقى ، لأن ذلك الموقف يقتضيهم الاحتذاء وإلا سجل نجيب موقفا عليهم .. عدت الى هذه الحادثة وأنا أقرأ عن غضب الوزراء لاعادة حلمى مراد كل الهدايا التى يتسلمها من رؤساء البلاد التى زارها إلى خزينة الدولة .. لأنه لم يقبل هذه الهدايا إلا لكونه وزيرا مصريا ـ ونجيب محفوظ يرفض أن يحوله طبيب المؤسسة لاخصائى (الأذن) أو (السكر) اللذين يعانى منهما .. مع ان كثيرا من الادباء فى المؤسسة يفعلون ذلك ويأخذون الدواء أيضا .. عندما نبهته إلى أن هذا من حقه قال : إن لى دواء فى بيتى وآخر عند والدتى .. فلا يمكن أن أحمل الدواء كلما ذهبت . هل أطلب نسختين من الدواء أم نسخة واحدة .. الله الغنى .

نجيب محفوظ هو الأديب الوحيد الذى يدفع الضرائب قبل أن يضم هذه الأجور الى نقوده الخاصة .. يدفع الضرائب حتى لو كان النشر فى خارج مصر وهو أمر لم يتعارف عليه الكتاب ولا تطلبه مصلحة الضرائب . لذلك فمدخول نجيب محفوظ يغطى أوجه صرفه بالضبط .. فهو يدخر أجور الأحاديث الاذاعية والتليفزيونية لقضاء عطلة الصيف فى الاسكندرية .. وقبل صيف ٦٦ ذهب لاستلام هذا المجموع وفعل .. وما هى إلا عدة خطوات بعيدا عن شباك الصرف .. تحسس بعدها جيبه فاكتشف أنها قد سرقت . واصل نجيب سيره ، ليعلمنا فحزنا وسألناه .. ماذا ستفعل ؟ .. قال بحزم وبعدم حيلة معا : لن أصيف هذا العام ، فكسر عادة حميمة الى نفسه بسبب ظرف طارىء.

يحيى حقى : هذا كثير

المتواضع الأول فى الأجر ومكان النشر هو يحيى حقى .. طالبته الأهرام بالانضمام إليها يوم أن عزم هيكل على استقطاب كبار كتاب مصر فى الاهرام .. ولكنه استدركهم قائلا : ياليتكم قلتم لى قبل ذلك بأيام فقد تعاقدت مع جريدة (التعاون) والتعاون هى جريدة عمالية ذات توزيع محلى محدود ..



احمد عبد المعطى حجازى

المتواضع الأول فى النشر والأجر هو يحيى حقى رفض عرضا من الأهرام لأنه أكبر من عرض آخر التزم به!

ولكن يحيى حقى يرى أن الكلام للعمال ضرورة وطنية لا تقل عن الكتابة للمثقفين أو للعالم العربى كله .. لم يجد (الاهرام) أمامه إلا أن يستكتب يحيى حقى من خارج هيئة التحرير . وفى يوم أرسلوا له أربعين جنيها ثمنا لمقالته .. فرفض استلامها قائلا : ٤٠ جنيها هذا كثير .. هذه سرقة ـ وإذا كان جمال حمدان (فيلسوفنا الجغرافى) قد اشترط مائة جنيه عندما طلبت منه (الاهرام) أن تكون كتابته لها قطعيا .. فهو محق لأنه أولا يبذل فى المقال ما يبذله فى كتاب ثم أن دخله من الأهرام هو دخله الوحيد بعد أن أحجم عن كل الاعمال الأخرى بما فيها التدريس فى الجامعة .

العقاد : شروط وضوابط

كان العقاد فى بداية حياته يتقاضى مبالغ متواضعة عن مقالاته .. وعندما نقد الشاعر السليط عبد الحميد الديب .. نفس أجره فى (مجلة روز اليوسف) كتب فيه قصيدة مقذعة (لاداعى لنشرها) ولكن العقاد فى أخريات أيامه وجد أن انتظاره لأجور المقالات المتواضعة والمؤجلة .. تعيق مسيرته فى كتابته الجديدة .. فوضع لذلك شروطا ضابطة . هذا عن مقالاته أما عن كتبه فكان يطلب من الحكومة الكثير .. لأنها تقتضى منه التفرغ والاحكام .. فقد طلب وأجيب لطلبه ألف جنيه عن كل من كتابيه (حقائق الاسلام واباطيل خصومه) و (التفكير فريضة اسلامية) ولأنه كان يطبع كتاب (سعد) لحسابه الخاص .. ولم يجد ما يدفعه للناشر .. فقد فتح باب الاشتراك للقراء .. وعندما عرف طلعت حرب بهذه الازمة .. أمر له بسلفة على بنك مصر بلغت خمسمائة جنيه .. فى تلك المدة عرضت عليه جريدة البلاغ أن يكتب لها .. فأجل العرض .. رفض أن يأخذ أجرا وفى جيبه خمسمائة جنيه مفضلا أن يكتب روايته (سارة) وهو فى هذا الرغد المعيشى .

وللكتاب فيما يتقاضونه من أجر على كتاباتهم مذاهب .. فالعقاد عندما استمع للطرائف التى يحكيها صديقه الشاعر عبد الرحمن صدقى عن والده .. ومعرفته

بالضائقة المالية التى يمر بها صدقى .. أشار عليه بكتابة هذه الطرائف فهى جيدة . فعل صدقى .. ولكنه عندما وجد الناس يتندرون بسؤال الأب عن جدوى الرياضة التى يمارسها ابنه .. ورد صدقى بفائدتها فى التخلص من الوزن الزائد .. ثم نصيحة الابن بعدم الاكل واراحة جسده من هذا المجهود .. امتنع عبد الرحمن عن اكمال هذه المذكرات . وكان فى أشد الحاجة لمردودها بعكس توفيق الحكيم الذى فعلها وهو فى غنى عنها .

العلامة محمود محمد شاكر يرفض أن يستلم أجور الصحافة ويتشدد بل ويتعسف فى تسلم أجر التحقيق قبل البدء فيه .. لأنه يعرف أن اشتراكات المشترين من الدول والهيئات تصل لدور النشر قبل طبع هذا النوع من الكتب (تحقيق التراث) وكان هذا المطلب وراء عدم ظهور الاجزاء الخمسة عشر الاخيرة من (الطبرى) ، ثلاثين جزءا .. وأخيرا رضخت دار المعارف لمطالبه .. وبدأ فى تحقيق الخمسة عشر جزءا الباقية بفارق عشر سنوات .

مواقف سريعة فى الموضوع

ولأن محمود شاكر من أكبر الأسماء التى توزع تراثيا فى العالم العربى .. فقد استغل اسمه مؤلف سورى اسمه محمود شاكر (..) الغى الاسم الأخير ليتخيل المشترى أنه محمود شاكر الاصلى .

انشغل صلاح عبد الصبور ـ أيام كان مديرا للهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٦٨ فى الرد على التليفون .. فهمس الدكتور زكريا ابراهيم فى اذن الدكتور فؤاد زكريا أن يتشدد عند خمس مليمات لترجمة الكلمة بدلا من أربع .. لأن ذلك يراكم مائة جنيه أو أكثر فى كتاب (الفيلسوف وفن الموسيقى) تأليف جوليوس بورتنوى وترجمة فؤاد زكريا

وفى هذا العام ٨٠ رفض طبيب أن يكتب مؤلفا لسلسلة عالم المعرفة الكويتية التى يشرف عليها الدكتور فؤاد زكريا بسبعمائة وخمسين دينارا .. لأن هذا المبلغ يستطيع احرازه من عيادته خلال أسبوع إذا عاده أربعة مرضى كحد أدنى بدون ارهاق عقل واعمال فكر .

تتداعى الصور لمن يتأملها تباعا .. فينحاز تلقائيا الى صف الكاتب . ذلك أن الكاتب مثل كل صاحب خبرة يريد أن يأكل خبزا من وراء صناعته فقد انفق عليها المال والجهد وسنى تكوينه لاتقانها .. ثم أن عمله الفكرى أشد ضراوة على الجسم والنفس من كثير من الاعمال اليدوية .. فالذى يعمل بعضلاته يساعده الجهد اليدوى على النوم قرير العين والنفس أيضا ولكن الذى يعمل بعقله ليلا ونهارا .. لايعرف للنوم ميعادا ولا قرارا .. لأنه الكف والمطرقة .. اللحن والوتر .. بلا راحة اسبوعية ولا أجازة مرضية أو عرضية .

إن تواضع الأجر فى البلاد العربية الأن .. بعد أن كان الشعراء والمفكرون يعيشون فى حمى أصحاب المروءة والكرم أيام الجامعة الاسلامية ـ ليدل على أن الفكر ليس ذا بال أمام التجارة والفن التليفزيونى ولا حتى الالقاء فى بلادنا .. وإذا اقتصرنا على فن التليفزيون نجد أن الممثل عادل إمام تقاضى ١٥ الف جنيه عن مسلسل (ابراهيم الطائر) من هيئة التليفزيون المصرى ، وليس من شركة خاصة لدول البترول . اشترط أن يرى عربة مرسيدس بيضاء (بالذات) أمام منزله كعربون قبل أن يتحرك من مصر إلى الكويت ليمثل مسرحيته (شاهد مشافش حاجة) . عبد الحليم حافظ .. كان يترك أجر احاديثه فى الاذاعة والتليفزيون ـ كنت أراها متراكمة بجانب اسمه ـ أيام كنت أكتب للتلفزيون ـ واتمنى لو حضر لاستلامها ويسلك ما يفعله الشيخ (الحصرى) حيث كان يأتى لاستلامها .. ويتحلق حوله السعاة يوزعها عليهم بلا حساب وهى من المواقف التى زكت فى ترشيحه شيخا للمقارىء المصرية .

● تخلص العقاد من أزمة ضآلة الأجور عن المقالات بالاتجاه إلى تأليف الكتب

● المعادلة المقلوبة بين الكتابة والأجر سبب من أسباب أزمة الثقافة فى الوطن العربى

ألا تترجم لنا هذه المعادلة المقلوبة بين الاصدقاء والاعداء .. أو الكتاب والناشرين تعسر مسيرة الفكر الى نفوس وعقول الجماهير العربية .. فكر المستنيرين ومواقفهم الجادة لفهم مسيرة الحياة زمانا ووجودا واسلوبا بهدف الاسهام فى حل مشكلاتها كأداة للتغيير والتقدم .. وتجعلهم ينفضون عن تأليف الكتب وكتابة المقالات الجادة التى لا تطعم خبزا .. الى ميادين أسهل وأكثر عطاءً كالمسلسلات التليفزيونية والافلام السينمائية التى تطعم شهدا .

ان أى كاتب فى العالم الذى تظلله اتفاقية (برن وجنيف) للنشر يستطيع أن يعيش من دخل كتاب واحد .. ذلك أن هذه الاتفاقية تحتم الدفع سنويا للكتاب عن كتبهم إذا أعيد نشرها أو ترجمتها أو اقتباسها أو اخراجها للسينما أو المسرح والتليفزيون .. أو استعمالها فى أى منشط آخر .. وللأسف لم توقع الدول العربية على هذه الاتفاقية بحجة ندرة ترجمة مؤلفاتنا الى اللغات .

سألت نجيب محفوظ وقد ترجمت أعماله الى الروسية والمجرية والرومانية (وزقاق المدق) بالذات الى الانجليزية والفرنسية والأسبانية .. هل توافق أن تترجم أعمالك الى كل اللغات بدون أجر .. لأننا لم نوقع على اتفاقية برن وجنيف ؟ قال : لن نكسب نحن كدول من دخولنا فى هذه الاتفاقية لأن الأجانب لن يقبلوا على أدبنا كما نقبل نحن على أدبهم .. ومع ذلك فأنا لا أمانع فى ترجمة أعمالى بدون اذنى وبدون أجر ، وهذا حدث فعلا عملا بالحكمة السنسكريتيه (ضح بالفرد فى سبيل المجموع) وقد استغل أحد الناشرين فى لبنان سماحة خلق نجيب محفوظ تجاه الترجمة .. فطبع ـ مزورا اغلب كتبه دون اذنه

أخيرا جدا

.. ألا تشكل هذه المعادلة المقلوبة بين الكتابة والأجر .. جانبا من أزمة الثقافة فى الوطن العربى الذى هو فى أمس الحاجة الى الثقافة والمثقفين خاصة المتفرغين منهم ؟ إذ كيف يتسنى الوقت لمفكر لمقارعة الافكار بالحجج بينما وقته نهب لانتظار أجر قد يأتيه من هنا ولا يأتيه من هناك .. كيف تنتظم حياته بل حياة اسرته المعلقة به ؟ .

عايدة الشريف

د. عيسى الناعوري

أنا والشعر

- استمرحب الشعر يرافقني فكتبت مع السنين مئات القصائد
- المطولة الأولى .. أحمد الله أنها لم تنشر ولم يطلع عليها أحد غيري!
- مع كل ما نظمته من شعر قبل النكبة فقد أتلفته برمته دون إشفاق ودون أسف

بدات حياتي الادبية شاعرا ، وكان الشعر هواي الاول ، وقد بدأت نظمه وأنا بعد في الثالثة عشرة من عمري · وطبيعي أنني لم أكن يومئذ أعرف شيئا من العروض ، ولكن أذني كانت تميز موسيقاه تمييزا ، لا أقول دقيقا ، ولكن لا بأس في مثل تلك السن ·

وفي تلك السن المبكرة ، وأنا بعد طالب في الكلية البطريركية اللاتينية في القدس ، أذكر أنني ملأت بمنظوماتي ثلاثة كراريس من كراريسي المدرسية ·

كيف كان شعري آنئذ ؟

لم يعد اليوم في ذاكرتي شيء منه · ولكن لابد انه كان أغلبه عبثا صبيانيا ، ولابد أنه كان فيه الكثير من الاخطاء العروضية واللغوية ، وربما الاملائية أيضا ·

المهم أنني فقدته كله ، وأنه كله قد ضاع من ذاكرتي ، وامحى تماما ، والحمد لله !

ثم خرجت الى الحياة ، واستمر حب الشعر يرافقني · فكتبت مع السنين مئات القصائد : في الغزل ، وفي الوصف ، وفي الوطنية · ولم أقنع بذلك ، بل أردت أن أكتب (الملحمة الشعرية) الطويلة · وانصرفت الى ذلك اللون من الشعر ، واستطعت أن أنظم مطولتين ، استغرقت كتابة كل منهما زمنا طويلا : واحدة كانت بعنوان (مدينة السلام) ، نظمتها على مجزوء الرمل ، وجعلتها بحثا جاهدا عن (المدينة الفاضلة) أو (اليوتوبيا) ، ونوعت في قوافيها ، وبلغت في مجموعها ألف بيت – عدا ونقدا !!

والحمد لله أنها لم تنشر ، ولا اطلع عليها غير القليل من الاصدقاء في ذلك الحين · ثم أتلفتها في ما أتلفته في ما بعد من شعري ·

والمطولة الثانية كانت محاولة لنظم التاريخ العربي كله · وما أطول الليالي التى قضيتها ساهرا لنظم تلك المطولة التاريخية ! وقد جعلت القصيدة كلها من البحر الخفيف – كما أذكر – وقسمتها أناشيدا وفصولا · أذكر أنني نظمت منها مئتين وخمسين بيتا ، أو ثلاثمئة وخمسين ، في هذه الحدود · ونشرت أجزاء منها في مجلة (العرفان) الصيداوية ، لصاحبها الصديق المرحوم الشيخ أحمد عارف الزين · في أي عام كان ذلك ؟ لا أذكر الان جيدا ، ولكن ذلك كان قبل النكبة الفلسطينية ، ما بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٤٧ ، ولست أملك الان شيئا من الاعداد التى نشرت فيها تلك الاجزاء فقد بقيت في منزلي في القدس ، ولا أدري الى يد أي شيطان ذهبت ·

تلك المطولة كنت معجبا بها جدا وكنت كذلك معجبا بالاخرى (مدينة السلام) الى زمن ما – ولكنني نشرت منها بعض الاناشيد في (العرفان) ، وأظنني نشرت بعضا آخر منها في مجلة (العقيدة) العراقية ، التي كان يصدرها في النجف الصديق علي الخاقاني · لا أذكر متى كان ذلك : أقبل النكبة أم بعدها ؟!

لكنني الان لا أملك ولو بيتا واحدا من تلك المطولة العزيزة ، ولا أحفظ شيئا منها على الاطلاق · ومن يدري ؟ فلعلها لو بقيت لدي ، لذهبت هي أيضا الى النار مع أخواتها : مع كل ما نظمته من شعر قبل النكبة الفلسطينية ، فقد أتلفته برمته دون اشفاق ، ودون أسف على أنني أحرقت أجزاء من نفسي ، كانت يوما عزيزة علي جدا ، وكنت مخطئا أو مصيبا – أعتبرها أعمالا في القصة من الابداع·

الشعر والنكبة

وجاءت النكبة الفلسطينية ، واكتويت بنارها أنا وأسرتي ككل من اكتووا بها ، وخرجت من القدس لاجئا مع اللاجئين ، وتركت هناك كل ما أملك في بيتي المستأجر في حي البقعة الفوقا ، على خط السكة الحديدية ، غير بعيد عن المحطة · وأعز ما تركته هناك مكتبتي ، وفيها أشعاري ، ومذكرات يومية لي في دفترين ، وثلاثة كتب مخطوطة ·



ترى من من اليهود استولى عليها ؟ وماذا حل بها ؟

ايه يا منزلي هناك ، ما أشد شوقي وحنيني الى رؤيتك !

لم ينج من مكتبتي تلك غير الكتب المهجرية ، فقد كنت حريصا عليها ، جادا في دراستها وكتابة فصول متلاحقة عنها في الصحف والاذاعات المختلفة ، وهي الفصول التي تألف منها فيما بعد كتابي (أدب المهجر) · لذلك أنقذت تلك الكتب القليلة ، وحملتها معي في صندوق صغير بين القليل جدا من المتاع الزهيد الذي استطعت حمله معي من القدس الى عمان ·

وتحول الشعر عندي الى النكبة ، فصارت هي كل وحيي وكل همي · ولذلك جمعت كل ما بقى لدي من شعري القديم وأتلفته · وحينما صدر ديواني الشعري الاول (أناشيدي) عن (دار الرائد العربي) في حماه ـ سوريا ، سنة ١٩٥٥ ، لم يضم قصيدة واحدة من شعري القديم · كان كله من شعر المأساة ، ومن الشعر الذي نظمته بعد وقوعها ، ومنه عدد من القصائد في أولادي ، وقصيدة ذات ثلاثة عشر نشيدا صغيرا عنوانها (في قريتي) ، أعتقد أنني كنت فيها مجددا في أسلوب الشعر وفي تحديثه·

وفى سنة ١٩٦٢ صدر عن (دار الرائد) في حلب ديواني الشعري الثاني (أخي الانسان) ، وكان كذلك جديدا بكل قصائده ·

لقد مات شعري القديم كله : المطولات منه والقصار والمتوسطات على السواء · وأشهد أنه كان فيها قصائد كثيرة عزيزة علي ، ولكنني لم أرحمها، وما زلت غير مفكر في أن أرد شيئا منها الى الحياة لأي سبب ·

وانصرف همي الى ألوان أخرى من الادب ، فكتبت القصة القصيرة ، والرواية ، والنقد الادبي ، والبحوث والدراسات ، وترجمت عن الآداب الغربية شعرا وأقاصيص وروايات · وأصبح للشعر عندي معنى آخر · ومفهوم مختلف ، فأنا لا ألجأ اليه الا عندما يدفعني الى ذلك دافع لا أستطيع مقاومته ، وفي فترات لا أتوقع مجيئه فيها ·

ان الشعر ، عندي ، جيشان في النفس لا يقاوم ، وليس المرء بقادر على أن يخلقه متى أراد ، ولكنه يجيء وحده متى شاء هو ·

وتغيرت كل مفاهيمي الادبية بعد عام ١٩٦٠ ، بعد اتصالي المباشر بالآداب الغربية ، ولا سيما الادب الايطالي ·

لم أعد أومن بالشعر مطولات ، تتكرر فيها المعاني والعبارات مطا وابراز ما كان يسمى بالموهبة ، أو (الملكة الشعرية) ، فالعصر يتطلب الخطرات القصار التي يتألق الشعر في كل لفظة منها ، ويتوهج في كل عبارة وفي كل بيت ·

صرت أومن بالتنويع في القوافي على الاقل ، واذا أمكن ففي الاوزان كذلك في القصيدة الواحدة ، ولكنني أومن قبل ذلك كله بضرورة تقصير القصيدة · القصيدة الطويلة صرت أشعر لها بغثيان ، حتى لو نظمت بحبات من الجواهر النادرة · وفي يقيني أنه لا يطرب للقصيدة الطويلة غير صاحبها ، ولكنها مدعاة لملل الآخرين ·

لقد تجمع لدي الآن ديوان ثالث بعد ديوان (أخي الانسان) ، فيه القليل جدا من القصائد التي تتجاوز الواحدة منها عشرين بيتا ، ولكن أغلبه من الخطرات القصار التي قد يقف البعض منها عند البيتين والثلاثة ، لمجرد تسجيل فكرة سريعة ، أو احساس ابن لحظته · وما عدا ذلك تركته للنشر ، فالقراء أصبر على طول النثر منهم على طول الشعر · وفي النثر يقول المرء بسهولة وحرية ما قد لا يستطيع أن يقوله بشعر جيد يستحق اسم الشعر · ثم أن القصيدة القصيرة أدعى الى عدم التكرار في المعاني وفي التعابير ، وأدعى الى الاصغاء والاستيعاب من قبل المستمعين ، ومن قبل القراء ·

وأنا منذ عدة أعوام لم أعد أكتب الشعر الا بهذا الشكل السريع · وقد يمر بي العام أو العامان لا أكتب حتى الخاطرة ذات البيتين أو الثلاثة ، ولكن قد تمر بي اللحظة ينساب فيها الشعر من داخلي على غير انتظار · غير أنه يظل في حدود الخاطرة السريعة ، بل قد يكون بيتا واحدا أحيانا ، ثم لا أحاول أن أضيف اليه أخا أو أختا ·· (القصيدة) بمفهومها التقليدي انتهى عهدها عندي ، ولست بآسف على زواله · ولذلك أهرب حين أرى قصيدة طويلة ـ من الشعر التقليدي أو الحديث ـ منشورة في ديوان أو في جريدة أو مجلة ·

ولكي أعطي القاريء فكرة عما أوردته هنا ، سأقدم له بعض الخطرات القصار التي نظمتها في الاعوام الاخيرة ، لتكون نماذج على مفهومي الشعري :

١ ـ هدية الزنبق

(كانت جميلة ، وكانت تحمل الى الزنبق وتضعه قرب سريري في المستشفى)

الزنبق من يدك الحلوه
يجلو أسرارك في سره
من خدك يأخذ فتنته
ويضاعف سحرك من سحره
اني أتملى حسنك فيه
وأنشق عطرك في عطره

أنا والشعر

وأداعبه ، وأقبله
كي ألثم ثغرك في ثغره !
(١٩٧٢/٨/١٤)

٢ ـ تحية دمشق

(فوجئت وأنا أزور دمشق في نيسان عام ١٩٧٣ بدعوتي الى المشاركة في مهرجان شعري أقيم هناك . فجاشت بنفسي الابيات التالية ، وكانت هي قصيدتي للمهرجان) .

دمشق هذي ، وهذا نفح واديها
وملتقى الشعر صداحا بناديها
نزلت فيها على شوق ، وأنت بها
دوما شغوف ، على بعد تناجيها
ما كنت يوما غريب الدار منفردا
في جلق العرب ، بل من بعض أهليها
وكم أخ لك فيها ليس يعدله
على المودة ذو قربى تراعيها
يا أيها الاهل في الفيحا تصافحكم
يمناي ، لكن قلبي خافق فيها !
(١٩٧٣)

٣ ـ في الرباط

(في زيارتي للمغرب سنة ١٩٧٤ ، أبى وزير الثقافة الحاج محمد باحنيني الا أن يغمرني بكرمه ، فدعاني الى حفلة عشاء تكريمية في قصره في الرباط ، ودعا معي نخبة من أدباء المغرب . وعلى المائدة جاشت في نفسي الابياب التالية) :

من الشرق ، من داري النائيه
أتيت الى داري الثانيه
فعمان أخت الرباط ، وأنتم
ونحن مودتنا باقيه
وأهلي هناك ، وأهلي هنا
وكلهمو عزوتي الدانيه
جناحين للضاد كنا ونبقى
ووحدتنا الغاية السامية
بلاد العروبة مهما تناءت
تقربها ضادنا الغاليه
(١٩٧٤)

٤ ـ شاعر

(وتسألني : « من أنت ؟ » ... أنا ....)

شاعر يعبد الجمال ويصغى
لنداه ، فيستجيب سريعا
كان عمري مع الغرام ربيعا
وأحب الحياة تبقى ربيعا
(١٩٧٦/١٢/٦)

٥ ـ المشيب والحب

(من وحي العمر ..)

حسبت الهوى للشيب خصما ، فلم أكن
مصيبا ، فان الحب للشيب مطلب
وان الهوى عند الشباب لمتعة
ولكنه في الشيب أقوى وأغلب
يرى في الهوى الفتيان متعة ساعة
وضربا من اللذات يأتي ويذهب
ولكنه في الشيب يصبح مطلبا
عزيزا به تحلو الحياة وتعذب
اذا العيش لم يصحبه حب وصبوة
ونشوة حس ، فهو عيش معذب
وان لم يظل القلب ينبض بالهوى
فلا خير فيه وهو كالقفر مجدب !
(١٩٧٦)

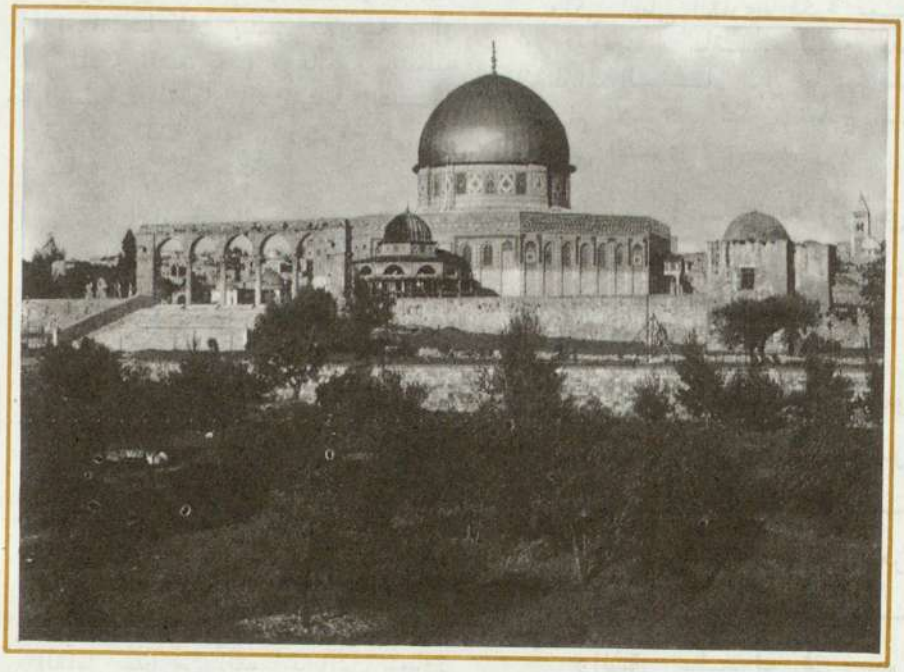
٦ ـ ظباء الشام

(كان البرد لشدته يهيج الحمرة في خدود الحسان الدمشقيات العابرات في الشوارع ، فتبدو كأنها من كرز بلودان ، أو من نوار الغوطة . وكنت أتأملهن من خلف زجاج باب فندق سميراميس في هواء الصباح البارد . وتململت في صدري الابيات التالية) :

يا ظباء الشام رفقا فاني
لين القلب للجمال القرير
كلما شمت طلعة ذات حسن
قفز القلب نحوها في حبور
لابتسام الثغور تسبيح قلبي
وصلاتي لكل وجه نضير
(١٠ شباط ١١٧٧)

٧ ـ جارة الوادي

(ابان مهرجان شفيق المعلوف ، في زحلة ، سنة ١٩٧٧ ، أردت أن أجلس ـ كعادتي من قبل ـ في وادي



البردوني · ولكنه كان حزينا كئيبا ·

وعلى مائدة هناك كتبت الابيات التالية) :

يدمي فؤادي اذ يراك كئيبة
تتجرعين البؤس والآلاما
يا جارة الوادي ومنتجع الهوى
ذهب الهوى الماضي وسار حطاما
وادي العرائش كان يلقاني ، اذا
ما جئته ، متهللا بساما
كان الجمال يموج في جنباته
ويشيع في الوادي البهيج سلاما
كانت ملاهيه ملاعب صبوة
تحيي الهوى وتدغدغ الاحلاما
كانت مثارا للخيال منمنما
يوحي القصيد ويوقظ الالهاما
والكأس في واديك كانت لذة
تطفي اللواعج أو تهيج غراما
واليوم واديك الجميل معطل
لا يستثير الشعر والانغاما
والكأس ما عادت تلذ لشارب
ورؤى الجمال تحولت أوهاما !

٨ ـ السفوح والذرى

الى الذين يجدون مجدهم الادبي في شتمي ، والسنتهم تلهث على بلوغ البعض من بعض سبقي لهم ··

يا قصار الذيول ، أنتم سفوح
تتجنى على الذرى الشماء
والسفوح الاقزام تبقى حضيضا
حين تسمو الذرى الى العلياء
ان طول اللسان لن يمنح القزم
شموخا في القامة النكراء !

(١٩٧٧)

٩ ـ ظمأ

(في زيارة لنبع الفيجة ، قرب دمشق ، تذكرت ظمأ عمان الدائم) ·

هنيئا لأرض الشام سلسل مائها
وجارتها عمان يقتلها الظما !

١٠ ـ عتمة

لا تطفئوا الشمس ، فحسب الدنى
ما في نفوس الناس من عتمة

(١٩٧٩)

١١ ـ الام

(مترجمة عن الشاعر الايطالي ادموند دي أميتشيس) ·

ليس دوما يغير الزمن الحسن
ولا الدمع أو صروف الليالي
فلأمي ستون عاما ولكن
لا أراها الا مثال الجمال

(١٩٧٩)

١٢ ـ حنين

سقى الله أيام الشباب ، فذكرها
يعيد الى النفس الربيع المنمنما
يجدد أحلاما ويحيي مواسما
له الله من عهد جميل تصرما !

(١٩٨٠/٢/٢٤)

هذا اللون من الخطرات الشاعرات هو المرحلة الاخيرة التي وصلت اليها بعد أن بلغت الخمسين من العمر ، وبعد أن تمرست بالشعر الغربي ، ورأيت كيف فقدت القصائد الطوال سوقها في العالم كله ، فلم يعد الشعر عندي كلاما يكتب (للشبع) ، وانما هو احساس يعبر عنه الشاعر باللمحة السريعة المباشرة ، وفكرة تملأ نفسه فيخرجها للناس ببساطة ودون لف ودوران · فالشعر اليوم ليس ابراز عضلات أو ابراز براعة في صياغة الكلام الموزون المقفي ، أو السائب الذي لا وزن له ولا موسيقى ·

لم أعُد أومن بالشعر مطوّلاتٍ ومعانٍ مكرّرة
صِرتُ أومن بالتنويع في القوافي على الأقل
في الأعوام الأخيرة صِرت أكتب القصائد القصيرة

وأما القصائد الطوال التي صار يكتبها شعراء اليوم مغلفة بألف ثوب وثوب من التعابير الغامضة الملفلفة ، ويملأون بها صحائف طوالا ، فليست اكثر من تهاويل يحاول بها الشعراء ـ غير الواثقين من أنفسهم ـ أن يقنعوا أنفسهم بأنهم شعراء ، لا أن يعبروا عن فكرة أو احساس أو صورة في نفوسهم ، فهذه كلها لا تحتاج الى الكلام الكثير ، وقديما قيل : « خير الكلام ما قل ودل » ·

بهذه الاطالة المملة ـ سواء أكان الشعر اتباعيا أم بهلواني الصياغة باسم الحداثة ـ أصبح الشعر شيئا بغيضا الى النفوس ، ويندر أن يقع فيه القاريء أو السامع على قصيدة تريح أعصابه ، أو تدخل على نفسه غبطة لحظة ·

لو اقتنع الشعراء أنفسهم بأنهم شعراء حقا ، لوصلوا الى النتيجة التي وصلت أنا اليها ، من أن الشعر ليس كلاما للشبع ، ولكنه تعبير جميل ، بعبارة قصيرة مباشرة عن فكرة أو حس أو صورة · ومثل هذا التعبير يكفيه الابيات القليلة الشاعرة المعبرة ·

ان الصورة الجميلة ، والفكرة الجميلة والاحساس الجميل ، انما يقتلها الكلام الكثير ، ويقتلها أكثر من ذلك الكلام الملفلف الذي لا يبين معناه ·

هذه عقيدتي في الشعر ، وانني لمؤمن بها كل الايمان ، وأتمنى أن يكثر بها المؤمنون في العالم العربي ، لكي يعود الشعر شعرا ، ويعود فنا جميلا ينعش النفس ويريح القلب ·

د· عيسى الناعوري
عمان ـ الاردن

الناصرة
أقحوانة الجليل

نبيل خالد الأغا

ثلاث صور فاتنة تم وشمها فى ذاكرتى اثناء زيارتى لوطنى الفلسطينى المحتل: صورة القدس الحبيبة وهى غافية بين انامل جبل الزيتون ، وصورة حيفا وهى تناغى جبل الكرمل وأمواج المتوسط ، وصورة الناصرة وهى متربعة بدلال وخيلاء وسط الروابى المحيطة بها .

ان الواقف على اية رابية فى الناصرة لا يملك إلا أن يؤخذ بروعة المنظر وندرته ، حيث يسهل عليه أن يبصر جبل الشيخ وبيسان وطبرية ونهر الاردن شرقاً ، والابيض المتوسط وحيفا وعكا غرباً ، وصفد وجبال نابلس شمالا وجنوباً .

* * *

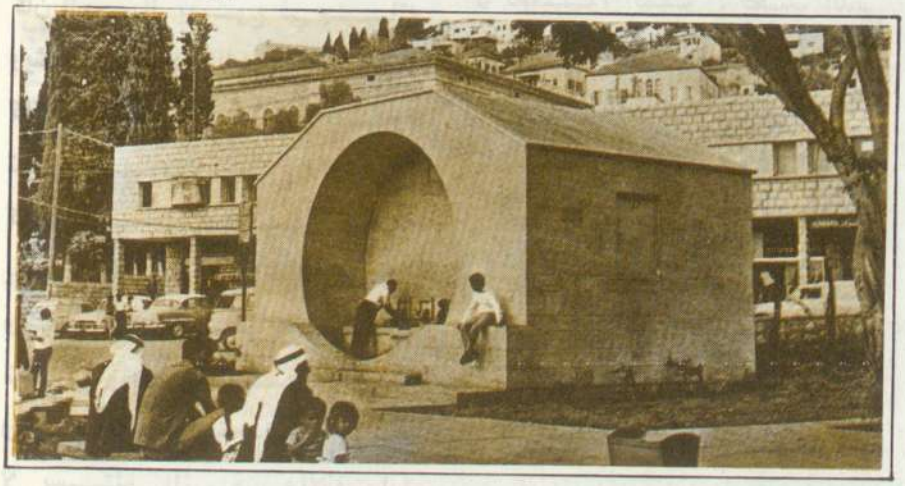
من حيفا انطلقت سيارتنا عبر طريق جبلى الى الناصرة ، السائق يسرع ، وأنا احثه على التمهل فى تسياره ، اريد أن اروى ظمأى برؤية كل شبير من وطنى ، اريد ان اطبع فى الذهن كل صورة ممكنة لبلادى ،فاذا كانت مشيئة الرحمن قد قضت بحرمانى من رؤيتها والعيش فيها فلا اقل من مشاهدتها والتمعن بها مادامت الفرصة متاحة وقد لا تعوض !!

مناجاة زيتونة

فى الطريق مررنا بشجرة زيتون شامخة بهامتها فى احد مزارع البقوليات صحت بسائقنا حامد : ناشدتك الله يا اخى أن تقف بنا الى جوارها .. لقد اثارتنى وحدتها .. وانتصابها فى عالم يكاد لا يحس بوجودها ، ولما اقتربت منها طرحت عليها ارفع التحايا ، ناجيتها ..لثمت اوراقها ! غازلت اغصانها . تحسست حباتها الناعمة المباركة ، وفجاة بدا مرجل الغضب يغلى فى عروقى ويفور ، اوشكت أن احطم الغصن فى يدى نكاية فى عدونا ، ورغبة فى تكبيده بعض الخسائر ولكن بطريقة ساذجة !! وكدت افعلها لولا هاتف هز وجدانى : لا تفعلها يارجل فهذه الزيتونة جزء لا ينفصم من تاريخ امتك ... وتاالله أنها لأكثر عراقة وشموخا واصالة من كل أمواج المهاجرين الصهاينة الذين قذفتهم الى ديارنا كل لعنات التاريخ .. فتقهقرت .. واخذت اناجيها من جديد ، فاكبرت فى اوراقها ديمومة الاخضرار ، وفى جذورها عمق التحدى ، وفى جذوعها روعة الصمود ، وآية الكبرياء .

لقد اشفقت على الفلاح الفلسطينى ورثيت لحاله ، فقد غرسها ولم يظفر بثمارها ، وربما استشهد دونها .

« عين العذراء » بالناصرة



رأيت فى شجرة الزيتون روعة الصمود وقوة الكبرياء

شاعر الناصرة الذى حفر قصته وفصول مأساته على البيادر وقبور الموتى وبيوت الأهالى التى نسفوها

ووجدتني اردد بعضاً من قصيدة الشاعر الناصرى توفيق زياد: "على جذع زيتونة" :

سأحفر قصتى وفصولَ مأساتى
على بيارتى ، وقبورَ امواتى
سأحفر رقم كل قسيمةٍ من أرضنا سُلِبَت
وموقعَ قريتى ، وحدودِها
وبيوت أهليها التى نُسِفَت
وأشجارى التى اقتُلِعت
وكل زهيرةٍ بريةٍ سُحقت

* * *

سأبقى قائما أحفر
جميعَ فصول مأساتى
وكل مراحل النكبة :
من الحبةِ .. إلى القبةِ
على زيتونة .. فى ساحة الدار ....

● ● ●

وواصلنا المسير .. وكان « الجمال الأخاذ » أول عنوان قرأناه على جبين الناصرة ، البيوت « والفيلات » مترامية بهندسة بديعة على الجبال والسفوح ،



مـوقعهـا الاسـتراتيـجى العظـيم كان سـببًا فى تعـرّضها لكـثـير من الأحـداث عـبر رحـلة التـاريخ

وكلها تقريباً ذات علامة « جمالية » مميزة ، حيث الجدران المشيدة بالحجر «القدسى» والمسقوفة بالآجر الأحمر «الكرميد» ، وانتشار أشجار الصنوبر والتين والعنب والزيتون والرمان . وبساتين المشمش الناصرى الذى يتمتع بمذاق خاص يعرفه أهل فلسطين بالمشمش اللوزى.وبمجرد دخولك أحد اطراف المدينة تشعر بطابعها العربى الأصيل الذى تلمحه للوهلة الأولى فى قسمات الوجوه المختلفة ، والاسواق المعهودة ، والازقّةِ التى تشتَمُّ اثناء تجوالك فيها نسمات التاريخ العربى ...

وعندما بلغنا قلب المدينة فتحت لنا بعض صفحات من تاريخها .

وطن المسيح

ذكر ياقوت الحموى فى معجم البلدان «ان الناصرة : فاعلة من النصر ، ومنها اشتق اسم النصارى ». وفى التاريخ القديم لم يرد ذكرها فى مختلف مصادر تلك الفترة . أما اقدم ذكر لها فقد ورد فى الانجيل ، ففيها ولدت سيدتنا مريم عليها السلام التى اصطفاها الله وطهرها واصطفاها على نساء العالمين .. وفيها بُشرت بأنها ستكون أم المسيح .

وفى الناصرة استنشق السيد المسيح عبير النبوة الكريمة .. وقضى ما يقرب من ثمانية وعشرين عاما فى ربوعها .. وإليها نُسب ودُعي بالناصرى ، ودُعى اتباعه بالنصارى ... ولذلك تكثر فيها الكنائس والاديرة ، ويؤمها الحجاج المسيحيـون من كافة بقاع الأرض ، ولقد كان موقعها الاستراتيجى العظيم اضافة إلى مكانتها الدينية السامقة سبباً فى تعرضها لكثير من الاحداث والتطورات سلبا وايجابا .

من الناحية الادارية كانت الناصرة تابعة « لجند الاردن» يوم كانت طبريا قاعدة له . وفى سنة ١٣ هجرية (٦٣٤م) دخلت الناصرة فى حوزة المسلمين حيث فتحها البطل العربى شرحبيـل بن حسنه . وقد ذكر المسعودى فى « مروج الذهب » بأن « المسيح عليه السلام كان بقرية يقال لها ناصرة من بلاد اللجون من أعمال الاردن وبذلك سميت النصرانية ، ورأيت فى هذه القرية كنيسة تعظمها النصارى ، وفيها توابيت من حجارة فيها عظام الموتى يسيل منها زيت تخين كالرب تثيرك به النصارى » .

واستمرت مسيرة التاريخ وعاش فى الناصرة المسيحون والمسلمون « عربا اترابا » متآخين متحابين عملا بأوامر الرسالتين العظيمتين ..

فضيلة التسامح

جاءت الحملة الصليبية المسعورة .. واستولى ادعياء « الصليب » على الجليل بعد سقوط القدس . ولم تسلم الناصرة من كوارث الغزو ومآسيه . وفى

الناصرة
أقحوانة الجليل

عام ١١٠٠ ميلادية « كانت الناصرة خراباً من جراء معارك صليبية أخرى » .

ولم تطل محنة الناصرة .. فسرعان ما انتصر صلاح الدين على جحافل الصليبيين فى موقعة حطين المشهورة عام ٥٨٣ هجرية ، وفتح البطل (مظفر الدين كوكبورى » عاصمة الجليل .

وهنا .. سجل تاريخ التسامح الدينى مفخرة جديدة لبطل حطين ذو القلب الكبير ، فمع سقوط الحملات الصليبية سقطت مخاوف ودعاوى بعض رجال الدين المسيحى من بطش المسلمين .. وسلك صلاح الدين سلوك الخلفاء الراشدين والحكام الصالحين .. فأظهر عطفه على الناصرة وسكانها بما يتلاءم مع نفسه المسلمة الكريمة ، فلم يتعرض بأذى لغير الاعداء والمحاربين ... بل أنه أكد مروءته وتسامحه فعين بعض رجال الدين فى كنائس القدس وبيت لحم والناصرة الى جانب ما كان فى تلك الكنائس من رجال الدين الارثوذكس والسريان واليعاقبة .

بقيت الناصرة بأيدى المسلمين بعد صلح الرملة ، لكنها عادت الى الفرنج مرة أخرى حسب احد بنود معاهدة عام ١٢٢٩ بين الملك فردريك الثانى والملك الكامل ، وتبودلت الناصرة عدة مرات بين الطرفين حتى عام ١٢٦٣ ميلادية حيث هاجمها الظاهر بيبرس ، وبرغم انتصاره وقدرته على تحريرها من المغتصبين إلا أن التاريخ قد سجل عليه نقطة رمادية . تمثلت فى اساءته لسكان المدينة .. وقتله للكثيرين منهم ، بل وهدمه لعدة كنائس وأديرة ... وهكذا أهينت الناصرة على يد الظاهر بيبرس من حيث عزز صلاح الدين تسامحه !!

معيشة طيبة

كسائر المدن الفلسطينية والاكثرية من المدائن العربية دخلت الناصرة فى حوزة العثمانيين فى عام ١٥١٧ ميلادية ، وحتى عام ١٩١٨ ، وخلال تلك القرون الاربعة مرت بالناصرة أحداث تاريخية عدة . ويذكر المؤرخون بأن المدينة المقدسة قد أخذت تلملم جراحها بعد نكبة عام ١٢٩١ ميلادية . فدبت فيها الحياة شيئا فشيئا ... وسكنتها قبائل شتى من الاعراب مسلمين ومسيحيين ، وأول من استقر بها عائلة « يامينية » وهى لبنانية الأصل وتعتبر واسرة «الخليفية» ضمن اعرق الأسرات المسيحية فى الناصرة ... ونذكر منها كذلك قعوار ، جرجورة ، كردوس ، بشارة ، عازر ، بيدس ، فـــارس . ومن ضمن اشهر العائلات المسلمة العريقة فى الناصرة : الفاهوم ، والزعبى وغيرهما .

وجميع النصارى على اختلاف مذاهبهم يقدسون الناصرة ، ويجلونها ، ولا غرو أن ينشئوا فيها العديد من الاماكن المقدسة التى تقدر بخمسة وعشريـــن كنيسة وديرا تخص أغلب الطوائف المسيحية : أورثوذكس ـ ـ كاثوليك ـ لاتين ـ روم ـ موارنة ـ بروتستانت . هذا .. وقد ذكرت الناصرة ٢٩ مرة فى العهد الجديد ، ويقول مؤلف « جغرافية فلسطين » ١٩٢٣ عن الناصرة ما يلى : « المعيشة فيها طيبة ، وفيها مستشفيات واديرة كثيرة تذكارا للسيد المسيح الذى نشأ وقضى معظم حياته فيها ، والناصرة عزيزة عند ٦٦٥ مليوناً من المسيحيين مثل أختها بيت لحم ، وقد دعوا بالنصارى نسبة إليها ، ودعى مخلصهم بالناصرى نسبة الى هذه البلدة التى كانت من أحـط قرى الجليل فى تلك الأيام ، والذى أكسب الناصرة أهمية كبلدة مسيحية قسطنطين الملك عند تنصره ، ومن ذلك الوقت بنيت فيها الكنائس والاديرة ، وأمها الزوار ، واهتم بها الصليبيون وجعلوها قاعدة دينية مهمة لهم » .

وأهم الشخصيات القيادية التى زارت الناصرة : نابليون بونابرت ـ الملك ادوارد السابع ـ الملك جورج الخامس ، الملك همبرت الأول ملك ايطاليا وغيرهم.

أماكن تاريخية

● كنيسة البشارة :

تعود تسميتها الى مقولة شبه مؤكدة على أنها المكان الذى بُشرت فيه الملائكة السيدة مريم عليها السلام بأنها ستلد ابناً وتسميه المسيح . قال تعالى فى كتابه العزيز: « إذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » .



شارع السوق



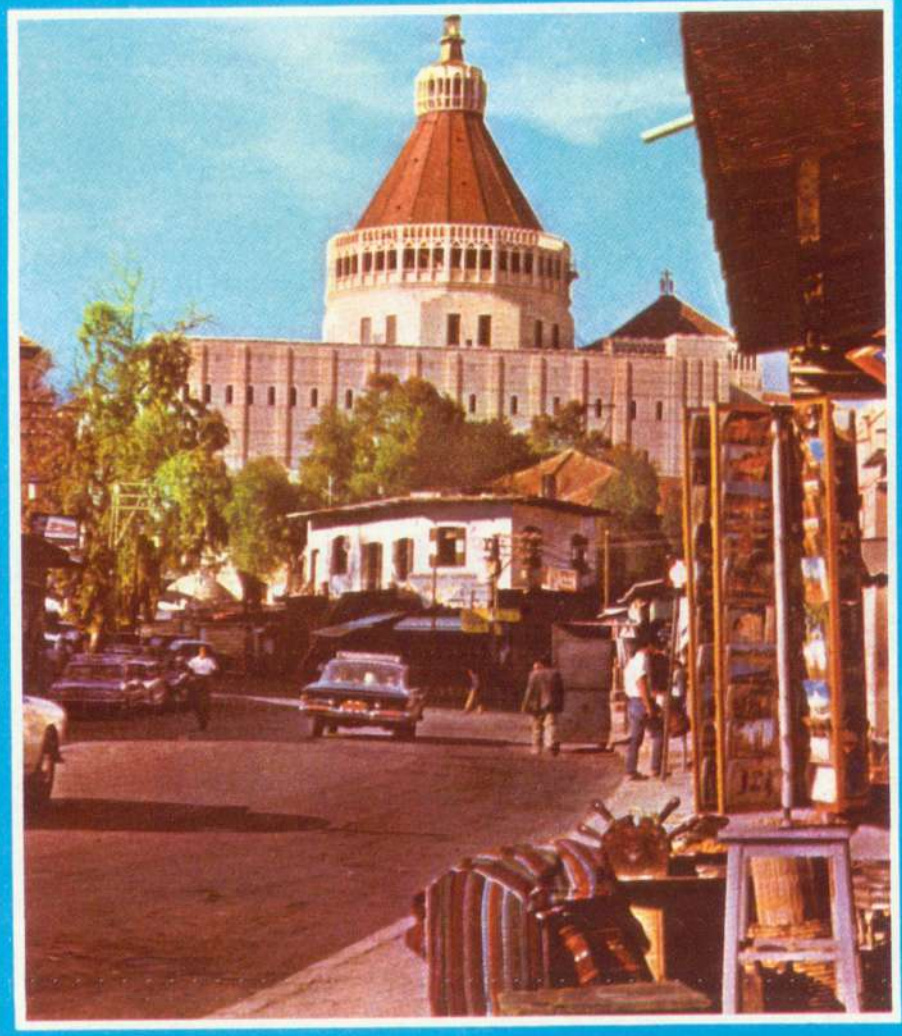
حائط مارى

وقد شيد البناء الأول لهذه الكنيسة فى منتصف القرن الرابع للميلاد ، وكانت احدى اعظم الكنائس فى العالم .. وفى عام ١٧٣٠ شيدت مكانها كنيسة أخرى بقيت حتى عام ١٩٥٥ حينما تم هدمها ثم اعيد بناؤها عام ١٩٦٦ ، وتعد اليوم من أعظم الكنائس فى الوطن العربى ، وهى تحتوى على أشياء مختلفة يعتقد انها تختص بأمور ورد ذكرها فى الانجيل ، وتشتمل بعض أجزائها على اعمال فسيفسائية تعود بتاريخها الى عهد البيزنطيين .

وبقربها يوجد الموضع الذى انتوى اليهود أن يطرحوا منه السيد المسيح الى الاسفل ، لكنه « جاز فى وسطهم ومـضى » كما نص انجيل لوقـــا .

● كنيسة القديس يوسف :

أقيمت هذه الكنيسة فى فترة متأخرة حيث يعتقد بأن مكانها كان حانوتاً ليوسف النجار ، وبيتاً « للعائلة المقدسة» حيث قضى المسيح عليه السلام صباه.



● عين العذراء (بئر مريم) : هو النبع الرئيسى للمدينة ، وقد نسب إلى مريم العذراء لأنها كانت تجلب منه الماء . وتعتقد احدى الطوائف المسيحية بأن الملاك قد بشر العذراء على النبع حينما كانت تملأ جرتها ، ثم اتم البشارة فى البيت .

● كنيسة البلاظة (مائدة المسيح) : أسستها طائفة اللاتين النصرانية فى القرن السادس الميلادى ، وقد جدد بناؤها عام ١٨٦٠ ميلادية ، يبلغ طولها ١٢ قدماً وعلوها ثلاثة أقدام ، ويعتقد انصار هذه الطائفة بأن المسيح قد تناول طعام الغداء عليها مع تلاميذه .

● كنيسة سيدة الرعشة (دير البنات) بنيت على جبل الرعشة أو القفزة عام ١٨٨٢ ميلادية ، ويعود سبب تسميتها الى تقليد نصرانى منذ القرن التاسع يرى أن مريم العذراء عندما علمت بأن اليهود قد مضوا بابنها الى جبل القفزة ليطرحوه من عل،هرولت لتلحق به ولما بلغت المكان وجدت ارتال اليهود عائده فدب الذعر فى قلبها وارتعشت اطرافها ولم يهدأ روعها حتى اطمئنت عليه فسكنت خواطرها وهدأت سورتها .

● دير سيدات الناصرة : يضم عددا من الكهوف التى يعتقد بأنها قريبة الشبه ببيت مريم العذراء والقديس يوسف النجار .

الناصرة .. والانتداب البريطانى

ابان العهد البريطانى الاسود على فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ كان قضاء الناصره يضم ٢٦ قرية عربية . اضافة الى ٢٢ مستعمرة يهودية اثنتان منها فقط انشئتا فى العهد العثمانى ، والبقية انشئت بمباركة بريطانيا ، وسبع بعد النكبة من أهمها : بلفوريا ، العفولة ، رامات دافيد . وكان يقطن هذا القضاء حوالى عشر قبائل عربية صميمة منها : الصبيح . المزاريب ، الحجيرات ، الغزالين ، المجيدات ، الخليفات ، السبارجه وغيرها .

كان عدد سكان القضاء يقدر بسبعين ألف نسمة ، يقطن أغلبهم فى الناصرة . أما قاطنو القرى فهم يعتزون بأن النبى يونس عليه السلام قد ظهر فى ديارهم ، وبأن السيد المسيح قد قام فيها ببعض معجزاته ، وبأن ثراها يضم الصحابى دحية الكلبي بن عامر وغيره من المجاهدين . ومن أشهر قرى القضاء : صفورية ـ معلول ـ كوكب ـ طرعان تمرة ـ المجيدل ـ كفر منده ـ كفركنة .

وبعد هزيمة العرب الأولى عام ١٩٤٨ أزال الصهاينة من الوجود اسماء أربعة من هذه القرى ومن ضمنها صفورية . التى أكتشف فيها دير اثرى على جانب كبير من الاهمية يحيط به سور شاهق . وبداخله كنيسة ضخمة تحتوى على تمثال اثرى رائع للسيدة مريم العذراء ، والسيد المسيح عليهما السلام ، وهذا دليل على اهمية هذه القرية التى يقال أيضاً بأن السيد المسيح وأمه كانا يتجولان بها أحياناً .

وبجوار الناصرة تتواجد غابة صنوبر واسعة اطلق عليها اعداء ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا « غابة بلفور » قدمت كهدية من يهود بريطانيا تخليدا لذكرى اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا وصاحب الوعد التعيس المجلل اسمه بالسواد « وعد بلفور » . وتبلغ مساحة هذه الغابة ٤٠٠ فدان وفيها أكثر من نصف مليون شجرة مغروسة حسب طرق زراعية متقدمة .

جهاد الناصرة

كانت الناصرة فى بدأ الانتداب البريطانى ضمن أكبر مدن فلسطين واعظمها ، وكانت طوال فترة الانتداب فى طليعة المدن التى ناضلت ضد البريطانيين واليهود على السواء ، وسجل « الناصريون » مواقف وطنية عديدة تشهد لهم بالبطولة والاثرة والتضحية .

وتذكر لنا موسوعات النضال الفلسطينى بأنه عندما اعلنت الحكومة البريطانية عن موافقتها على نتائج «اللجنة الملكية » بتقسيم فلسطين شملت البلاد موجات استنكار شديدة أدت الى حدوث تمرد واسع ضد الحكم البريطانى ، وبلغت ذروة الغضب الجماهيرى يووم ٢٦ من سبتمبر عام ١٩٣٧ حينما اغتيل الجنرال د.و. اندروز

الناصرة
أقحوانة الجليل

وكيل حاكم لواء الجليل فى الناصرة وقد اتهمت الحكومة عددا من ابناء المدينة بتنفيذ العملية كان فى مقدمتهم الشاب دياب الفاهوم فعرضتهم لأبشع انواع التعذيب .

وكانت حادثة اغتيال (اندروز) الشرارة التى اشعلت نار الثورة الفلسطينية ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩. وعلى إثر ذلك اتخذ البريطانيون اجراءات صارمة ، فأمرت بحل اللجنة العربية العليا واعتقلت بعض اعضائها ونفتهم الى جزائر سيشل فى المحيط الهندى ، كما أمرت باعتقال ونفى عدد كبير من القضاة والعلماء والزعماء كما يقول استاذنا مصطفى مراد الدباغ فى « بلادنا فلسطين » .

سقوط الناصرة

فى اليوم السادس عشر من يوليو (تموز) عام ١٩٤٨ ميلادية هوى وطن المسيح ، وسقطت المدينة المقدسة فى مستنقع الاحتلال الصهيونى ، وانتصبت رايات الحداد على الناصرة ، وكان حدادها مضاعفاً .. كونها سقطت .. والسقوط وحده يستحق الحداد .. ولكونها لم تأخذ نصيبها فى الجهاد هذه المرة .. وهى أخطر المرات طرا ، فمنذ دخوله الى منطقة الجليل اذاع فوزى القاوقجى القائد العام « لجيش الانقاذ » بياناً فى « راديو جيش الانقاذ » يحث المواطنين الفلسطينيين على تسليم اسلحتهم لقيادة الجيش فى أقرب فرصة لأن الجيش سيتولى مسئولية الدفاع عن الاهالى بل وسحق القوات الصهيونية !!

ولأن الناصريين ما تعودوا غير الصدق ، وما الفوا إلا إياه ، فقد استجاب الاهالى لأوامر « جيش الانقاذ » وسلموا اسلحتهم وانتظروا النصر الموعود .. فجاء بدون معاناة ولكن الذى قطف ثماره هم الاعداء ... لقد كان اسهل سقوط عربى ... واسهل نصر صهيونى إذا استثنينا حرب حزيران الاسود .

يقول المجاهد المرحوم عبد الله التل فى مذكراته « حينما انتهت الهدنة الأولى ونشب القتال ثانية بين العرب واليهود ، أخذ الاعداء يهاجمون جيش الانقاذ بقوات كبيرة تساندها المدفعية الثقيلة والدبابات . وفى يوم ١٩٤٨/٧/٢٦م هوجمت مدينة الناصرة من ثلاث جهات ولم يكن فى المدينة سوى فوج ضعيف تنقصه الاسلحة الثقيلة والدبابات ، وما كادت طلائع اليهود تحتل المشارف المحيطة بالمدينة حتى بدأت قوات الانقاذ تشق طريقها للانسحاب بعد أن وجدت أن المقاومة لا تجدى نفعاً . وحينما رأى السكان الخطر المحدق بالمدينة رفعوا الأعلام البيضاء وتقدم وفد منهم برياسة رئيس البلدية وطلبوا الاستسلام فقدمت لهم الشروط وقبلوها فورا ، وانسحب جيش الانقاذ الى ترشيحا وتم لليهود الاستيلاء بدون قتال على جميع القرى المحيطة بالناصرة ».

ويقول استاذنا انيس صايغ « وبضياع الجليل (وقاعدته الناصرة) فَقَدَ العرب أهم قاعدة لحرب تحريرية شعبية ، كان من الممكن لو بقيت بأيدينا أن تغير مجرى تاريخ القضية الفلسطينية من اساسه » !!

شخصيات ناصرية

لقد انجبت الناصرة العديد من الشخصيات البارزة فى كثير من ميادين المعرفة ، وسنتعرض لذكر ثلاث شخصيات منها :

● خليل بيدس ١٨٧٥ ـ ١٩٤٩ . تخرج من دار المعلمين الروسية ، ثم تولى التدريس وادارة بعض المدارس فى سوريا ولبنان وفلسطين ، فى عام ١٩٠٨ أصدر مجلة « النفائس العصرية » فى حيفا . له عدة مؤلفات فى المجالات الادبية والمدرسية ، وقام بترجمة بعض الكتب والروايات الاجنبية ، كما كانت له اهتمامات خاصة بالقصة ، ويعتبره بعض النقاد الرائد الأول للقصة العربية الحديثة فى فلسطين .

● مى زياده ١٨٨٦ ـ ١٩٤١ هى الكاتبة العربية المعروفة ، والاديبة المحاضرة البارزة ، اسمها « مارى الياس زيادة » والدتها سيدة ناصرية جليلة ، ووالدها لبنانى الأصل من سكان الناصرة ، ولدت بها ، وتعلمت ، ثم انتقلت مع والديها الى مصر . تجيد مع العربية خمس لغات أخرى ، ولها عدة مؤلفات ونشاطات ادبية واضحة ، كانت كزهرة برية فواحة العبير ، تَحَلَّقَ حول ندوتها الفكرية عشرات من كبار الأدباء فى أرض الكنانة ، قال عنها المرحوم مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الازهر : « كانت نصيرة ممتازة للادب تعقد للادباء فى دارها مجلساً أسبوعيا لا لغو فيه ولا تاثيم ، ولكن حديث مفيد وسمر حلو ، وحوار تتبادل فيه الآراء فى غير جدل ولا مراء » . ووصفتها أم المصريين هدى شعراوى بأنها « المثل الاعلى للفتاة الشرقية الراقية المثقفة » .

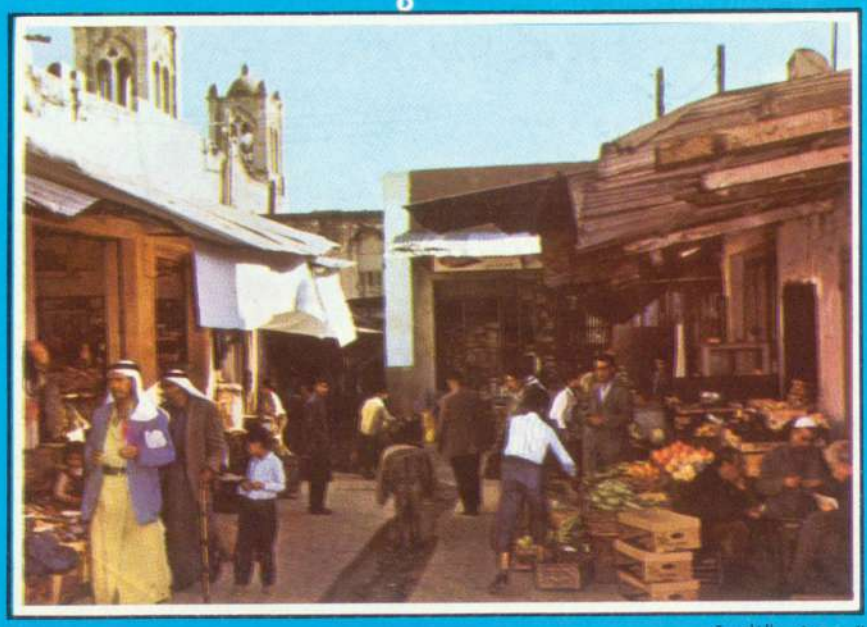
● الدكتور نبيه أمين فارس ١٩٠٦. ولد فى الناصرة ، وتعلم فى القدس ، وحصل على اجازة العلوم من الجامعة الامريكية ببيروت ، فى عام ١٩٣٥ حصل على الدكتوراه فى اللغات الشرقية وتاريخها من جامعة « برنستون » فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وله عدة مؤلفات بالعربية والانجليزية ، وآخر منصب شغله رئاسته لهيئة الدراسات العربية بالجامعة الامريكية بلبنان .

حاضر الناصرة

كانت الناصرة فى طليعة المدن الفلسطينية الأكثر تحضرا وانفتاحاً على العالم ، وقد شهدت فى فجر هذا القرن نهضة علمية وثقافية نشطة ، وورد فى «جغرافية فلسطين» ان « الحياة العلمية فى الناصرة راقية ، ففيها عدة مدارس ، اثنتان للحكومة ، ومدرسة للكاثوليك ، وعدة مدارس للاجانب ، وكانت فيها دار المعلمين الروسية وهى من أهم المدارس الفنية ، وقد أخرجت عددا لا يستهان به من المعلمين الذين تربوا



« مزرعة بلفور » منحة من يهود بريطانيا !



السوق فى الناصرة

على الأصول البيداغوجية الصحيحة » ومن ضمن الذين تخرجوا من هذه الدار بعض الادباء العرب فى المهاجر الأمريكية امثال ميخائيل نعيمة ، ونسيب عريضة وغيرهما .

كما تشكل فى الناصرة أول مجلس بلدى لها عام ١٨٧٥ ميلادية ، وكان طنوس قعوار هو أول رئيس لبلدية الناصرة ، أما رئيس بلديتها الحالى فهو الشاعر المعروف توفيق زياد .

وقبيل النكبة العربية الثانية عام ١٩٦٧ كانت الناصرة أكبر مدينة عربية فى القسم المغتصب من فلسطين ، وهى الى جانب ذلك قاعدة الحياة الثقافية العربية ، ومركزا رئيسيا للحركات الوطنية التى يخشاها الاعداء .

ويبذل الصهاينة منذ فترة بعيدة كثيرا من الجهود لازالة الصبغة العربية للمدينة ، وتشويه هويتها الاصيلة ، لذلك فهم ماضون فى بناء مستعمرة « نانتسرت علت » أى الناصرة العليا تماما كما فعلوا بالنسبة لمدينة الخليل ومستعمرة « كريات اربع » .

وقد اقامت وزارة السياحة الصهيونية مكتبا للاستعلامات السياحية فى الناصرة ، يقوم بارشاد السائحين ، وبتوزيع كميات هائلة من الكتيبات الاعلامية عن المدينة ومعالمها التاريخية .

وكما تمتاز الناصرة بالشوارع والمنازل ذات الطابع الشرقى المعهود ، فهى تزخر كذلك بالمتاجر المختلفة التى تبيع الهدايا التذكارية التى يصنعها الناصريون كالسجاد والاوعية النحاسية والصدفية والخشبية التى يمثل بعضها الاماكن المقدسة فى المدينة . وقد شاهدت كتيبا صهيونيا يدعو السياح لمشاهدة كنائس الناصرة « والتمتع برنين الاجراس التى تدعو الى الصلاة » كما يزعمون .

لقاء مع حسام الدين

وفى أحد أحياء المدينة دخلت الى احدى المكتبات ، وفى الحقيقة اننى دهشت عندما وجدت ارففها مكدسة بمئات الكتب العربية فى شتى دروب المعرفة ، ولم أجد مشقة فى التعرف على « حسام الدين » أحد شريكين يمتلكان المكتبة العامرة .

وأخذ يحدثنى بكل اهتمام عن اوضاعهم المعيشية كعرب داخل الكيان الصهيونى منذ تأسيسه عام ١٩٤٨ ، وتطرق الى القول بأن بقاء الدولة اليهودية فى شكلها الحاضر يواجه خطرا من قنبلة ديموغرافية (سكانية) موقوته من صنع اسرائيل ذاتها أكبر من خطر العبوات الناسفة التى يزرعها الفدائيون العرب .

وقال « حسام الدين » ان عددنا نصف مليون فلسطينى نقيم فى منطقة الجليل وهناك مليون وربع المليون آخرين يقيمون فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، أى أن عدد الفلسطينيين فى « اسرائيل » يقدر بحوالى ١ر٧٥٠ر٠٠٠ نسمة .

ان معدل الولادة بيننا يكاد يكون ضعف المعدل بين الاسرائيليين ، وخذ الآلة الحاسبة لتريك كم من الوقت سيتطلب الحال الذى يصبح اليهود فيه الاقلية .

وهذا ما تخشاه « اسرائيل » على المدى البعيد نسبيا ، وصدقنى لقد اكتشفنا محاولات اسرائيلية « لعقم » الرجال العرب كى يضعوا حدا لازدياد معدل الانجاب بيننا ، ألم تطلع على تصريح الجنرال افيغدور ابن غال حاكم الجليل للاذاعة اليهودية ؟ لقد قال : «...ان النصف مليون عربى من الجليل ينتظرون فرصة للاطباق علينا وخنقنا . انهم يزدادون تشبعا بروح النضال والقومية التى يستمدونها من مواطنى الضفة والقطاع . انهم كلهم يشكلون سرطانا فى جسم اسرائيل » .

قلت له هامسا : أخفض صوتك ياحسام ، الا تخشى بطشهم ؟

هز رأسه بلا مبالاه وقال : لقد سئل القرد مثل هذا السؤال فأجاب : لقد غضبت السماء على القرد فمسخته قردا ، فماذا تتوقعون أن يُمسخ بعد ذلك ؟ !! ولا نامت أعين الجبناء !

● ● ●

فى طريق عودتنا الى خان يونس أخذت اقرأ قصيدة « توفيق زياد » : عشرون مستحيل :

هنا على صدوركم ، باقون كالجدار
نجوع .. نعرى .. نتحدى ..
ننشد الاشعـــار
ونملأ الشوارع الغضاب بالمظاهرات
ونملأ السجون كبرياء
ونصنع الاطفال .. جيلا ثائرا .. وراء جيل
كأننا عشرون مستحيل
فى اللد والرملة والجليل
إنا هنـا باقـــون
فلتشربـوا من البحـــر
نحرس ظل التيـن والزيتـــون
ونزرع الافكار كالخميرة فى العجين
برودة الجليـــد فى اعصابنـــا
وفى قلوبنـــا جهنم حمرا
إذا عطشنـا نعصر الصخـــرا
ونأكل التـراب إن جعنـا ، ولا نرحـــل ..
وبالدم الزكـى لا نبخل ، لانبخل ، لانبخـل
هنا .. لنا ماضى ، وحاضر ، ومستقبـــل .

نبيل خالـد الأغـــا

والت ديزنى عالم الأطفال الجميل!

خيرية البشلاوى

إذا كنت من قطر ، واليوم الجمعة فالقادم ضيف عزيز .. تنتظر معرفته فى حماس الصغار واستعداداتهم .. وفى تلكؤ الكبار أمام «الباب» حتى يكونوا فى استقباله ايضا .. وبابه الذى يدخل منه عادة هو الشاشة الصغيرة ، يتسلل منها باشكال والوان ورسومات وصور وموسيقى وحكاية جميلة عادة ما يشترك فى بطولتها الناس والحيوانات وعناصر الطبيعة والاقدار الطيبة ..

مبدع كل ذلك والت ديزنى .. « الحد الازلى » لكل الاطفال .. صانع « ميكى ماوس » الفار العفريت الذى لا يطالـه الزمن ، ولا تنال منه الشيخوخة رغم عمره البالغ الآن ٥٢ عاما ! .

ونحن نعرف أن والت ديزنى عالم كامل من الخيال والانطلاق الذى لا تحده حدود وسط الغابات والجداول والانهار وبين الحيوانات والمخلوقات الغريبة والاليفة ومع ذلك فلم يكن هذا العالم هكذا مفتوحا بالنسبة لي .

وبكل هذا التكثيف الا من خلال هذه الشاشة الصغيرة الملونة التى انتشرت فى السنوات الاخيرة فى منازلنا .

لقد لفت نظرى فعلا هذه المساحة الزمنية العريضة التى تحتلها أفلام الكرتون والافلام الروائية التى تنتجها استوديوهات ديزنى فى برامج التلفيزيون اليومية هنا . وخاصة فى أيام الجمعة . ولست انكر احساسا بالراحة لوجود هذا الاهتمام الكبير بأفلام الاطفال ، فهى وسيلة ترفيهية تشغل بعضا من أوقات الفراغ عند الاطفال .. صحيح انها ليست الوسيلة المثلى لأن المفروض أن تكون لدينا نحن الاستوديوهات العربية التى تنتج احتياجاتنا من أفلام التثقيف والترفيه . وسائل تعتمد على مادة حياتنا نحن ، وعلى ثقافتنا وتراثنا القومى والعربى .

والدول العربية وبخاصة مصر عرفت الفن السينمائى منذ بداية هذا القرن . ومع ذلك ـ وبعد مرور ثمانين عاما ـ لا يوجد لدينا حتى الآن تيار منظم من الانتاج السينمائى الخاص بالاطفال .. وليس هناك استوديوهات عربية متخصصة فى هذا المجال ، وما رايناه من أعمال قليلة فى مجال الكرتون أو البرامج التليفزيونية الموجهة للأطفال لا يشكل قدرا نستطيع أن نعتمد عليه باى حال ، والبرنامج الوحيد « افتح ياسمسم » الذى يسعدنا يوميا ونهلل له فرحين ، يضعنا نحن الدول العربية على خريطة المستفيدين من الخبرات الاجنبية فى مجال الترفيه ، أعنى أن البرنامج مع تقديرى الشديد للجهد العربى فيه إلا انه مصنوع بالتعاون مع ورشة تليفزيون الاطفال بنيويورك .

وإذا كانت الحاجة هى أم الاختراع كما يقولون ، فما حاجتنا نحن الى الاختراع إذا كنا نتعاطى « الشطائر » جاهزة تحملها لنا الشرائط المعلبة . وإذا كانت الحاجة هى التى « أخترعت والت ديزنى نفسه فما حاجتنا الى « والت ديزنى» آخر اذا كانت مصانع ديزنى مستعدة لتوصيل ما تنتجه حتى المنازل ؟!



ديزنى يأتى بالمفقود

ولنعد الى تجربة والت ديزنى فقد يكون فى ذكراها الهام لنا ونحن نخطو أولى خطواتنا فى هذا الطريق الذى يؤدى بنا الى فن نابع من تراثنا وواقعنا وواقع اطفالنا واجيالنا اللاحقة .

لقد كانت اضافة عنصر الصوت الى فن السينما بمثابة أكبر أزمة واجهت فنانى الكوميديا العظام فى السينما الصامته ، إذ كانت النزعة الفكاهية عندهم تعتمد على الصورة (الحركة المصورة) أساسا وليس على الصوت . أكتشف هؤلاء أن افلامهم تتلاشى ببطء وتتقهقر أمام الميكرفون ، ولم يدعم الحوار هذا الحس الضاحك عند ملك الكوميديا الامريكية ماك سنيت وتجاهل شابلن ملك الكوميديا هذه البدعة الجديدة مؤقتا ، وانتهت عقود باستر كيتون واعتزل هارولد لويد ولارى سيمون ، وهارى لانجدون وتلاشوا فى الظلام .

حينئذ برزت حاجة الكوميديا الى اتجاه جديد ، وظهرت الى الوجود أفلام من الرسوم المتحركة لوالت ديزنى ١٩٠١_١٩٦٧ ، وظهر « ميكى ماوس » لأول مرة عام ١٩٢٨ ، واصبح منذ لحظة ظهوره « المخلوق » المفضل لدى الجماهير .. ومع عام ١٩٣١ بلغ رصيد والت ديزنى من الافلام القصيرة ٩٠ فيلما . ومع كل فيلم جديد يكتشف الجمهور مواهب هذا الفنان والخيال المدهش الذى يمتلكه . وفى عام ١٩٣٣ وقف «الثلاثة دببه الصغار »وملأوا الصالة بالغناء غنوا « من يخاف الذئب الشرير الكبير ؟ » واستجاب الجمهور الى هذه الاغنية استجابة هائلة واستقبلها بحماس شديد ، واعتبرها رمزا رائعا لسنوات الكساد فى أمريكا ، أو رمزا لشجاعة التصدى للنازية الصاعدة فى المانيا ونال الفيلم جائزة خاصة من اكاديمية الفنون ..

وطوال الثلاثينات كانت افلام والت ديزنى تحرز تطورا وتفوقا ملموسا فى مجال الحركة ، واكتسبت المرونة والتلقائية وكل المزايا التى تكمن داخل الحركة واللون والصوت والتلازم الموسيقى مع الحركة وتزامن الصوت والصورة . تعد هذه هى فترة الخصوبة والانجاز الاكبر التى خرج منها « بلوتو » و « جود فى » و البطة « دونالد » .

ويجب أن نلاحظ ان اسهام والت ديزنى الاكبر بالنسبة لفن الرسوم المتحركة ، انما ينبع من براعته الفائقة فى تنظيم واعداد فرقة من الفنانين المتخصصين فى هذا المجال . وقد توقف هو شخصيا عن رسم الافلام بعد عام ١٩٢٨ ، واستخدم مهاراته كفنان مدرب فى استخراج كل طاقات هذه الفرق التى كان يتولى بنفسه تدريبها واعدادها .

وقد استطاع مئات الفنانين بفضل توجيهه أن يخلقوا تيارا متدفقا من الرسوم المتحركة التى تمتع ملايين المشاهدين .

وفى عام ١٩٣٧ قدم لهذه الملايين فيلمه الطويل الأول « الاميرة والأقزام السبعة » . وقد

تيارا متدفقا من الرسوم المتحركة التى تمتع ملايين المشاهدين



الفنان والت ديزنى

كشف هذا الفيلم عن وجود فنان لامع وحرفى بارع تمكن بجهوده أن يقدم لفن الصور المتحركة طرقا جديدة للتعبير ، كما قدم امكانياتا واسعة وجديدة لصناعة السينما . وبعد ذلك بثلاث سنوات يهز جمهوره بفيلم « فانتازيا » (١٩٤٠) الذى كان سيمفونية «الوان» خالصة ترتقى فيها الاشكال والخطوط الملونة وحدها على انغام الموسيقى ، وهو فيلم يسبق زمانه بسنوات وكان هو المحاولة الأولى لديزنى فى مجال الفن التجريدى .

وفى عام ١٩٤١ أضاف فيلم « دمبو » الى جوائز ديزنى جائزة أوسكار خامسة عن أحسن موسيقى والفيلم طويل من الرسوم المتحركة عن فيل صغير يتعلم كيف يطير باستخدام اذنيه الضخمتين كجناحين . وهو فيلم يضم اغنيات جميلة « لاسى الصغير » و « طفلى أنا » و «وعندما أرى فيلا يطير» .

انتاج هوليودى خالص

فن الرسوم المتحركة الذى ابتكره والت ديزنى يعتبر نتاجا هوليوديا خالصا ويظل ديزنى هو الفنان الاكثر شهرة وسط اعلام هذا الفن مثل ماكس فليشر فى أمريكا وجيرى ترنكا وكاريل زيمان وبردكا فى تشيكوسلوفاكيا ونورمان ماك لارن فى كندا ، دانيل كول فى فرنسا ، وريتشارد وليامز فى انجلترا ، وفلادو كريستى وفاترد سلاف ميمكا فى يوغسلافيا وغير هؤلاء كثيرين فى جميع انحاء العالم . والسبب فى شهرة ديزنى وانتشاره الى الدرجة التى تجعله معبود الاطفال ، اليفا لديهم (مثل الشيكولاته والآيس كريم) هو أن ديزنى تحول من فنان مبدع الى فنان صاحب مصنع للانتاج الجماعى يخرج منه الافلام ، ومع المصنع أنشأ ديزنى « معهدا » للتدريب لتخريج الفنانين المتخصصين ، وبذلك تحولت استوديوهات ديزنى الى مؤسسات كاملة لانتاج السلع (أى الأفلام) ولانتاج المبدعين من



كل الشخصيات الغريبة تم إبداعها وتحريكها ببرهافة وإتقان رائع

الفيل الصغير يتعلم كيف يطير باستخدام أذنيه كجناحين!



البطة دونالد .. واحدة من أكثر الشخصيات شعبية فى افلام والت ديزنـــى

كل التخصصات . والافلام تخرج باعداد هائلة ، يتولاها جهاز توزيع يقوم بنشرها على جميع انحاء العالم .

وبعد « الأميرة والاقزام السبعة » بدأ وكان السينما قد عثرت على اكثر فنانيها نقاء . فكل الشخصيات الغريبة فى القصة قد تم ابداعها وتحريكها برهافة واتقان رائع . وكانت الفرق الفنية داخل استوديوهات والت ديزنى أشبه بالفرق الموسيقية الضخمة يقودها مايسترو بارع ، يروى الحكاية المصورة بتناسق موسيقى وباسلوب فاتن وألوان مذهلة وخيال مع لمسات موحية ورقيقة . وتجسدت هذه المواهب جميعها فى فيلمه الرائع « فانتازيا » ، وحتى هذه الخطوة كان ديزنى لا يزال فى مرحلة التطور . وعلى الرغم من انه لم يتول بنفسه رسم أى من هذه الافلام إلا أن افكارها والتصور الكلى لهذه الافكار كانت من وحى خياله وإبداع عمله .

الطبيعة والموضوعات الروائية

فى الخمسينات .. بعد انتهاء الحرب والعودة الى الحياة الطبيعية وبداية الازدهار الجديد كان ديزنى قد دخل مرحلة جديدة من مراحل نضجه الفنى وتطوره وانطلاق خياله فى « اليس فى بلاد العجائب » (١٩٥١) و «بيتر بان » (١٩٥٢) و«السيدة والمتشرد» (١٩٥٥) .

فى هذه المرحلة ايضاً والتفت ديزنى إلى جانبين هامين من الموضوعات الفنية : موضوع الطبيعة ، والموضوعات الروائية .

فى الموضوع الأول انتج واخرج سلسلة من الأعمال المذهلة عن تحولات الطبيعة فى تجلياتها المختلفة .

بابتكار سلسلة من المعدات الفنية اللازمة لتصوير موضوعاته ، ولعمل المونتاج اللازم بعد التصوير (مثلا تصوير عملية تغيير الثعبان لجلده على طول ١٥ ساعة ، ثم اختصار العملية بالمنتاج الى نحو سبعة دقائق ثم الى نحو ثلاث دقائق فقط) اعطتنا هذه المرحلة افلاما مثل « الصحراء والحية » و « انصف نداء الطبيعة» وغيرهـا .

وفى الموضوع الثانى كان بديهيا أن يقع اختيار ديزنى على الأعمال الروائية التى يستخدم فيها « تراثه » الثرى من المنجزات فى عالم الخيال والكشف العلمى وتدريب الحيوانات وطرق اعماق العالم الغريبة . فاختار روايات من نوع « عشرين الف فرسخ تحت الماء » . و «أول من وصل الى القمر » أو « رحلة الى مركز الأرض» وكلها من روايات الخيال العلمى لجول فيرن حولها ديزنى الى اعمال سينمائية تمتزج فيها حقائق العلم ، باشواق الانسان الى المعرفة والى التحرر من أسر قوانين الطبيعة الضاغطة ، كما تمتزج بعجز الانسان عن تجاوز قدراته الفعلية واصطدامه دائما بقصوره أو بأحكام القانون العلمى الصارمة أو باوضاع العلم القاسية .

وبلغت شهرة ديزنى ونجاحه التجارى الكاسح الى درجة مذهلة .. لكن هذا النجاح التجارى هو الذى حاصر امكانيات التطور وأسرها داخل دوامة الكم المتزايد للانتاج فجاءت افلام ديزنى فى المراحل التالية اقل بكثير عن المستوى الذى عرفت به اعماله الأولى رغم لمحات التوهج واللمعان التى تكسب هذه الأعمال الكثير من الحيوية ..

أرض ديزنى

وبدأ ديزنى أكثر اهتماما بالحصول على « مذاق الشيكولاته » اللينة التى تذوب سريعا أكثر من اهتمامه بخلق الأعمال الفنية الكبرى ، تضاءلت كمية الخيال ومحتواه ، فقدم من خلال اعماله عالما نثر فوق سطحه المكسرات والفواكـه المجففة والطازجة ، أما الواقع الحقيقى بكل أشواكه وسخافاته فقد استبعد بحسم ، وكان التتويج النهائى لأعماله التجارية هو اقامة (أرض ديزنى) المكان الذى يهرع إليه الأطفال فى أمريكا ، انها مساحة شاسعة من الاراضى تضم كل الغرائب من الغابات والجداول واشكال اللعب وجميع انواع الحيوانات المفترسة والأليفة والطيور بالوانها الطبيعية وجميعها بالحجم الطبيعى وبأجهزة اليكترونية دقيقة تجعلها أشبه بالحيوانات والطيور الحقيقية ، فضلا عن الالعاب الضخمة «والقلعة» من العصور الوسطى ، والفندق الذى يطل السائح من فوقه على هذه الأرض العجيبة التى تضم أى شىء حقيقى ، حتى ابراهام لينكولن يتحول الى لعبة اليكترونية ضخمة . وحقق ديزنى أرباحاً خيالية من مملكته (أرض ديزنى) التى تركها ورحل منذ سنوات قليلة ، وبقيت حتى بعد رحيله المنجم الذى يدر ذهباً ، وقد بلغت أرباح ديزنى سبعين مليون دولاراً من مملكته عام ١٩٦١ .

من روعة هذا الانتاج اتحفنا تليفزيون قطر بالكثير فى الآونة الاخيرة نشير الى البعض منه لنبين ملامح من هذا الفن الذى ملأ الدنيا وأمتع قلوب ملايين الاطفال فى كل انحاء العالم : من بين هذه العروض :

هروب فوق نهر روجى

نهر روجى الجميل تطل عليه الغابات .. صبى ومعه والده يصطادان الاسماك فى مياه النهر الهادئة .. تنطلق سيارة نقل ضخمة فوق الطريق الاملس يقودها مدرب للفيلة .. انسان بدين طيب ومرح يغنى فى سعادة .. يصاب الاطار بعطل فيتوقف لتغييره . اثناء ذلك يفتح باب العربة

الشمس مشرقة .. والنزهة فى الفيلم تحتضن الحيوانات فى علاقاتها مع الإنسان



الأميرة والاقزام السبعة



إحدى شخصيات والت ديزنى

فيخرج منها أربعة أفيال تقف فى الخلاء بجوار مدربها .. يساعد أحد الافيال فى تثبيت صواميل العجلة وفى تركيبها فى مشهد طريف وضاحك ويمرح الباقون فى عرض الطريق .. بعد الانتهاء تصعد الافيال الى العربة ، ويكتشف المدرب غياب احداها ، فيهرع للبحث عنه . يتجول الفيل الهارب . الباحث عن الحرية عبر الاشجار فى الغابات المجاورة . يتصادف وجود الصبى الذى كان يصطاد مع والده فى المركب . يأخذ الصبى الفيل ويقفز فوق ظهره ، ويتهادى عبر الغابات حتى يصل الى مركب الصيد التى كان محركها قد أصيب ببعض العطل . ويستطيع الصبى بمعاونة الفيل أن يجر المركب حتى يصل بوالده الى الشاطىء . وينتهى الفيلم بأن يستعيد المدرب فيله الهارب ، مثلما يستعيد الصبى ووالده صفاء رحلتهما .

عالم من الصفاء اذن هو ذلك العالم الذى يقدمه والت ديزنى . الشمس مشرقة .. والنزهة رائعة .. والنزهة فى الفيلم لا تكشف فقط عن العلاقة الحميمة بين الاب وولده ، أو بين الانسان والانسان وانما تحتضن الحيوانات فى علاقاتها مع الانسان .. الطبيعة ساكنة وكذلك أعماق الرجل الطيب الذى يعرف كيف يروض الحيوانات ويحبها ، وكيف يصطاد الاسماك وكيف يحول كل الاشياء حوله الى جنة صغيرة وجميلة .

والحدوته بسيطة كما نرى ومناسبة لعقلية الطفل . يستغل المخرج كل الامانيات البصرية التى يتيحها المكان ، لا مكان للشر ، بل سيادة كاملة للحب ، ولا مكان للقبح فكل الاشياء جميلة .. والفيلم هنا لا يعالج مشكلة اجتماعية مثلما تفعل بعض الافلام التى سوف نتعرض لها فى السطور التالية وانما يسعى لتقديم حكاية لا تعقيد فيها

الكلب سموك

وفى فيلم « سموك » وهو اسم الكلب الذى تدور حوله الاحداث ، يقدم الفيلم مشكلة « كريس » الصبى الامريكى الذى يقف على باب الرجولة ويتوق الى المرور عبره بأسرع ما يمكن . وكريس يعيش مع شقيقته فى منزل أمه وزوجها فى بلدة أمريكية صغيرة . لكنه يعانى من مشاعر الوحدة والقلق ، بعد أن مات والده محترقا فى حادث سيارة دون أن يتمكن أحد من انقاذه .

ويضطر « كريس الى الخضوع لأفكار زوج أمه الذى يرفض أن يشترى له كلبا من كلاب الصيد ، بحجة أنه صغير على ممارسة هذه الهواية ، وتستولى على الصبى مشاعر العداء لزوج أمه ، ويتحدى افكاره عندما يعثر بالصدفة على كلب حراسة ضال فى الغابة المجاورة ، وفى السر يأخذه ويتولى بنفسه اطعامه بعيدا عن عيون افراد الاسرة ، ولا يبوح بسر كلبه إلا لشقيقته التى تعاونه . وحين يظهر فى النهاية صاحب الكلب تقوم أخته الماكرة بمناورة طفولية لكى تحتفظ بالكلب لشقيقها .

والفيلم يحاول هنا أن يقدم مشكلة اجتماعية ، ولكن بأسلوب رومانسى ينتهى الى حل مثالى . فكريس بطل الفيلم نموذج للشاب المطيع المتفاهم رغم رفضه لسلوك زوج أمه .. لا ينقصه سوى التجربة وخوض الحياة الحقيقية وحين يقرر الهروب من المنزل يواجه هذه التجربة التى توفرها له الصدفة .. إذ تضطره الظروف الى انقاذ سيدة عجوز كاد يلتهمها الحريق بعد أن تنشب النار فى منزلها ، يواجه كريس الحريق فى شجاعة واستبسال حقيقى . وبعد أن تنجح محاولاته وينقذ الاسرة بالفعل يشعر بالسعادة ، ويتحرر كلية من عقدة الذنب ومن مشاعر القلق ، ويخلص من التمزق الذى كاد يفسد علاقته بأمه وزوجها . الذى يقدمه الفيلم كنموذج للرجل الجاد الحازم فى طيبة ، القادر على التفاهم ، وعلى الحب والعطاء . فهو يستقبل كريس سعيدا بعد أن يعود الى المنزل . وتستقبله الاسرة وسط مظاهر الحفاوة والترحيب الشديد . وفى مواجهة « كريس » يقدم الفيلم نموذجا آخر لصبى ماكر متعجرف يأتى من المدينة مع أمه فى زيارة لخالته (والدة كريس) وأولادها . وفى التصادم بين ابناء الريف والمدينة يقدم الفيلم لحظات طريفة عن مشاكل الاولاد واسلوب التعامل معهم

وككل افلام والت ديزنى تعرض المشاكل بصورة مبسطة طريفة لا تعقيد ولا مأساة إذ أن الاسلوب يعتمد فى الاساس على اسعاد العين ، وراحة العقل ، عن طريق مضمون سعيد مبسط وتصوير متقن يساهم فى تدعيم هذا العنصر الجمالى والطبيعة موجودة ابدا كعنصر اساسى تضيف الى رونق الصورة وحيويتها وبهائها . الشخصيات لا عمق فيها ولا ملامح محددة ولا أثر

في صدورها للمعاناة أو للمشاعر السلبية ، هناك أيضا الحيوانات المدربة تدريباً عالياً التي تدخل في العمل شريكا إيجابيا لا غنى عنه .

هاربان إلى الحب

وفي أعمال والت ديزني تواجه المشاعر السلبية دائما بفيض من مشاعر الحب .. فالمجتمع قادر باستمرار على تجاوز اخطائه ، وقادر على التماسك وعلى سد الثغرات بالاسلوب الأمثل : الحب .

في فيلم « الهاربان » يواجه المشاهد ببطلة الفيلم .. الصبية الجميلة التي تتشابه في ملامحها النفسية مع « كريس » بطل فيلم « سموك » انها في مثل عمره تقريبا .. ومشكلتها أنها تعيش مع زوج أمها أيضا ، وأمها سيدة لا مبالية ولا تولي أطفالها من الزوج السابق ادنى عناية . وعندما تحاول الام التخلص من أحد هؤلاء الابناء الثلاثة بارساله الى بيت لحضانة الأطفال ، تسعى « روزبد » (معناها برعم الوردة) باعتبارها الشقيقة الكبرى الى الهرب مع شقيقها الصغير وانقاذ شقيقها الثالث ثم الهروب جميعا الى صديق لوالدهم في المكسيك .

تخوض « روزبد » مغامرة الهروب ، ثم مغامرة انقاذ شقيقيها من دار الحضانة .

ومغامرات « روزبد » كما يصورها الفيلم مليئة بعناصر التشويق ، فهي فتاة صغيرة تتمتع بارادة وشخصية قوية ، لكنها تعاني من حرمان كامل من مشاعر الأمومة . ومع ذلك تسعى الى تعويض أشقائها عن حنان والدتهم بعطف غامر من جانبها .. وشقيقها الصغير يصاب بالخرس من جراء صدمة نفسية يولدها استهتار الأم التي تستسلم تماما لنزواتها ، وتنصرف مع زوجها الجديد غير مبالين بهم ، سعيدة ببطنها المنتفخة بجنين جديد

حبكة الفيلم اذن مشحونة بكل ما يثير التعاطف ويحرك الوجدان . والاسلوب الذي تعالج به الحبكة يمتلىء بالأحداث والحركة والمطاردات . والفيلم يطرح المشكلة على جزئين وكل جزء يعتبر فيلما مستقلا ، وإن كان مكملا للآخر . وفي الجزئين نلتقي بعناصر متعددة ومتنوعة من قطاعات المجتمع الامريكي المختلفة : الضابط الذي لا يدخر وسعا في البحث عن الهاربين ، السيدة التي تعمل برتبة ملازم في قطاع البوليس ولا تقل كفاءة عن زميلها . الاسرة التي تتسابق لتقديم العون . الاطفال في كل الاعمار كيف يتكاتفون لانقاذ زميلتهم « روزبد » ومعاونتها . الجدة العجوز التي تجسد الحنان مع الطيبة والحزم الشديد . الأب والمجتمع الاسري . الجميع يعيشون فيما يشبه « المدينة الفاضلة » علما بأن الاحداث لاتتم داخل الاستوديو وإنما تستخدم الشوارع والاماكن المفتوحة التي تتيح للحدث مزيدا من الانطلاق .



العربة التي نقلت سندريلا للقصر

والفيلم إذا ما جردناه تماما يقدم مشكلة مجموعة من الاطفال ضائعين بلا أم ولا أب .. وهي مشكلة حقيقية وتهم الكبار رغم دور البطولة التي تضطلع بها صبية صغيرة . لكن مثل كل أعمال ديزني لا يرى الجمهور مشاكل كبيرة وانما تطرح عليه « قصة » مؤثرة سهلة الحل مستساغة كقطعة من الشيكولاته .

الهنود الحمر والزنوج

تعرضت افلام ديزني لهؤلاء البؤساء . ليس باعتبارهم ضحايا ولا أصحاب حق في هذه



ميكي ماوس في أزمة في الغابة

«المدينة الفاضلة» وإنما عاملهم كبشر من كوكب آخر ، ومن عجينة أخرى لا تصلح إلا طعاما للكلاب .

في فيلم (سام المتوحش) يطالعنا هذا السكون الرائع في الريف الامريكي .. حظائر الدواجن النظيفة واسطبلات الخيل بجيادها الرائعة ، منتشرة فوق الارض المنبسطة بلا حدود يعطيها اللون الأخضر الزاهي . المشهد فاتن ، مشحون بعناصر الاثارة المريحة : التصوير ، الالوان الجميلة ، المؤثرات الصوتية المتقنة ، الموسيقى الناعمة ، الكلب (سام المتوحش) وصديق الصبي الصغير في مثل عمر كريس ، وروزبد ، ويتمتع مثلهما كممثل بخاصية الحضور والقبول لدى الجماهير (هناك طاقم كامل من الممثلين والممثلات بمختلف الأعمار لا يعملون إلا في انتاج ديزني)

الاثنان ـ سام الكلب وصديقه ـ يملأن هذه المسافة الشاسعة بمغامراتهما البريئة التي يكشف فيها الكلب عن مهاراته وقدراته في أصطياد فرائسه . ويكشف فيها الصبي عن مؤهلات فارس صغير وقوي ، والصبي يعيش مع شقيقه الاكبر في منزل بجوار المزرعة والحظيرة والاسطبل ، والدهما في مهمة في المدينة . يزور الشقيقان في الريف عمهما القادم من بعيد مع ابنته الصغيرة الجميلة التي تنجذب الى شقيقه الأكبر .. لكنها تذهب مع الاصغر الى رحلة خلوية بعيدا عن البيت والمزرعة فيهاجمهما الهنود الحمر بحرابهم واشكالهم القبيحة ، تنشب معركة بين الولد الصغير ، وبين مجموعة الهنود الحمر ، ويتصاعد ايقاع المعركة في مشاهد تمتلىء بالحركة والترقب والحذر ومحاولة الاضحاك والتفكه على لغة الهنود الحمر وسلوكهم الهمجي ووحشيتهم التي يتصدى لها

عندما تعود الحياة سهلة وجميلة بكل ألوان البهجة .. بلا أحزان ولا فواجع !

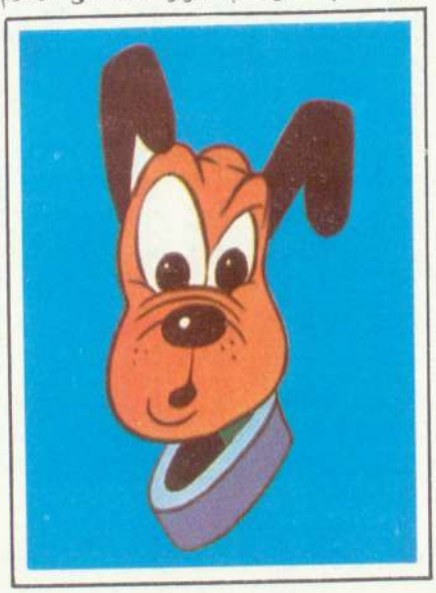
«سام» الكلب المتوحش حين ينضم الى سيده الأبيض ويساعده فى حسم المعركة لصالح هذا السيد . وبعد ذلك يفر من بقى من الهنود بينما تستعيد الحياة هدوءها وجوها الحالم الشاعرى.

لم يترك والت ديزنى مجالا إلا وشارك فيه بانتاجه واذا ما تأملنا هذا الانتاج ككل لاكتشفنا أن أفلامه تجسد نسق القيم الامريكية التقليدية التى نعثر عليها فى أفلام هوليود يتجسد ذلك خاصة فى أفلام الغرب الامريكى التى تحمل اسم ديزنى وقد عرض منها تليفزيون قطر « اتجه الى الشمال أيها الجواد » ، فيه يواجهك نفس الموقف الجائر التعيس الذى يتعرض له الهندى الأحمر . هذا المخلوق « الكريه » الذى يقابله من ناحية أخرى بطل الغرب الشاب الذى يمتطى جواده ويسير عبر البرارى والجبال والاراضى الشاسعة ، ويكشف فى الازمات عن قيم الشهامة والاستبسال والرجولة والكرم الحقيقى . وفى الافلام البوليسية والتى عرض منها التلفزيون فيلم « الكرنفال والصفقة » نعثر على الحبكة التى تضع رجل البوليس داخل اطار من الذهب وتجعله بالنسبة للصغار أبطال الفيلم «المعبود» الذى يتمثلون سلوكه ويقتدون به . ولكن كل هذا يتم داخل نفس التركيبة اللذيذة الذى تهضمها معدة الأطفال بسهولة ويسر واستحسان كبير .

من الخطأ اذن ان نفهم والت ديزنى بعيداً عن المؤسسة الهوليودية ، وعن القيم الاصيلة التى تحكم كل صناعة السينما فى قلعتها الامريكية الخاصة بهذه الصناعة . فلقد اعتادت هذه السينما فى اطارها التقليدى أن تقدم الملامح الجميلة جدا فى الوجه الامريكى . « فالوسامة » فى مضمونها الاشمل والاعم هى الملح الاساسى فى كم الانتاج الهائل الذى نلتقى به . ووالت ديزنى بهذا المفهوم يعتبر فنانا أمريكيا من الطراز الاول . فقد بدأ فنانا مجربا ، متطورا ، مقتحما للآفاق الجديدة المبدعة فى مجال كان جديدا تماما على الفن السابع . وكان فنه نموذجا للفن المجرد الخالص الذى يبتغى المتعة المجردة الذى تنبع من تأمل الجمال بهدوء وراحة وبلا توتر من أى نوع كان . رسوماته الاولى تخلق ألحانا لونية بصرية سمعية تبهر الصغار والكبار أيضا . وتستولى على كل حواسهم ، وهذا التأثير الجامح لافلامه ـ الرسوم المتحركة بصورة أخص ـ مازال باقيا ومازالت هذه الأعمال منبعا لمتعة صافية وشفافة وراقية جدا بالنسبة للصغار ..

وحينما اتجه والت ديزنى الى الجمهور العريض فى أفلامه الروائية واقترب من المشكلات الاجتماعية والنفسية ، فى قول آخر حينما أراد أن يخاطب عقول الناس من كل الاجيال لم يخلق لهم المتعة الذهنية والفكرية التى تعادل المتعة التى يحققها للعين . ولم يكن حريصا بالفعل على أن يقول شيئا ذا بال . ومع ذلك يظل والت ديزنى منبعا لا يمكن الاستغناء

بلوتو .. الكلب الذى لعب أدوارا هامة فى الافلام



عنه يمد أطفالنا بالمتعة التى لا نملك نحن تعويضهم عنها .

هانز برنكر

ورغم ذلك فلم تمنعنا مملكة ديزنى من أعمال رائعة تمتع المشاهد من أن لآخر على المستوى الفكرى والوجدانى .. فقد رأينا هنا فى قطر مؤخرا ، فيلما من جزئين بعنوان « هانز برنكر » وهو اسم الشخصية الرئيسية فى الفيلم ..

وهانز برنكر صبى هولندى عاش فى ريف هولندا منذ قرون ، وهو شاب صغير موهوب ورسام مبدع ، لكنه يواجه أزمة قاسية تجعله يتحمل مسؤوليات أسرته فى سن مبكرة هو وشقيقته التى تصغره قليلا . يصاب والد هانز برنكر بنوع من الذهول بعد ليلة عاصفة ، يجتهد الابن أن يعوض الاسرة عن فقدان المصدر المادى الذى ضاع بسبب اصابة الوالد . يأخذ هانز برنكر رسوماته ويذهب مع شقيقته التى تحمل هى الاخرى انتاجها من فن التطريز الى العاصمة « أمستردام » . هناك يحاول هانز أن يقنع الطبيب الوحيد الذى يستطيع علاج والده أم يذهب معه الى القرية .

وفى المدينة يحكى الفيلم كيف استطاع هانز أن يكتشف لأول مرة عالم الرسامين والفنانين . وكيف شاهد المنزل الذى عاش فيه الفنان الهولندى الشهير ربرانت . كذلك يصطدم هانز وشقيقته هناك بعالم اللصوص . وبسوق المدينة الصاخب ، وبألوان وأشكال من البشر الاثرياء والفقراء . ولكن الغالبية العظمى ممن قابلهم أناس طيبون ، خيرون ، محبون للموهبة الشابة ، وعلى استعداد لمساعدتها عن طيب خاطر .

وفى الجزء الثانى يشترك هانز مع شقيقته فى السباق السنوى للتزحلق فى محاولة لنيل الجائزة المالية التى يخصصها المسؤولون للفائزين . وبالفعل يفوز هانز ليس بالجائزة المادية ، وانما بالتقدير الهائل من اسرة البنت الثرية التى يحبها وتحبه ، أيضا يسترد الوالد الذاكرة على يد الطبيب الهولندى ، وتعود الحياة من جديد سهلة وجميلة ويستمتع هانز النبيل مع اسرته الطيبه بكل ألوان البهجة واليسر المادى .. فلا مجال للنهايات الحزينة ، ولا مكان للفواجع فالنهايات السعيدة ملمح اساسى فى هذه الافلام ... والفيلم هانز برنكر يعتبر من أفلام والت ديزنى البارعة والممتعة فعلا . فقد اتسم هذا العمل بقدرة متطورة جدا من حيث التنفيذ الفنى . وهناك لحظات فى هذا العمل تبلغ فيها هذه القدرة ذروة رائعة من الجمال ...

وفى مشهد العاصفة التى يغرق اثناءها والد هانز ويشترك فى أداء هذا المشهد مجموعة من الصيادين فى محاولة لانقاذ مدينتهم من المد البحرى ، ثم انقاذ والد هانز ، كما يشارك فيه هانز نفسه فى هذا المشهد يبرز عنصر المؤثرات الصوتية والاضاءة التى تعمق الاحساس بالظلام وبالعاصفة ، كما تبرز المهارة فى التنسيق المذهل فى حركة الممثلين ، والتعبير الدقيق الذى يلمحه المشاهد على وجوههم . وفى تقطيع لقطات المشهد واستحضار هذا الموقف الصعب الذى يتم ليلا حيث تتعثر الاضواء شحيحة مع ومضات البرق الخاطف لتسقط فوق المكان ثم ترتد مختفية . هناك أيضا مشاهد السباق على الجليد والحيوية الهائلة التى نفذت بها ، بالاضافة الى الملابس والديكور الذين صمما بمعرفة ووعى بطبيعة العصر . وبحيث تستحضر الفترة التاريخية التى تدور فيها الاحداث .

انه عمل مكتمل العناصر جميل فى ايحائه الكلى وفى جوه الأسرى الطيب .. فى علاقة الحب البريئة بين هانز وصديقته ابنة الاسرة الثرية . فى عملية لسرد القصص التى بدت ناعمة اليفة رغم الجو المأساوى الكامل الذى يسيطر على كل شىء بسبب مرض الأب وفقر الاسرة المدقع ، وما يواجهه هانز من تهديد ضياع موهبته وحبه وربما حياته نفسها ..

ويبقى الأمل

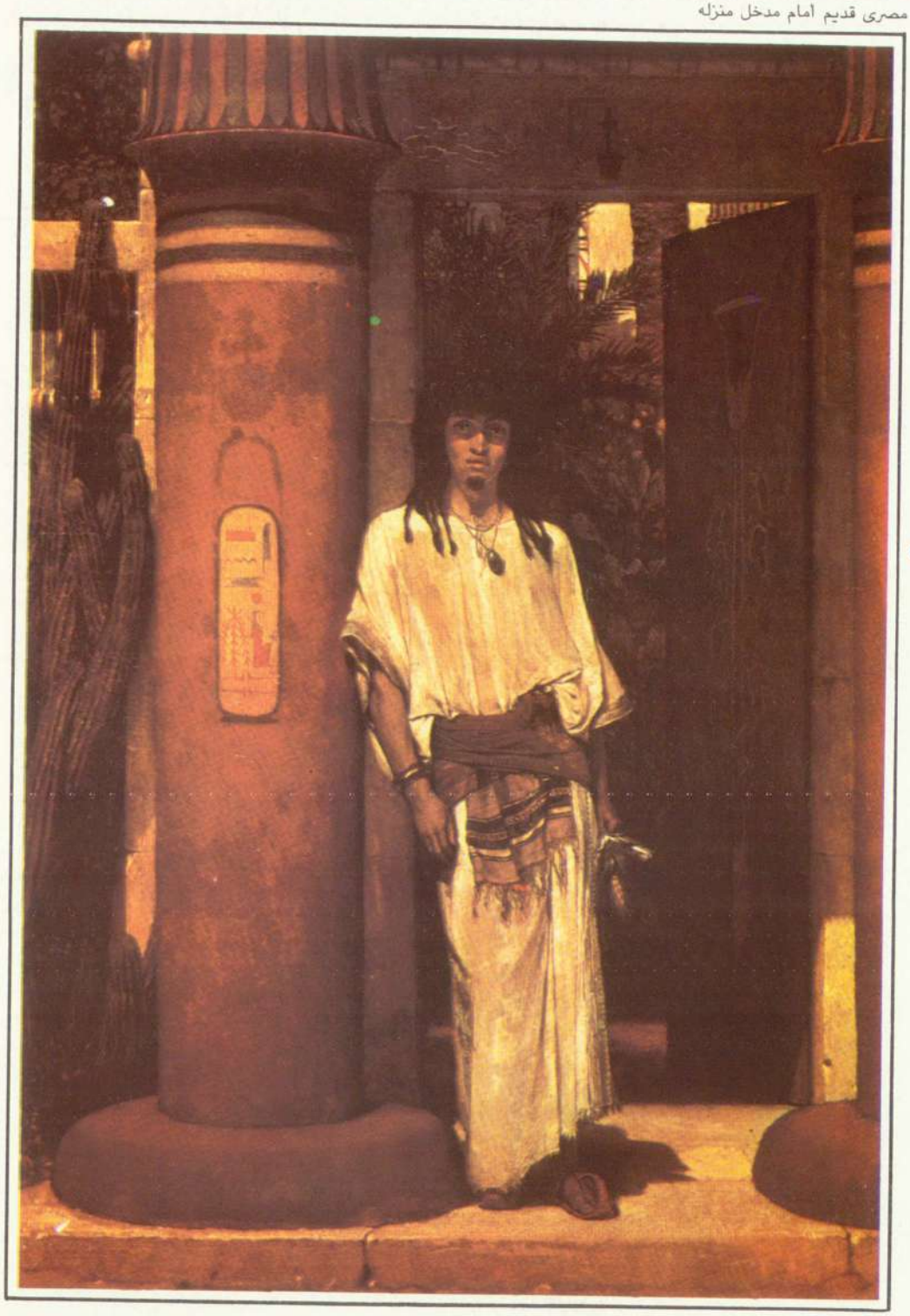
ديزنى وأرضه العجيبة ، وشخصياته الملائكية وحيواناته الغريبة وحواديته الجميلة .. تلك هى حصيلة « الزيارات » التى اعتدنا أن نعيشها أيام الجمعة صباحا على شاشة التلفزيون وهى فرصة لا أنكر فضلها اذا كانت الاشياء المستوردة ، والثقافة المستوردة ، والفكر المستورد هو قدرنا حتى يكون لنا ،ما للعالم المتطور فى هذا المجال ، أو حتى يكون لنا « والت ديزنى » الخاص بنا .. وهو أمل لا أظنه مستحيلا .. !

خيرية البشلاوى

فنان الأشكال المرمرية

أحب تسجيل التاريخ .. وبهرته قصص الكتب المقدسة والأساطير القديمة ، وشغف بالأسلوب الإغريقي الحالم كالأطياف الشفافة

مصرى قديم أمام مدخل منزله



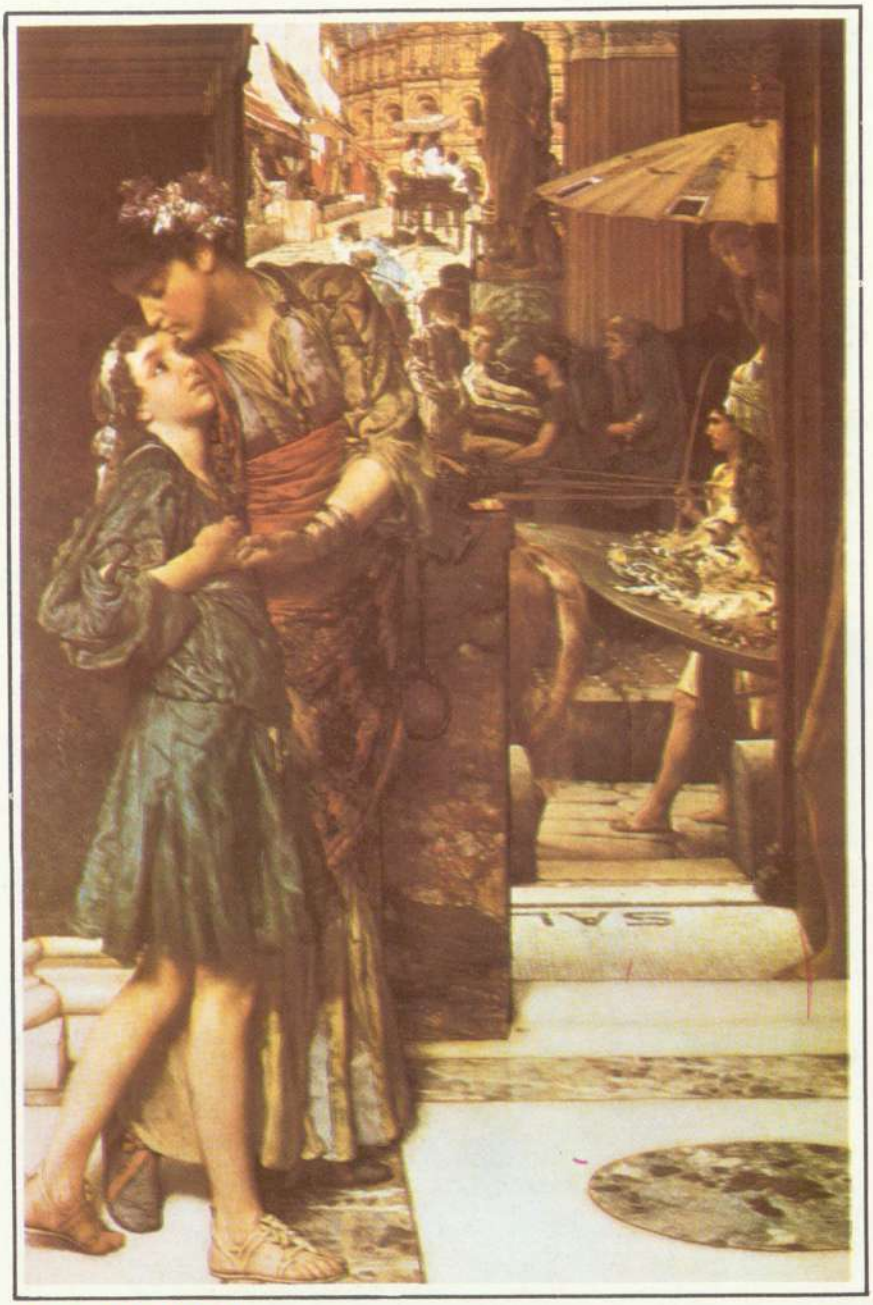
جمال قطب

إنه عبقرية فذة ، تفاخرت بها بريطانيا وهولندا طوال النصف الثانى من القرن الماضى .. إنه فنان التاريخ « لورانس ألما تاديما » .. وقد يبدو من اسمه مايثير الغرابة من بين الاسماء البريطانية ، وهذه حقيقة فان اسمه الحقيقى ألما تاديما ، فهو هولندى الأصل ، وقد أضاف اسم (لورانس) كعرفان بالوطن الثانى ـ بريطانيا ـ الذى أصبح وطنه الأول بعد ذلك عندما ذاعت شهرته كفنان يمثل الفن الفيكتورى فى انجلترا فى القرن التاسع عشر أروع تمثيل .

وكانت هذه الفترة الزاهرة فى حركة الفنون التشكيلية فى بلاد الغرب عامة ، تمتاز بديناميكية الفكر وسرعة المتغيرات الابداعية ، وخاصة فى فرنسا حيث تألقت المدرسة (الرومانتيكية)

● مـلأ الدنيا بإبداعـه حتى حصل على الميدالية الذهبيّة وصار رائداً في الفن الفيكتوري الذي ساد إنجلترا في القرن ١٩

الوداع



بزعامة تيودور جيريكو والتى بدأت فى الظهور بعد عام ١٨١٩ محطمة قيود (الكلاسيكية الجديدة) الناعمة الحالمة والتى فرضت بالارهاب والدكتاتورية .

والرومانتيكية مشتقة من لفظ (رومان) ومعناها بالفرنسية : قصة أو حكاية ، أى أن هذا المذهب يعتمد على المبالغة فى تصوير المشاهد التراجيدية أو الدرامية فالألـوان أكثر اشراقا ، والحركات مبالغ فيها ، والأبطال أعظم بطولة ، والنساء أروع فتنة وجمالا .

انطلاق الموهبة

من هذا المنطلق ، اتجه كثير من الفنانين الى هذا المجال يسجلون من خلاله القصص والاحداث ، سواء أكانت من أعماق التاريخ أو من أحداث الحياة المعاصرة .

وتلقف فناننا (تاديما) هذا الخط ، واتجه بكل ميوله ومواهبه الى أحداث التاريخ ليغوص فى أعماقها السحيقة .. يستخرج لآلئها ودررها فيصوغها فى أروع ما شاهد الشعب البريطانى ـ والعالم أجمع ـ من جمال ومثالية بصرية بلغت حد الاعجاز فى الادراك والحساسية !

ولم يتأثر (تاديما) أو يهتم بما حدث من متغيرات فى مدارس الفن واساليبه فى العاصمة الفرنسية .. وأخذ يبدع بثقة دون أن يخشى اتهامه بالجمود أو التخلف .. وهكذا كان طابع الحياة البريطانية : الاعتزاز بالتقليد المتوارث واحترام التراث والبعد عن الانفعالات الطارئة بقدر الامكان . وإذا كان لابد من التغيير أو التطوير ، فليكن انطلاقاً من اقتناع منطقى دون ثورات بركانية أو هزات عنيفة كما حدث لمسيرة الفن الحديث فى فرنسا .. فقد كانت المعارك مستمرة هناك سيما بعد ظهور (التاثيرية) وما بعدها فى الثلث الاخير من القرن الماضى ، تلتها مدارس الوحشية والتكعيبية والتجريدية بانواعها فالبوهيمية والتعبيرية ثم السيريالية التى فتحت الباب على مصراعيه أمام متاهات التيارات الجارفة من التعبير التشكيلى ، كان فيها المعقول وغير المعقول كل هذه المعارك والفورات حدثت فى أقل من نصف قرن !

على النقيض ـ كما أسلفنا ـ من الفن فى المجتمع البريطانى ، إذ نرى الفن من خلال مسيرته الطويلة يكاد يكون وقورا ملتزما ـ نسبيا ـ لا تؤثر فيه لطمات الموجات المستحدثة ! حتى أن الفنان الانجليزى الأشهر (جون كونستابل) عندما أراد أن يتحرر قليلا عن القواعد الكلاسيكية الجامدة ، فخرج الى الطبيعة يسجل منها مناظره الطبيعية الشهيرة بشىء من التصرف اللونى ودراسة المتغيرات الضوئية اعتبر ذلك خروجا عن المألوف فى عالم الفن فى بريطانيا ! بل وعندما سار (تيرنر) فى ابحاثه الضوئية بتطوير ملحوظ فى مناظره وتكويناته .. وجعلها غارقة فى هالات من الضوء والتالق .. اعتبر ذلك أيضاً ثورة جامحة .. مع ان الالتزام بالواقعية كان مسيطرا إلى أبعد الحدود

وما يقال عن المناخ الفنى حينذاك فى بريطانيا كان هو نفسه فى هولاندا حيث مرتع الصبا والشباب عبر الاجواء الملتزمة التى احاطت بنشاة (الما تاديما) إذ كانت حرية التفكير واختيار الأسلوب متاحاً لكل فنان دون حرج أو معوقـــات ..

فنان الأشكال المرمرية

تسجيل الاحداث

أحب الفنان تسجيل التاريخ فى لوحاته .. وبهرته قصص الكتب المقدسة والاساطير القديمة وشغف بالاسلوب الاغريقى الحالم كالاطياف الشفافة .. وسجل أعماله بهذا الاسلوب الغارق فى النعومة وتاكيد الملمس وإبراز التفاصيل بكل وقائعها ، وشغف بالعمارة الفرعونية والاغريقية والرومانية والجدران والارضيات الرخامية المصقولة فوصل فى رسمها إلى الذروة بمهارة معجزة حتى اطلق عليه لقب (اسطورة الفن الرخامى) او (فنان الاشكال المرمرية) !

وملأ الدنيا بابداعه حتى حصل على جائزة (الميدالية الذهبية) عدة مرات كان أولها عام ١٨٦٤ وآخرها عام ١٩٠٦ ، وهذه الجائزة الرفيعة لاتعطى إلا لأعلام الفن البارزين . وبالرغم من أصله الهولندى (حيث ولد فى ٨ يناير عام ١٨٣٦ بقرية درونريب باحدى مقاطعات فريزلاند الهولندية) إلا أنه يعتبر رائدا فى الفن الفيكتورى الذى ساد انجلترا فى القرن التاسع عشر . وذلك بعد ان استقر فى لندن منذ عام ١٨٦٢ .

وإذا اردنا ان نتعرف على لمحات من حياة الفنان ، فسنرى عائلته ترحل بعد مولده بعامين إلى مدينة (ليواردين) عاصمة المقاطعة ، وبعد عامين آخرين توفى والده وهو لم يزل طفلا فى الرابعة من عمره ، وسيطر على ميول الطفل فى هذه السن المبكرة حبه الشديد للرسم ، وتحكى والدته فى مذكراتها أنها كانت تربط حبلا فى ساقه لتقوده فى الصباح جرا إلى المدرسة حتى لا ينسى نفسه ويجلس على أرصفة الشوارع ليرسم كل ما تقع عليه عيناه .. وكثيرا ما كان يقضى الصبى اليوم كله فى التجوال وهو يرسم ويعود منهكاً مدعياً أنه كان بالمدرسة ..

ومرت الايام ، وشب الفتى والتحق باكاديمية (انتويرب)للفنون الجميلة ، ولاحظ اساتذته هذا الميل الجارف لرسم المناظر التاريخية ، فقربه إليه الفنان الشهير « بارون جوستاف » الذى كان متخصصا فى رسم اللوحات التاريخية والفن التسجيلى الوثائقى ، ونبغ الفتى فى هذا الاتجاه ، ومن المعروف فنياً انه

النزهة



أمومة



● كانت أمّه تربط حبلاً في ساقِه لكيلا يهرب إلى أرصفة الشوارع من أجل أن يرسم !

● ثلاث ساعات يوميًا لدراسة الآثار التاريخية واللغات القديمة

اتجاه بالغ الصعوبة والتعقيد ، ويحتاج لجهد ومقدرة واستعداد فائق . وكانت هذه الاكاديمية الهولندية تضم ثلاثة من كبار الاساتذة المهتمين برسم التاريخ . أولوه جميعهم رعاية وتركيزا على تشجيعه وتفوقه ، وكان يقضى يومياً ثلاث ساعات مع استاذ علم الآثريات الشهير (لوى دى لاتاى) لدراسة الآثار التاريخية واللغات القديمة . وبعد تخرجه ، اسند إليه عمل اللوحات الحائطية الضخمة لقاعة الاحتفالات الرئيسية بمدينة « أنتويرب » مسجلا فيها الأحداث التاريخية الاقليمية ، وقد تعلم من اساتذته ألا يهرب من التفاصيل وبدلا من ذلك يحاول أن يدرسها بكل دقائقها ، وهذه هى أصول الفن الوثائقى الذى يروى التاريخ بكل نبضه وواقعيته!

ستّ وعشرون لوحة عن الحيـاة المصريّة القديمـة بكل مظاهرهـا



صوت الربيع

العمل الخارق

عندما رحل الى لندن عام ١٨٦٢ ، وجد أن متاحف بريطانيا تزخر بالآثار المصرية القديمة عبر عصورها الحضارية المتعددة .. وشهد رأى العيان النماذج الحقيقية من التماثيل والنقوش والرسوم البارزة والغائرة .. فوجد أنها الاعجاز الفنى بذاته! ومنذ أن حظى بمشاهدة تلك الآثار التى طالما كانت تداعب وجدانه وأحلامه ، أوقف حياته وفنه للتعمق فى دراسة الحضارة المصرية الفرعونية .. وابدع (ألما تاديما) وعلى مدار عامين كاملين أقام معرضاً كاملا عن مصر القديمـة ، وعرضه فى صالون باريس عام ١٨٦٤ ، وذهل الفنانون والعلماء ورواد الفكر الانسانى بهذا العمل الخارق .. وحصل على جائزة الصالون الذهبية ، وعندما سئل عن اهتمامه بالحضارة الفرعونيـة أجاب بقوله الشهير :

(إن أول شىء يلقن للطفل فى دراسته عن الحضارات الاولى هـو الحضارة المصرية . بل إننا كلما درسنا منابع العلم أو الفن فى أى دولة أخرى فى العالم وجدنا أن هذه المنابع ما هى إلا روافد لنهر النيل العظيم حيث تقبع مصر على شاطئيه كمنارة الهـدى للبشريـة جميعهـا !

الزوجة الفنانة

رأيناه يبدع ستـ وعشريـن لوحة ضخمة ـ كان بعضها فى حجم حائط كبير ـ عن الحياة المصرية بكل ظواهرها ومئات أخرى من الرسوم التفصيلية لهذه اللوحات الخالدة . وفى عام ١٨٦٣ قدم إلى التراث الانسانى بحثاً مدعماً باللوحات والرسوم والمعلومات القيمة عن الحياة المصرية فى عهد رمسيس الثانى ، مستمدا معلوماته من اساتذة التاريخ المصرى ، ومن وثائق المتحف البريطانى وباقى المتاحف الأخرى .. ومن موسوعة (وصف مصر) لعلماء وفنانى الحملة الفرنسية الشهيرة .

وعندما زار روما ـ لأول مرة ـ مع عروسه عام ١٨٦٣ ليقضى (شهر العسل) بين آثارها ، شغف بالآثار الرومانية واطلع على الوثائق والمخطوطات التى تضمها متاحف ايطاليا ، وكان لابد له من أن يسجل حياة الرومان القديمة فى لوحات كما فعل قبل ذلك مع الحياة المصريـة .

واشتهر (الما) فى العالم أجمع ، وصارت العواصم تهفو إلى عرض أعماله فيها .. وتعددت العروض المغرية لبيع لوحاته (وهى الآن موزعة على متاحف العالم) .

واستطاع ـ بما يدره عليه فنه من ثروات ـ أن يعيش فى أرقى المستويات ، وأن يتخذ نماذج (موديلات) لوحاته من أجمل الحسان .

وعندما توفيت زوجته الأولى وخلفت وراءها طفلتين جميلتين ، استلهم منهما الفنان موضوعات شتى للطفولة ، تمثل فيها الحب والبراءة والانفعال والتعاطف . وتزوج للمرة الثانية بفتاة رائعة الجمال ـ وهى ابنة طبيب بريطانى شهير ـ اتخذها فى نفس الوقت (موديلا) للوحاته ، ولم تكتف الحسناء بذلك ، بل أن حبها للفن والفنان ، جعلها تمارس الرسم وما هى إلا سنوات قلائل ، حتى كانت تعرض لوحاتها فى ركن صغير بجانب لوحات زوجها واستاذها .

وكانت تقول عند توجيه أى نقد للوحاتها المتواضعة : ألا يكفى أننى زوجة لالما تاديما ؟ ألم يكفنى هذا المجد ليغفر لى هفواتى الفنية ؟!

وداع الفنان

وتعددت أعمال الروائع للفنان العملاق .. وعمر العالم بانتاجه الرائد .. وتوالت عليه شهادات التقدير والجوائز والميداليات من كل المحافل الفنية والثقافية .. وإلى أن اسلم الروح فى ٢٥ يونية عام ١٩١٢ عن ستة وسبعيـن عامـا حافلة ومثمرة ، كأروع ما يكون الثمار ، لم يتوقف لحظة عن الابداع فى اخلاص ومثابرة دائبة .

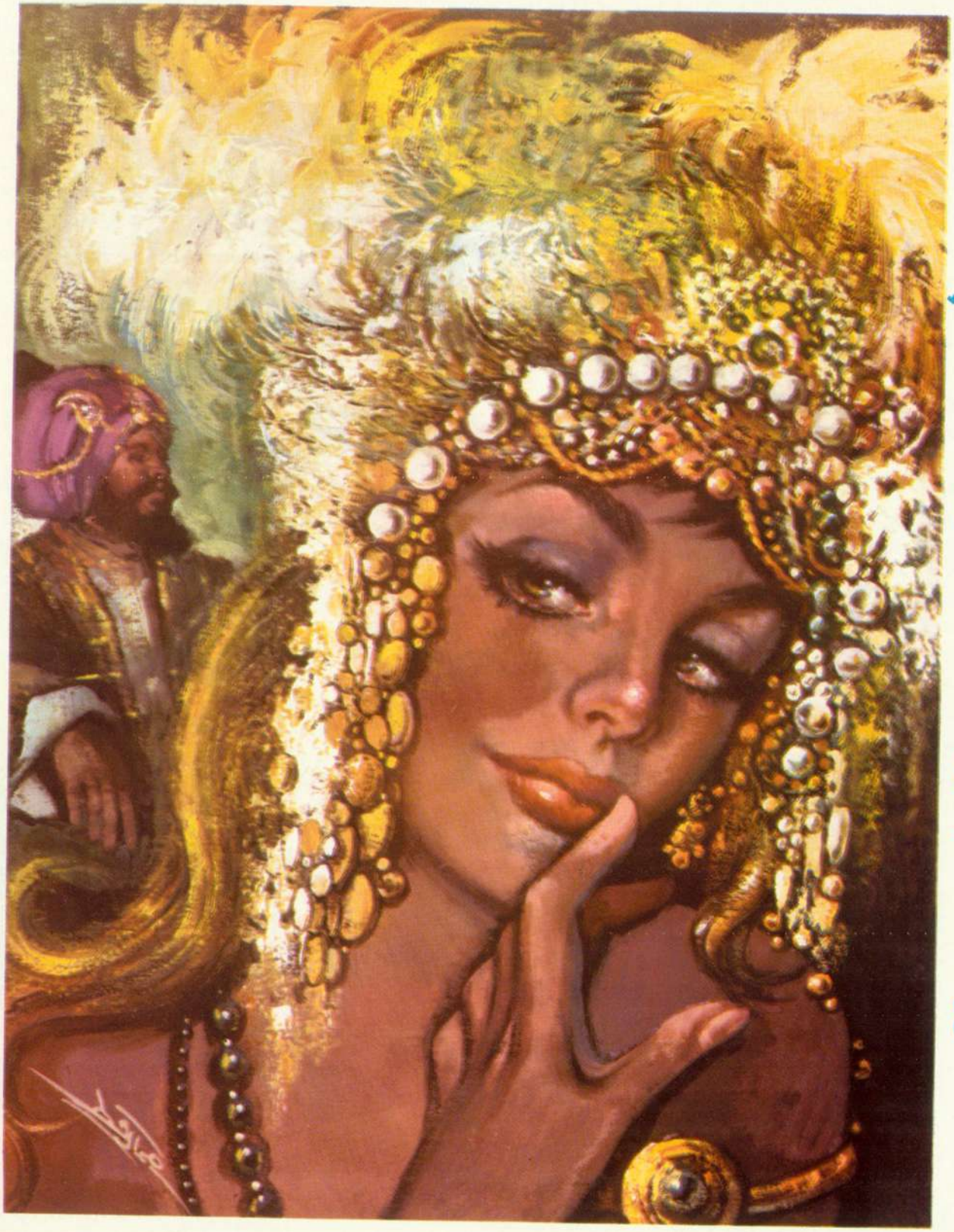
وكانت وفاته فى ألمانيا حيث ذهب للعلاج ، ونقل منها فى حفل مهيب ليدفن فى قبـو كاتدرائية سان بول بجوار عمالقة الفن والفكر فى بريطانيا من أمثال تيرنر ولاندسير ولايتون وبوينتر وهولمان هنت وغيرهم من الأعلام الذين أضاءوا بابداعاتهم الرفيعة سماء الانسانية .

جمال قطب

وقائع عربية

بقلم: محمد المنسي قنديل
رسوم: جمال قطب

الجميلة.. أغنية العشق والشعر والحب



● كانت حقلاً من شقائق النعمان على حافة الصحراء .. وقبراً للشعراء

● كل ملوكها كانوا الملك النعمان .. وكل أيامها يوم للبؤس ويوم للنعيم

(كانت هناك مدينة لم يبنها أحد . ولم تنسب لأحد . وعندما اندثرت لم يبق منها على الرمل أثر . كانت مدينتى . وكان اسمها الحيرة . وكانت شيئا ما .. بين النزوة والكابوس . بقعة من ضوء الشمس وهواء النهر وقطرة من دم شاعر . وحلم كالسيف . ولم أكن متأكدا أهى مدينة .. أم مجرد حلم عابر .. ؟..)

حتى يبقى السر محفوظاً

على سورها أخذت العرافة يدى . وجرحت أناملى . وقالت انتظر فلم انتظر . كان الملك النعمان يبنى قصره ـ الخورنق ـ على أضلاعى المرتعشة . وجاء مهندسه ـ سنمار ـ فقسم الأرض وحاصر الأنهار المتفرعة فى المدينة كأصابع اليد . ثم رص الأحجار . أقام أولا السجون والأقبية وغرف التعذيب . ثم سوى الأرض وبنى خزائن الملك ومستودعاته ودروعه ووصاياه . ثم سوى الأرض . وزرع النباتات الاستوائية الزاهية الألوان كأنها حلم دافىء . ثم بنى ثكنات الحرس ومخازن السيوف والدروع . وبنى الجناح الشتوى ووضع ندف الثلج على النوافذ . وبنى الجناح الصيفى وأجرى النهر على عتباته . ثم بنى قاعة العرش وأحاطها بالدهاليز والابواب الواطئة لتدخل منه كل الوفود وهى منحنية وكان على الملك النعمان أن يدخل قبل الجميع حتى لا ينحنى أمام أحد . ثم ذهب ـ سنمار ـ إلى الملك وقال له فى خبث طفولى .. هنا سر فى القصر يامولاى .. ولعب الملك فى شعره بود شديد وسأله .. ماهو السر ياسنمار .. فسار معه الى السور الشاهق .. وأشار إلى أحد الاحجار وهو يقول .. هذا الحجر يامولاى هو محور القصر إذا نزع من مكانه انهارت كل أحجار القصر .. وأبدى النعمان دهشته من براعة مهندسه .. ووعده أن يكتم السر ثم دفعه بحركة رشيقة ليهوى محطما من فوق السور ويبقى السر محفوظا .. ومن هذه البداية الهزلية .. بدأت رحلتى إلى الحيرة.

حكت العرافة أصابعى الدامية فى الرمل وقالت انتظر .. فلم انتظر .. وأقبل الشعراء فى نفس الميعاد ووقفوا بباب الملك . ستة وعشرون ملكا توالوا على هذه المدينة .. ولم يعرف عدد الشعراء الذين رحلوا إليها وكيف انبثقت أمامهم وسط الصحراء فراوا فيها السراب والملاذ والحلم .. فوحدوا ملوكها فى ملك واحد هو الملك النعمان به تبدأ وإليه تنتهى .. واختصروا أيامها فى يومين : يوم للبؤس .. ويوم للنعيم

كل واحد رآها كما لم يرها الآخر . وعندما عادوا إلى قبائلهم . أعنى الذين استطاعوا أن يعودوا . وصفوها بطريقة مختلفة شكلوا من أحلامهم ألوان بيوتها . ومسرى النهر فى شوارعها . وهمس العشق فى مغانيها وقالوا .. يوم فى الحيرة خير من ترياق النطاسين .. ولطيب هوائها ولنقائها لم يمت فيها من الملوك الست والعشرين إلا ملك واحد .. والباقون ماتوا فى رحلات الصيد والغزو .. ولكن الشعراء كانوا طيور الحيرة المهاجرة .. حلموا بها دون أمل .. وماتوا فيها بلا ثمن .. ومنذ أن نادتهم وهم يسعون إليها دون أن يسأل أحدهم نفسه .. من الذى بنى ذلك الفخ البالغ الجمال .. ؟ .

كانت البداية غامضة

.. أهو ـ أرخيا ـ الساحر بعد أن طرده قومه فلجأ إلى هذا المكان وبنى المدينة على حافة النهر .. ووضع الطلسم على بواباتها من دخلها لا ينساها .. لأن النهر فيها أعذب من كل الأنهار .. والنساء فيها من أجمل النساء .. أهذا هو سر سحرها الأسر .. ؟ .. أم أن الذى بناها هو الملك ـ بختنصر ـ ملك آشور عندما هاجم القبائل العربية التى تسكن فى جنوب العراق ونكل بهم وكان الأسرى أكبر من أن ينقلهم إلى مدينته فوضعهم وأقام حولهم حصنا على رأس الحراس ، ومرت الايام فاختلط الأسرى بالمأسورين .. وتحول السجن إلى موطن .. وبقى فى أعماقها احساس الأسر .. أم أن المدينة كانت ثمرة التيه فى الصحراء عندما خرج ـ أرديشير ـ أحد ملوك الفرس قاصدا بلاد اليمن .. وكان عالما بالطرق والمسالك وظل يسير حتى وصل إلى هذه البقعة فاختلط عليه كل شىء .. وتحير .. ولم يعرف إلى أين يمضى وكيف يعود .. فبقى فى مكانه .. وبنى بيته .. ومدينته .. واكتفى من رحلته بالحيرة .. أيا كان الامر .. سواء كانت المدينة سحرا أو نسجنا أوتيها فى الصحراء .. وسواء اشترك فى بنائها السحرة والاسرى والملوك .. فقد كانت مدينة غريبة بناها كل الذين زاروها .. ووضع فيها كل واحد شيئا ما .. فجاءت من داخل الجميع ..

ثم جاء الملك النعمان .. سوف نختصر فيه كل الملوك لأنه الوجه الآخر للمدينة .. جاء والحيرة بلا ملك .. وفيها ـ عدى بن زيد ـ كاتب كسرى ومستشاره .. ولو شاء لكان ملك الحيرة .. ولحمله الناس على الاعناق . ولكنه كان زاهدا فى الملك محبا لنزوات الحياة البسيطة .. وكان يريد النعمان ملكا .. وسار أولاد المنذر بن ماء السماء إلى المدائن ليختار منهم كسرى الملك .. ونحى عدى ـ النعمان ـ جانبا وقال لهم .. إذا دخلتم على كسرى فالبسوا أفخر ثيابكم وأجملها وإذا دعا لكم بالطعام فتباطأوا فى الاكل وصغروا اللقم .. فاذا قال لكم أتكفوننى العرب فقولوا .. نعم ولكن بعضنا لايقدر على بعض . ليهابكم ويعلم أن للعرب منعة وبأسا .. وكان للنعمان معه شأن آخر .. ثم دخلوا جميعا فى أبهى ملابسهم على كسرى إلا النعمان بوجهه الدميم الأبرش وشعره المتوهج .. دخل بثياب السفر البدوية متقلدا سيفه .. وعندما دعا كسرى بالطعام عظم فى اللقم واسرع المضغ والبلع .. كان قد تحوط قبلها وجاع طول اليوم .. فلما غسلوا أيديهم استدعاهم كسرى رجلا .. رجلا .. فيسأله .. أتكفينى العرب .. فيرد عليه .. نعم إلا أخوتى .. حتى انتهى إلى آخرهم النعمان فسأله .. أتكفينى العرب .. قال نعم .. قال كيف لى بأخوتك ؟ .. قال إن عجزت عنهم فانى عن غيرهم أعجز .. وبدا واضحا أنه لا مجال للمقارنة .. وتمت المكيدة كما أرادها عدى .. ولبس النعمان تاجا مرصعا باللؤلؤ وعاد إلى الحيرة ملكا ..

لعبة كل الشعراء

دخل كل الشعراء إلى المدينة .. ولم يبق إلا أنا لجانب العرافة .. وعبيد بن

وقائع عربية



الابرص جالس بجانب السور ملفوفا فى حرام صوفى وبجانبه أخته ماوية .. سألته ..

ـ ألن تدخل الحيرة يا عبيد ـ؟

حدق فى وهمهم .. لم يحن وقتى .. لم يحن وقتى .. نظرت بطرف عينى إلى ـ ـماوية ـ . عينان كحلاوتان واسعتان .. ولكن عبيد لن يرحمنى .. كان راعيا فقيرا لا يقول الشعر .. ومنعه سيد قوى من ـ باهله ـ عن ورود الماء .. اشترط أن يأخذ أخته مقابل رعى الغنم .. وكان عبيد أضعف من أن يقاوم فترك أغنامه وهرب هو وأخته فى الظلام . ولم يكن هناك أى ضمان الا يطمع سيد آخر .. ودعا كل الآلهة أن تهبه أى قدرة على المقاومة . ونام فى ظل شجرة فجاءت أطياف ـ عبقر ـ ووضعت الشعر فى فمه .. ونهض فاذا هو أشعر العرب .. ودق عصاه فى الرمل وعاد إلى قومه .. تحول من راع الى سيد .. وتحولت بنو أسد من قبيلة نكره إلى قبيلة شريفة النسب والمحتد .. ثم جاء إلى الحيرة ..

كانت لعبة الشعراء قد بدأت . وفتح القصر أبوابه . وخرجت الخيول النافرة . والحيوانات الجائعة . والملك والوزراء وشيوخ القوافل والمغنيات والنخاسون وبائعو القرنفل والبهارات وبعض ضيوف الشرف من الفرس وأسرى الروم وعدة رهبان لا يتبعون أية ملة . وصاحبة أكبر ماخور فى الحيرة . وكبير الكهان .. وبعض نساء الاشراف جئن مع عبيدهن الخصوصيين وممثلون عن قطاع الطرق ومنجمون من بابل .. ويهود يتاجرون فى الاسلحة المهربة . ورحل كانوا يسعون للحج فتاهوا ونسوا . وبعض الرماة المهرة وكانت الشمس مثل ليمونة جافة حادة ومتجعدة . وأحس الشعراء باليتم الحقيقى .. ونفخت الابواق تعلن بدء اللعبة .. وصاح الملك النعمان .. هيا .. فركضت الخيول الجامحة . وزأرت الوحوش .. وتفرق الشعراء كورق الشجر .. وجاءت ـ المتجردة ـ زوجة الملك . جسدها مغطى بقطع الحلى الذهبية المطعمة بالاحجار الكريمة .. فى كل ما يجرى بعيون واسعة .. كأن اللعبة بأكملها تدور داخلها . وصرخ عنترة بن شداد وهو يلهث خائراً .. يامولاى .. طاب صباحك .. وأهلى فداؤك .. أريد مائة من النوق الحمر .. وضحك الملك

ـ أيها العاشق الأحمق .. أى امرأة فى العالم لا تساوى ناقة واحدة ..

وانهالت السياط على عنترة .. كان شجاعا ولكنه كان خائفا .. ولم يفهم أصول اللعبة على الاطلاق .. وعندما باع روحه ذات لحظة غامضة .. وظفر بالنوق وعاد إلى بنى عبس .. وجد عبلة قد ملت الانتظار وهربت مع أحد السادة .. وسافر خلفها ليستردها فوجدها قد ذهبت بمحض إرادتها . وذبح النوق الحمر فغمرت دماؤها الصحراء . ولم يهبط سوى الغربان . تركوا له مائة هيكل عظمى هى كل اطلال حبه .. ذلك الشاعر الاسود المغرور .. لم يفهم أبدا لعبة السادة .. شاعر آخر فهم اللعبة هو ـ المنخل اليشكرى ـ عندما وقف أمام عينى المتجردة .. وأدرك أن الشهوة هى نجاته الوحيدة .. وزاحمه النابغة الذبيانى .. كان موهوبا تعسا مغرورا حمل الشعر فى قلبه وعبر به الصحراء .. ولكن المنخل لم يرحمه . دفع به وسط الساحة تحت أنياب الملك الذى صاح ..

ـ رائع يا منخل .. سوف أقتل النابغة وأبقيك بجانبى فى قصرى . ومجلس أنسى .. ورحلة صيدى ..

وابتسمت المتجردة .. كانت قد ظفرت بنصيبها حتى موعد اللعبة القادمة .. وكان طرفه بن العبد بالغ الهزال . خائر النفس من بداية اللعبة . هجا الملك ولم يعد له أمان .. ولم يهج الملك النعمان على أى حال .. ولكن يكفى أن يهجو ملكا واحدا ليطالبه كل الملوك بالقصاص .. أعطوه رسالة وقالوا له اذهب الى عامل البحرين ليعطيك مكافأتك .. فقرأ العامل الرسالة وقتله . أعطوه خاتما وقالوا اذهب إلى خوله فاسترد قلبك .. وفقد الخاتم وذهب الى خوله فقتلته

.أعطوه مجداً وقالوا اذهب الى قومك يملكونك .. فذهب إليهم بلا مجد فقتلوه .. وضحك الملك من براعة النكتة .. والتفت إلى ــ المتجردة ــ ليقصها عليها ولكنها كانت قد اختفت مع المنخل . وتواصلت اللعبة .. كان الحارث بين ظالم المرى يبحث عن ثأر أبيه .. وكان بارعاً فى التخفى من الخيل .. وبارعاً فى مراوغة الوحوش الجائعة .. وظل يدور طليقاً فى الساحة الواسعة .. وشعر الملك بالملل فأمر الحراس أن يهاجموه وأن ينهوا اللعبة .. ولكن الحارث راوغهم أيضاً واشترى سيفا من مكان مجهول وقتل عددا منهم .. وهاجم الملك يريد أن يخنقه .. وأسرع الحرس ينقذون ملكهم .. وبدا كأن اللعبة ستتحول إلى كابوس فانفض المهرجان قبل نهايته .

انسحب الملك إلى قصره . وانفضت الجموع . كان له نديمان .. خالد بن المضلل وعمرو بن مسعود .. لا يتركانه .. كان فى حاجة ملحة لمن يبرر أعماله ويؤكد صوابها . فى مجلس الأنس كانا يمزجان خمرته بالماء. وفى الصيد يمسكان الغزاله ليرشقها بسهمه .. ويبرران عجزه أمام المتجردة كل التبريرات الفلسفية .. كانا نديمين مثاليين لا يستطيع ملك أن يستغنى عنهما . . كان الملك هذه الليلة متوفزا .. وأحضر الخدم كل ما فى أقبيته من شراب .. ورغم أنه لمح المنخل والمتجردة إلا أن النديمين أكدا له أنه لم يلمح شيئا . وشرب .. ولعن كل قبائل العرب والفرس والروم . ووافقه النديمان . ولعن كل نساء الارض وأقسم أنه ولا واحدة منهن قد أفلتت منه . ووافقه النديمان .. ثم بدأ يقول الشعر . وكان الشراب قد أثقل رأسى النديمين .. سأل ابن المضلل عن رأيه فقال فى صوت حاسم ..

ــ لم أسمع شعرا اردأ من هذا أبدا ..

وفتح الملك فمه مذعورا والتفت إلى ابن مسعود الذى حذره فى عنف ..

ــ كف عن هذه الاشعار السخيفة يامولاى .. أنت لست صغيراً .

وصرخ الملك .. خيانة .. مؤامرة .. طار الشراب المعتق من رأسه .. وجاءت المتجردة مسرعة .. ورتب المنخل ثيابه .. واستدعى الملك الحرس وأمرهم أن يدفنوا نديميه وهما أحياء.. ومرت الليلة على خير ..

ولم يفق الملك إلا فى الصباح .. وأمر الحرس أن يستدعوا لــه نديميه المخلصين .. فقادوه إلى الحفرتين .. وقف مذعورا .. هو الذى فعل هذا .. لابد أن هناك مؤامرة أخرى .. وشعر الملك بالحزن .. بكى بدموع حقيقية .. وأمر فبنوا على كل قبر نصبا عاليا .. وأقسم أن يمر بينهما كل وفود العرب الداخلين إلى الحيرة .. وجعل فى العام يومين .. يوم للنعيم .. من دخل الحيرة فيه قدم له مائة من النوق السود . ويوم للبؤس .. من دخل فيه ذبحه ولطخ بدمه النصبين .. وعندما نهض عبيد بن الابرص وأخته ــ ماويه ــ ودخلا المدينة كــان هــذا يوم بؤس الملك ..

أين يوم النعيم ؟

كانوا فى انتظاره .. الملك والقضاه والجلاد . وحين أشرف عليهم قال النعمان .. هلا كان الذبح لغيرك ياعبيد .. قال .. ــ أتتك بحائن رجلاه ــ فصارت مثلا . قال النعمان ..وما ترى .. ؟ .. قال ــ أرى الحوايا عليها المنايا فصارت مثلا . قال النعمان .. انشدنى فقد كان شعرك يعجبنى .. قال عبيد .. ــ حال الجريض دون القريض ــ . فصارت مثلا . وصاح الجلاد متبرما . ما أشد جزعك من الموت قال عبيد ــ لا يرحل رحلك من ليس معك ــ فصارت مثلا . قال النعمان . قد أمللتنى فأرحنى . قال . من عزيز فصارت مثلا . قال النعمان . انشدنى .. افقر من أهله ملحوب .. قال .. أفقر من أهله عبيد . فليس يبدى ولا يزيد . صرخ النعمان . ياعبيد ويحك انشدنى قبل أن أذبحك . قال .. والله إن مت لما ضرنى وإن عشت ما عشت فى واحد . هتف النعمان . لابد من موتك . لو جاء أبى ودخل الحيرة فى يومى هذا لذبحته .. فأختر طريقة فصد دمك .. إن شئت الأكحل وإن شئت الابجل وإن شئت الوريد . قال عبيد .. ثلاث خصال كسحابات عاد وارهاشه وارد وحاد شر حاد ومعادها شر معاد ولا خير فيها لمرتاد . وإن كنت لا محال قاتلى فاسقنى من الشراب حتى إذا ماتت مفاصلى وذهلت دواهلى فشأنك وما تريد .. وأمر له النعمان بحاجته من الشراب حتى أخذ منه .. وطابت نفسه .. ودعا به ففصــد دمه .. ولطخ به النصبين .. ومضى يوم بؤس الملك كما يمضى كل عام ..

لم تكن الحيرة مدينتى .. ولا النعمان ملكى .. كنت حائرا فيها لا أعرف متى تبدأ النزوة وإلى أين ينتهى الكابوس ؟ .. قالت العرافة لى .. الحيرة أمرأة حرون . عشقها صعب وفراقها صعب .. وأنا أجوس فى أزقتها .. هنا حانة .. وهنا قبر . وهنا قصة عشق . وهنا حادثة أغتيال . وما بين هؤلاء تمتد زهور شقائق النعمان .. قالت لى العرافة .. لا تفكر فى الحيرة .. عشها .. إنها ليست مدينة .. انها حالة من الهوس والعشق والجنون والنشوة .. فقلت أشعارى ورقصت فى الساحات وعانقت الجوارى ونفضت قلبى من رمل الصحراء العالق به .. لم يبق لى إلا أمنية واحدة .. المتجردة .. قلت للعرافه .. يوم واحد من أيامها .. وقبل أن اسمع أى اجابة رأيت خدم الملك وهم يحملون جثة المنخل إلى حافة النهر .. لقد اكتشف الملك الأمر .. وغفر للمتجردة .. ولكنه لم يغفر للمنخل ..

وفى طريق هروبى .. لاقيت الملك النعمان .. وكان يبكى على قبر آخر .. وكانت دموعه حقيقية أيضاً .. قلت له ..

ــ أبيت اللعن .. طاب صباحك وأهلى فداؤك .. قبر من هذا .. ؟ ..

قال النعمان فى أسى ..

ــ هذا قبر صديقى وصفو روحى عدى بن زيد .. أخطأت فقتلته ..

قلت بمرارة ..

ــ ما أكثر أخطاؤك يا مولاى ..

ــ ماذا أفعل وهذا دأب الملوك .. نقتل أولا بدافع السلامة ثم نفكر بعد ذلك من باب اللياقة ..

ثم جلس مهدوداً بجانب القبر .. وأدركت فجأة .. أن من هذا القبر بدأت نهاية النعمان .. وإنه يحفر لنفسه من هذه اللحظة .. قبراً مجاوراً ..

حتى تكتمل الدائرة

منذ أن صعد النعمان على عرشه بمساعدة عدى .. وقد بدأت متاعبه .. يتوقع الملك القادم . يتخيله ويراه فى كوابيسه ويصنع المستحيل ليمنع قدومه . لم يكن عدى فى حاجة للتحريض عليه .. كان بسيطا كثير المآخذ .. وعندما سعى الوشاة لم يكن من الصعب اصطياده ووضعه فى السجن .. وجاء رسول كسرى لينقذه فأسرع النعمان

وخنقه داخل السجن .. وتظاهر بالبراءة الشديدة واسبغ الهدايا للرسول ليصور الأمر كأنه حادث عابر ..

ثم بدأت طقوس الندم النعمانى .. بنى القبر . وذرف عليه الدمع . وظل يبحث عن طريقة للخلاص .. ملأ الحيرة بأشباح القتلى لعل شبح عدى يختفى بينهم .. ثم خرج فى احدى رحلات الصيد ورأى ـ عدى ـ .. لم يكن شبحا .. كان طفلا صغيرا .. حين وقف أمامه مدهوشا .. قال الطفل .. أنا زيد بن عدى بن زيد .. ما أغرب الايام .. أيتها المواريث القاتله .. دمعت عينا الملك .. اكتملت دورة الندم .. سوف يكون الولد كما كان أبوه .. بلا أخطاء قاتلة ..

ورحل زيد إلى كسرى بتوصية من النعمان .. كأنما كان يبعث بالسيف المثلوم للشحذ . ويهيىء النهاية التى تنتظره .. وزيد يكبر . ويزداد اقترابا من كسرى ويحمل ثأر أبيه المغدور به فى صدره .. طائر عطش جريح .

وكان لملوك الفرس صفة من النساء . مكتوبة عندهم يبعثون فى طلب من يكون على هذه الصفة من النساء . إن وجدت حملت لكسرى . ولم تكن تطلب فى بلاد العرب ولا يظنونها عندهم .. ولكن هذا العام قال زيد لكسرى ..

ـ لقد قرأت الصفة وانى عارف بآل المنذر .. وعند عبدك النعمان من بناته واخواته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . وتحمس كسرى لفكرة النساء العربيات . وحذره زيد من أن النعمان قد يرفض متأنفا .. وسار زيد ورسول كسرى إلى الحيرة .. ووقفا يقرآن على النعمان صفة المرأة التى يريدها كسرى .. (معتدلة الخلق . نقية اللون والثغر . بيضاء . قمراء . وطفاء . كحلاء . دعجاء . حوراء . عنياء . شماء . برجاء . أسيلة الخدين . شهية المقبل . جثلة الشعر . عظيمة الهامة . بعيدة مهوى القرط . عيطاء . عريضة الصدر . كاعب الثدى . حسنة المعصم . لطيفة الكف . سبطة البنان . ضامرة البطن . خميصة الخصر . رابية الكفل . لفاء الفخذين . مشبعة الخلخال . قطوف المشى . مكسال الضحى . سموعا للسيد . رقيقة الأنف . عزيزة الانف . لم تغد فى بؤس . حبيه . رزينة . كريمة الخال ..)

ولم يدعه النعمان يكمل .. هذه أوصاف امرأة خيالية .. والحيرة مليئة بكل شىء إلا الخيال .. قال الرسول ..

ـ أليس فى ـ فارس ـ طلب الملك حتى يطلب منى ..

وتظاهر زيد بتفهم الموقف .. ولكنه نقل صورة عكسية لاعتذار الملك حملها الرسول معه وعاد زيد آسفا . وقال لكسرى ..

ـ كنت قد أخبرتك يا مولاى بضنهم بنسائهم عن غيرهم .. إنهم يختارون الجوع والعرى عن الشبع والرياش .. ويعيشون وسط ريح السموم عن طيب أرضك .. بل ويسمونها السجن .

ولم يتصور كسرى أن النعمان يجرؤ على رفض طلبه . وعندما عاد بقية الرسل فاشلين دون أن يعثروا على امرأة واحدة بهذه الصفة .. تضاعف ذنب النعمان .. وصاح مهددا ..

ـ لقد أرادها لنفسه . وسوف يصير أمره إلى خراب ..

وحملت الريح المسافرة التهديد الى النعمان . واهتزت الحيرة بين قدميه دون أن يفهم ماذا حدث بالضبط . وأدرك أنه قبل أن يعرف سوف يكون كسرى قد ظفر به .. وحين جاء خطاب يطلب منه التوجه إلى المدائن انفضت الحاشية وهرب الوزراء .. وتلبث الشعراء قليلا ثم فروا .. وجمع النعمان أمواله وسلاحه وانتظر حتى ساد الظلام ثم فر من الحيرة

ضائع بين القبائل

هرب من نفس الطريق الذى هرب منه الجميع من غضبه .. واستغاث بنفس القبائل .. وتلقى نفس الرد .. ذهب إلى جبل طيء . كان متزوجا منهم وتوسل إليهم أن يحموه .. ولكنهم قالوا ..

ـ لولا صهرنا لك لقتلناك .. لا حاجة لنا فى معاداة كسرى ..

وعاد إلى الصحراء . بين كل القبائل التى طالما سارت إليه وفودها .. تقدم الطاعة وتطلب الرضى .. أبيت اللعن . طاب صباحك وأهلى فداؤك .. بنو عبس رفضت . وأسد طردته قبل أن يطأ المضارب . وذبيان سرقوا دروعه . وغطفان أكرمته ليلة واحدة ثم طلبت منه الرحيل فى الصباح .. طاب صباحك وأهلى فداؤك .. من دخل الحيرة فهو آمن .. لا سيف يرفع .. ولا ثأر ينال .. الكل فى حماية الملك .. والملك فى حماية من ؟ ..

ذهب إلى ذى قار . بنى شيبان وصديقه الأخير هانىء بن مسعود وبعد ذلك الطوفان .. لم يحن وقت الطوفان بعد .. أجاره هانىء .. ولكنه قال له ..

ـ أنا مانعك مما أمنع نفسى وأهلى وولدى منه .. ولكن ذلك لا ينفعك لأنه مهلكى ومهلكك .. وعندى رأى آخر ولست أقوله لأقصيك عنى .. ولكنه الصواب ..

وارتعش النعمان .. وواصل هانىء ..

ـ كل شىء يمكن أن يكونه الرجل .. إلا أن يكون بعد الملك سوقة .. والموت نازل بكل أحد .. ولئن تموت كريما خير من أن تتجرع الذل أو تبقى سوقة بعد الملك .. هذا إن بقيت .. فامض إلى كسرى واحمل إليه الهدايا ومالا والق بنفسك بين يديه .. فاما إن صفح عنك وعدت ملكا عزيزا .. وإما إن أصابك الموت .. خير لك من أن يتلعب بك صعاليك العرب ويتخطفك ذئابها وتأكل مالك وتعيش فقيرا مدحورا .. أو تقتل مقهورا ..

كأن هناك حل آخر .. ؟ .. ضاقت الدنيا ولم يعد له نجاة إلا فى المدائن .. إنه الآن محكوم عليه بالاعدام دون أن يعرف السبب .. لو عرف .. هل يمكن أن ينجو .. ؟ ..

وحمل الهدايا .. والأمل إلى المدائن .. وعندما دخل سورها وأحاط به الأكاسرة ورأى زيد بن عدى .. أدرك أنه لم يحمل إلا الأمل الكاذب .. كأنما نهض عدى من قبره يطالبه بالقصاص .. وزيد يقول له فى سخرية .. انج يانعمان إن استطعت النجاة .. قال بمرارة .. أوفعلتها يا زيد .. اما والله لئن عشت لأقتلنك قتلة لم يقتلها عربى قط .. ازدادت سخرية زيد .. امض لشأنك يا نعمان .. ربطت لك أخية لا يقطعها المهر الشارد ..

غريبة هى المدائن عندما تأتى إليها مطاردا .. كسرى غاضب لا يسمح بالايضاح ولا بالتوسل .. وقساة هم الأكاسرة وهم يدفعونه إلى السجن .. لماذا أجل قتله مادام قد بيت النية على ذلك ؟ .. كان السجن فى مكان موحش خارج المدائن لا يوجد على اسواره حراس .. بوابة ضخمة وقبو مظلم .. أدخلوه فقط من الباب ثم فروا هاربين .. وسار وحده فى سرداب طويل رطب .. وسمع أصواتا غريبة كقرض الفئران .. وصوت أنين غامض .. ثم صوت



ضحك خافت واهن كأنه بكاء .. ما كل هذا ؟

– أيها القادم التعس مرحبا بك بيننا .. فى البداية ستتعذب قليلا .. ثم تتعود .. ثم تذوى .. ثم تموت ..

والتفت فى ذعر .. لم يعرف من أى اتجاه كان الصوت قادما .. صرخ ..

– أنا الملك النعمان .. من أنتم .. ؟

قال نفس الصوت فى مرارة ..

– نحن المرضى المتحضرين .. والطاعون لا يفرق بين الملك والعبد ..

..... كانت الحيرة تعانى هى أيضا من طاعونها الخاص .. والصحراء تزحف إليها .. والجرذان أول من تفر .. والرمل يطمر كل ذكريات العشق والهوس والجنون وقبور الشعراء ومغانى الجوارى والنهر يناى بعيدا .. يشق له مجرى آخر .. يترك الحلم فريسه للصحراء التى لا ترحم .. ليسود الرمل .. كما كان .. وكما سيكون للأبد ..

فالوداع .. الوداع أيتها الحيرة الغريبة .. لعلى القاك ذات مرة .. وأعشقك من جديد ..

محمد المنسى قنديل

دفاع عن رجل محترم لأسباب لانود الكشف عنها!

عبد الوهاب الأسواني

اذا فتحت الصحيفه او المجلة رايت صورته ، واذا مددت يدك الى مفتاح المذياع سمعت صوته ، اما اذا فتحت التليفزيون فستجده امامك (شخصيا) يتكلم عن نظريته في علم الاقتصاد التي وضعها في ثلاثه مجلدات كبيرة، واستغرق في كتابتها خمس عشرة سنة ..

المتخصصون في علم الاقتصاد قراوا المجلد الاول فقط ، ورفضوا تكملة القراءة بحجه ان (النظرية) لا ترقى الى المستوى المطلوب .. لكن اقاربه واحبابه قالوا ان خيال علماء الاقتصاد المحدود - باعتبارهم من نتاج عصور التخلف - لا يستطيع ان يحلق الى المستوى الرفيع الذي بلغه « الاستاذ » ومن ثم فان الامر يحتاج الى فترة طويله من الزمن حتى يظهر جيل جديد من علماء الاقتصاد يستطيع ان يقيم فتوحاته في هذا المجال ..

يستدرك اقاربه بان الجيل القادم نفسه لن يستطيع ان يعرف ما استغلق على فهم المعاصرين ، حيث انه نتاج للجيل المتخلف الذي سبقه، ومن هنا فلا امل ايضا في الجيل الذي يليه لانه سيكون نتاج هؤلاء ، وهلم جرا حتى قيام الساعه !

واحد من علماء الاقتصاد اشبان قال بلهجة غير مهذبة : ان «الاستاذ» لم يقدم لمكتبه العربيه صفحه واحدة ذات قيمه في علم الاقتصاد ..

لكن اقارب الاستاذ - واحدهم رجل اعمال يملك الملايين ويفهم في الاقتصاد ، قال : ان هذا الحكم الذي اصدره العالم الشاب غير منصف . لان كتب الاستاذ في علم الاقتصاد منتشرة في جميع انحاء العالم العربي ولولا وجودها - كما يؤكد رجل الاعمال بحكم تخصصه - لحدث خلل في اقتصاديات المنطقة ، حيث ان اوراق كتبه هي التي قامت بالدور الكبير المطلوب - اثناء ازمه الورق الذي تلف به السلع المباعه في حوانيت الشرق الاوسط - ولولاها لتعرضت البلاد الى هزة اقتصاديه لا يعلم مداها الا الله ..

بل ان السيد رجل الاعمال المحترم يؤكد ان المسأله لم تقتصر على البلدان العربيه فقط ، بل امتدت شرقا حتى حوانيت اواسط اسيا ، الامر الذي ساعد على رواج (الثقافة) العربيه في هذه المناطق البعيدة ..

عالم شاب اخر من علماء الاقتصاد ، قال انه تذرع بصبر ايوب وقرأ المجلدات الثلاثه ، فاكتشف ان المجلد الاول يدعو الى نظريه معينه في الاقتصاد السياسي ، والمجلد الثاني يدعو الى نظرية ثانيه ، بينما يدعو المجلد الثالث الى نظرية جديدة مخالفة ..

يستطرد العالم الشاب بلهجة تهكميه لا تليق بالعلماء :

معنى هذا ان « الاستاذ » قد غير عقيدته السياسية ثلاث مرات خلال الفترة التي كتب فيها مجلداته التي اطلق عليها اسم (نظرية) ..

ورد على هذا الكلام رجل الاعمال - الذي نجله ونحترمه بسبب « المعطيات » التي يطرحها في براهينه - بقوله : ان « الاستاذ » بطبيعته فنان .. ومعروف عن الفنان ان داخله يهتز بسرعة امام المؤثرات الخارجية ، ومن هنا فان مسالة تغيير العقيدة السياسية لم تحدث الا نتيجة (المبلغ) الذي جاءه على ثلاث دفعات ، فاحدث في داخله ثلاث هزات « ايديولوجية » من النوع « العميق » ..

ويضيف رجل الاعمال الفاضل الذي يتحتم علينا ان ننظر الى



شهادته بعين الاعتبار لاسباب تتعلق بنا شخصيا ولا نرى انفسنا مطالبين بالكشف عنها :

اذا كان « الاستاذ » قد غير عقيدته السياسيه حسب مقتضى الاحوال ، فان هذا يدل على انه قابل للتطور ·· فالرجل الجامد وحده هو الذي يثبت على مبدأ واحد ··

ثم ضرب رجل الاعمال المحترم المثل بنفسه فقال : انه عقد ذات مره صفقه تجاريه ضخمة مع شركه ايطاليه ، ثم عرضت عليه شركه امريكيه مناسبه صفقة لها ميزات ماليه افضل ، واشترطت عليه ان يلغي اتفاقه مع الشركه الايطاليه .

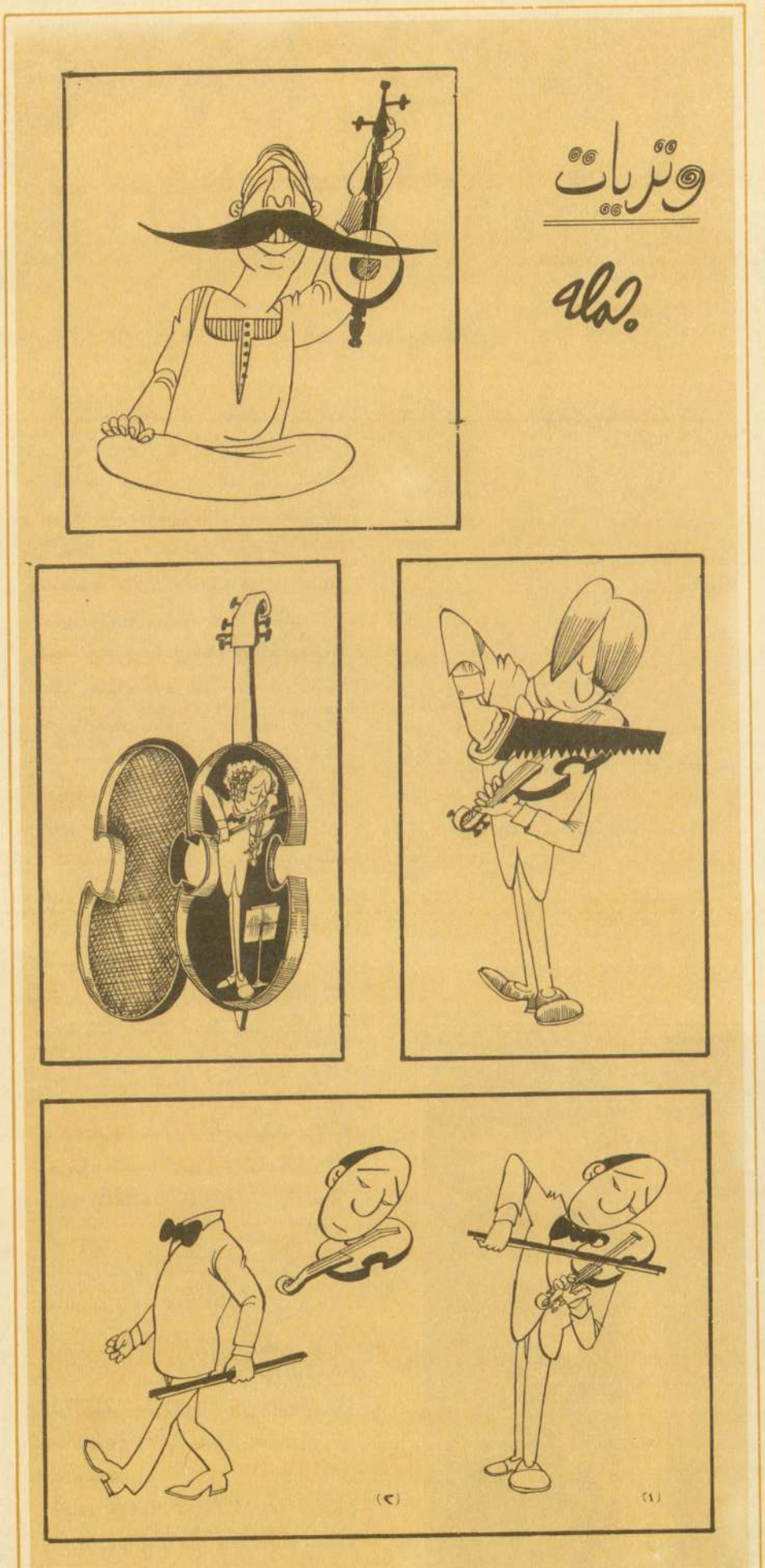
فلم يتردد في ان يفعل هذا على الرغم من ان الشركه الايطالية قد هوت الى الحضيض لهذا السبب ··

هذا ما يقوله اقارب « الاستاذ » وعلى راسهم رجل الاعمال الذي نجله ونحترمه ··

اما ما نقوله نحن شخصيا على ضوء « المعطيات » التي « اعطانا » اياها السيد الفاضل رجل الاعمال والتي نحتفظ بحقنا في عدم الكشف عنها لاحد ·· فهو ان الاستاذ ـ كما اتفقنا ـ رجل فنان ·· والفنان ـ علميا ـ هو حلقه من ثلاث حلقات في سلم التطور البشري التي تضم : الفنان · والمفكر · ورجل السياسه ·

ومعروف عن الفنان انه يملك « قرون استشعار » بحجم موهبته ، ومن هنا فان مهمته ان « يستكشف » ومهمه المفكر ان « يبلور » ما سبق للفنان ان استكشفه ·· اما رجل السياسه ، فان مهمته ان « يطبق » ما بلوره المفكر ··

وبناء عليه ، فان « الاستاذ » قد غير عقيدته السياسيه طبقا لقرون الاستشعار هذه التي رزقه الله بها · فما ان يستكشف ان اتجاها سياسيا ما سوف يسود خلال السنوات القليلة القادمه ، حتى يستعد فورا ويضيف مجلدا جديدا الى (النظريه) يلغي فيه ما جاء قبله ·· ولهذا السبب فانه يستعد الان لاصدار المجلد الرابع على ضوء (المعطيات) الجديدة التي ظهرت في الافق مع ارتفاع سعر الذهب !

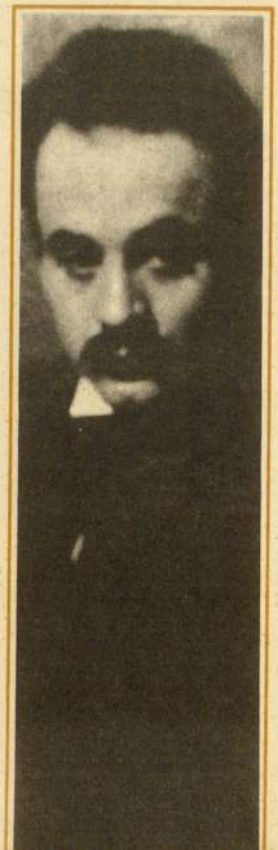


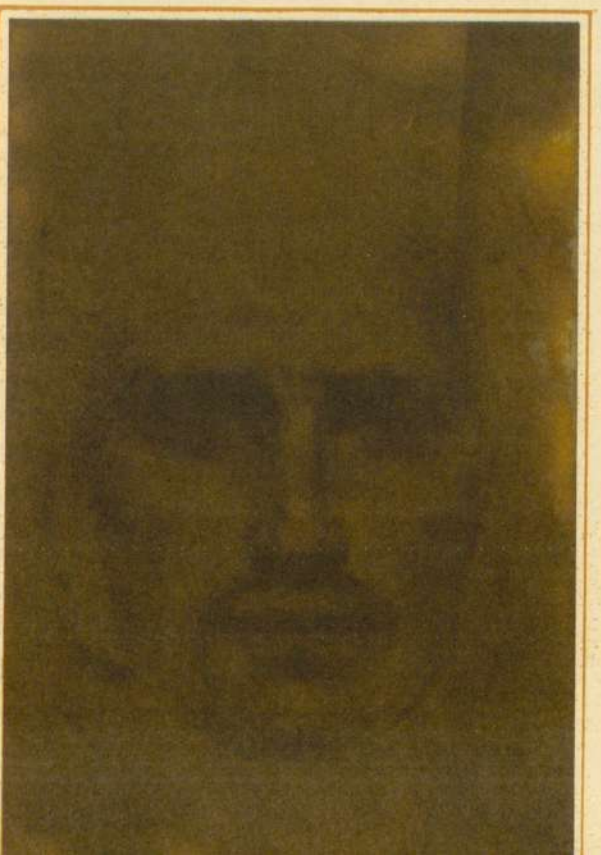
جبران.. والمرأة

بلند الحيدري

لقد اسهب كل الذين كتبوا عن حياة جبران خليل جبران وتدارسوا أعماله الأدبية والفنية فى الحديث عن المرأة فى حياته واعماله ، وافردوا لها حيزا رحبا كانت لهم فيه بحوث عديدة اتسعت لجملة من الآراء المتناقضة عبر محاولات فى الاجتهاد والتأويل والادلال بالحجة القاطعة التى تقول بشخصية سوية يمارس علاقاتها بها بطبيعية او تقول بشخصية مرضية تستبطن حياتها النفسية ، وبقيت مصادر البحث فى ذلك كله تعتمد مجموعة رسائله الى صديقاته وبعض تصريحاته وتلميحاته فى مجالسه الخاصة وبعض ذكريات من تعرفوا اليه وما نشروه فى كتبهم عنه كميخائيل نعيمة وبرباره يونغ، وبقى الاختلاف الى تلك المصادر يذهب فى اتجاهين متناقضين ما بين من يترسم بها اساسا مسالك ومسارب سيرته الذاتية ، وبين من لا يرى فى رسائله وتصريحاته تلك غير ضرب من احلام اليقظة التى يهرب بها من ماضيه وواقعه . او يلجأ اليها بكثير تصميم وسيلة لاثارة الحديث عنه والتنبيه اليه تحت وطأة شعور بالنقص يغافه بأناقته المفرطة واكاذيبه البيض وانها تفتقر إلى الصدق والامانة ، وربما كان ـ إن أحسن الظن بها ـ على مثل ذلك الاعرابى الذى وصفه فى حديث له مع مارى هاسكل قائلا: (لو سألت واحدا من ابناء العرب .. ماذا تعشيت ..؟ لربما اقتصر على البطاطا والفول .. ان الرجل لا يقصد الكذب ، لكنه يريد أن يتهرب من الجواب وان يبين للسائل كرهه للفضول وعدم رغبته فى عرض احواله الشخصية) .

ويأخذ الحديث عن جبران بعدا جديدا عن قيام سمى له واحد ابناء عمومته واسمه (جبران خليل جبران) بألادلاء بكثير من المعلومات الجديدة عنه إثر تفرغه لفترة طويلة لدراسة حياته وجمع مخطوطاته ورسائله والاتصال بمن بقى حيا من معارفه او ابنائهم وبأثر من ذكرياته عنه وذكريات شقيقه جبران (ماريانا) التى (كان يخجل من أن يظهر مع شقيقته امام الناس لأنها امية) ، فهو ينكر الكثير مما قيل عنه ومارواه اصدقاؤه المقربون إليه ، فميخائيل نعيمة (لم يكن يعلم أى شىء عن جبران وكل ما كتبه فى كتابه ململم من افواه الذين عرفوا جبران ... لقد أبقى جبران حياته الخاصة بعيدة عن ميخائيل نعيمة .. بقيت سرا دفينا) ثم يردف ذلك بقوله (لقد كان ميخائيل نعيمة قريبا من جبران ولم يكن قريبا منه فى آن معا) بل إنه ليضع علامة استفهام كبيرة فى مواجهة كل ما قيل عن علاقاته بمن عرف من النساء وعلى رأسهن مارى هاسكل التى كان شديد الحرص على استمرار علاقته بها كعلاقة خالية من أية شائبة فهو يخشى أن يفقد مساعدتها المادية (فيما لو قامت بينهما علاقة تفوق علاقتهما الأدبية) وانه بالاموال التى كان يبتزها منها ابتزازا يبذخ على ثيابه واناقته لحد كان اصدقاؤه فى عجب من امرها فيقول أحد الفنانين الذين عاش معه فى بناية واحدة (لم نكن ندرك نحن معشر الفنانين من اين كان خليل يأتى بالمال ، كان دائما أنيقا بل بالغ الاناقة بينما كنا نرتدى ثيابا رثة قديمة ، كان يرتدى المعاطف الجميلة والقبعات الجديدة ويحمل عصا لماعة وكل هذا يحتاج إلى اموال ، كنا نتساءل من اين يأتى بالمال ؟.) ويجيب ابن عمه على هذا التساؤل بقوله :





- لماذا كان جبران يخجل من أن يظهر مع شقيقته أمام الناس لأنها أمية ؟
- لم يكن أحد من أصدقائه يدرك من أين كان يأتي بالمال الذي ينفقه ببذخ !
- كانت مارى هاسكل تعطيه كل شيء ليبدو ثريا
- تصريحات عديدة في رسائله خاصة ما يتصل بمارى هاسكل

- لماذا تقزز من أوسكار وايلد بعد أن اطلع على سيرة حياته ؟

(كانت مارى هاسكل تعطيه كل شيء فيعتقد الناس انه ثرى كبير من الشرق ، كان ينفق من الخمسة آلاف دولار التى اعطته إياه مارى بينما هى كانت تأكل فضلات الطعام التى تجمعها من منزل عائلة ـ وشيئى ـ الثرية بينما جبران كان ينفق اموالها فى نيويورك) دون أى احساس بالذنب ، بل وكان يقامر (ويغش فى اللعب أحيانا) . ويذهب هذا الذى جاء ليؤرخ الى ابن عمه ، الى أبعد من ذلك مما ينال من سمعته الأدبية ، عندما يزعم بأن لمارى هاسكل الفضل الاول فيما اشتهرت به لغته الادبية التى ميزها النقاد (بتراكيبه البسيطة وصفاء عبارته) فهى التى كانت وراء تلك اللغة المرهفة وهى التى كانت تعيد كتابة تآليفه وتقوّم من تعابيره بعد أن تقبع (ساعات فى الحمام ، وتقفل عليها الباب خوفا من أن يراها زوجها ثم تعيد كتابة اللغة الانكليزية المكسرة ، كانت الافكار فى (النبى) وغيره افكار جبران ، لكن روعة اللغة وسلاستها وجمالها كانت لمارى هاسكل) .

ثقته فى المرأة

وقد ترك لنا جبران رغم حساسيته تجاه هذا الموضوع ، تصريحات عديدة فى رسائله وعلى الأخص تلك التى خص بها مارى هاسكل ، وكأنها كانت شفيعه فى الذى انقطع بينهما من تواصل طبيعى ، وتتميز هذه الرسائل بكونها كتبت من دون أن يعود الى تبييضها وتشذيبها وتهذيبها على مثل ما اعتاد أن يفعل فى غير هذه الرسائل موحيا بزخم انفعالاته اللحظوية وصدقها (إنه أيسر على مصادقة الرجال من مصادقة النساء) وانه قرف أشد القرف من (أوسكار وايلد) لدى اطلاعه على سيرة حياته وماكان له فيها من مباذل وفضائح . وفى احدى رسائله يؤكد لها بأنه لا يستطيع أن يخوض مخاوض البحث فى أى حديث يدور عن الامور الجنسية (بل اذا ما تحدث انسان طيب جدا وبطريقة طيبة وبشكل طبيعى غير شخصى ، وعلمى عن هذه الامور فانى سرعان ما أبدل الموضوع) .

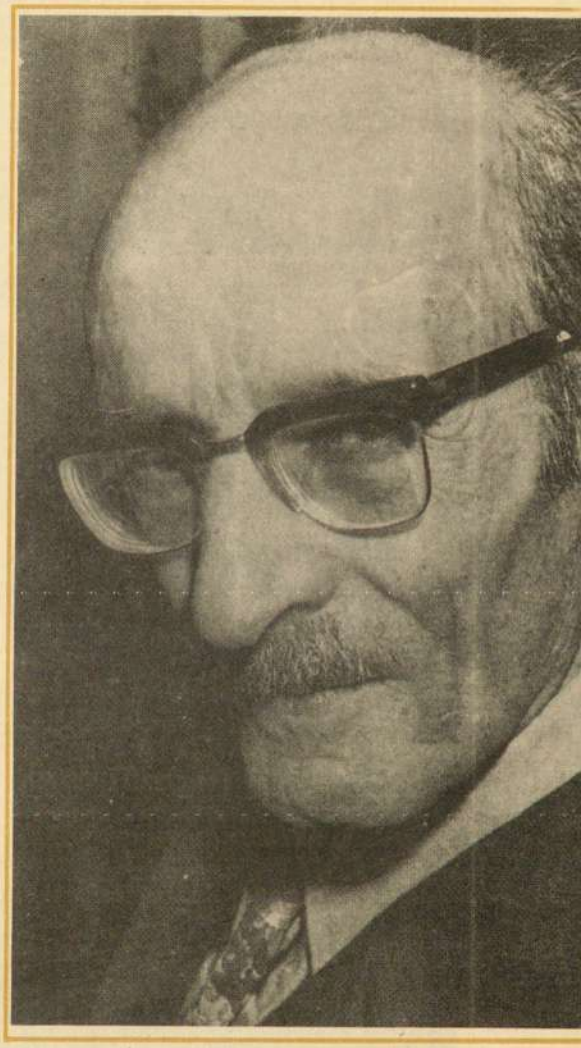
ويقدر ما كان يسعى الى نفى هذه المرأة ، كان يحاول أن يمد بأفق رحب لحضور مكثف لتلك المرأة الاخرى التى هو (مديون لها) بكل شيء والتى لا ينفك يصرح ويعترف بملء صوته بكونه (يثق بالمرأة أكثر مما يثق بالرجال) والتى تعودت أن تفرد جناحيها لتغطى الصفحات الواسعة من سيرة حياته وأدبه ولوحات رسومه الفنية تحت وطأة من الظلال الكثيفة والمتفاوته فى العتمة ، واستغراق فى الحلم ينتزع منها كل ما يدل على مستلزمات النوع فيها بغية تحقيق خلاصها الفردى بنشوة صوفية تصبح

أستوديو جبران فى نيويورك



جبران.. والمرأة

● الأسف كل الأسف لأنه لم يتعرف على مارى عندما كان دون العشرين



ميخائيل نعيمة



برتراند راسل



غاندى



اوسكار وايلد

فيها التعمية بالظلال والغاء التفاصيل التشخيصية جزءاً من حريتها التجريدية .

ومما لا شك فيه أن لمارى هاسكل التى تواصلت عبرها رعاية الأم له وحدبها عليه ، أثراً فى تطوير هذه الرؤية الشعرية فهو بالرغم من شدة غروره واعتزازه بفنه وتصريحه لها بادعائية فجة بأنه رسم صورة وهو فى الخامسة من عمره كان فيها (أبو التكعيبية) يؤكد فى رسالة ثانية بأن نقدها الفنى لرسومه كان له الاثر الهام فى كل ما وصل إليه من نجاح فى هذا المجال وانه ليأسف كل الأسف لأن الخط لأن الحظ لم يتح له أن يتعرف إليها يوم أن كان فى الرابعة عشرة من عمره يرسم على غير هدى ونحن إن كنا لا نجترح لأنفسنا الحق فى أن نقول بمدى هذا التأثير الذى كانت تمارسه على جبران ولا بما كانت تمتع به من ثقافة فنية وإن بدا لنا فى بعض ماكتبته عن رسومه إنها ليست بأكثر من فقرات من نقد انطباعى لا يغور بعيداً فى تقويم جهده الفنى كقولها عن صورته المعاين (هذا الوجه العظيم هو روح الارض معبراً عن خضوعه لهذا السيد ومن خلال الغيوم الشاردة أمامه يطيل فتى مكتنف بالظلمة عليه علامات الدهشة ، هو المستقبل الذى يشعر به عن بعد ... الخ) اقول رغم كل ذلك ، ورغم أنه لم يذكر لصديقه ومرشده (فراد هولند داى) من فضل كالذى يعزوه لمارى هاسكل فانها ولا شك ما كانت لتحتل هذه المكانة فى حياته والتى حدت به الى أن يفكر بالاقتران بها فى عام ١٩١٠ مع علمه بأنها تكبره بعشر سنوات ، لولا ما اتسع لها فى نظره من صفات فى (الام) و (والشقيقة) و (الصديقة) اجتمع فيها منهن حنو الام والشقيقة ورعايتهما وبذلهما المستمر ، وفى الصديقة عنصر التكافؤ الذهنى والثقافى الذى افتقده عند والدته وشقيقته (مريانا) التى كانت تجهل حتى كيفية كتابة اسمها ، وذلك ما يميز هذه المرأة فى حياته فأولاها من الثقة مالم يوله لأحد على كثرة ما عرف من فنانين وأدباء ، بحيث خصها وحدها بكل مانال من نجاح فنى وانها الناقد الذى تمنى

● تواصل لجبران عبر «مارى هاسكل» حنان الأم ورعاية الشقيقة ، والتكافؤ الذهنى والثقافى لدى الصديقة

● لم يكن يحب الطبيعة فى الرسم .. ولم يكن يستطيع رسمها .. وعول على ألا يرسمها قط

● هذا الوجه العظيم هو روح الأرض معبرًا عن وجوده لهذا السيد

لو كان له منذ بداية حياته الفنية لتهديه سواء السبيل .

تلك الفتاة الشمطاء

وإذا كان جبران خليل جبران يستمد مقاييسه الجمالية ودقائقها من قدرته على تحويل مظاهر المرأة الخارجية الى قيم تعبيرية عن عمقها الروحى فلا عجب من أن يثير دهشة صديقه (فليكس فارس) عندما لا يرى فى فتاة جميلة غير (تلك الفتاة العانس الشمطاء العوجاء الشوهاء) وأن يذهب به الاعتقاد الى أن المرأة (تكون فى الخمسين من عمرها أكثر جمالا جسديا) فهو لم يجد فى الأولى غير صراخ جسدها الفتى ، ولم ير من ترهل جسد الثانية غير ما كان يرغب فى رؤيته من معنى فى المرأة الأم التى تخطت مراحل عبادة جسدها الى حيث تتوحد بوجودها الكلى مع معنى كمال ارادتها كمسؤولة عن استمرارية دورة الحياة فى البذل والعطاء .

ولو أضفنا الى ذلك كله ما كان من تعليقات وهوامش عليها من قبل معارفه واصدقائه ودارسيه موقفه من أمه وأثرها فى حياته حيث يقول :(ثلاثة أشياء عملت أكثر مما عمل أى شىء آخر فى حياتى .. أمى التى كانت مدهشة جدا .. وابى الذى حاربنى واستفزنى للقتال و ... الخ) ثم أخذنا بنظرة الاعتبار المؤثرات الفنية الاخرى عليه ، استقام لنا مفهوم كامل لمكانة المرأة فى رسوم جبران عبر اطار تشكيلى يوحى بأكثر من أصبع الى طبيعة تأثره بترابط الكتلة عند (رودان) من ناحية والى رمزية (بليك) الشعرية وتعبيريتها من ناحية ، والى ميله الى تجاوز التفاصيل فى الصورة على غرار الانطباعيين الاوائل من ناحية ثالثة ، والى نزوعه الى اعتبار مرامى حركة الجسد الانسانى مكامن لتعبيريته الرمزية وضعف علاقته بالطبيعة ـ فجبران كما يقول توفيق صائغ (لم يكن يحب الطبيعة فى الرسم ولم يكن يستطيع رسمها وعول على ألا يرسمها قط) من ناحية رابعة ، ففى مثل هذا المناخ الادائى نشأ اسلوبه فى الرسم محيلا المرأة الى رمز لا يكتمل الا بحركة مجاورة فى شكل لرجل أو لطفل ليصيرا معا الى تجسيد الموضوع الذى يطرح نفسه فى حركات رشيقة تتميز بمواءمة دقيقة ما بين طبيعتها الاليفة واسترخائها وبين شفافيه مضمونها ، وبأبعاد حلم يطوف على حافة العالم ولا يمسه إلا بأطراف أنامله تكون الاشكال من خلاله فى شديد حاجتها الى أن تصل الى نفسها وتكتشف سرا لوجود بتداخل تلك الحركات العفوية التى لم يثقلها جبران بأى شىء من التفاصيل الجزئية وفى أى من جسدى الرجل أو المرأة الا بقدر ما يثبت هويتهما النوعيه كالثديين فى المرأة واللذين يرسمهما بكثير من الاهمال المقصود لكى لا يتجاوز الرمز فى الغاية الى الرغبة فى الصفة المثيرة وليظل للحركة معنى خارج كيانيهما الجسديين .

وقد اسعفت جبران على ابراز معطياته العاطفية الملأى بالحس الشعرى خطوطه المنحنية باستمرار والمنسابة بعفوية وطلاقة تواكبها أمواج من الظلال المتاخمة لها ، والتى كثيرا ما يعتمدها ستارا لضعفها ومجانبتها للخطوط المستقيمة الموحية بالصلابة والقسوة مما رفع من مستوى حساسية اعماله الفنيه وابقى لها تلك الشحنة اللازمة للرمز الرومانسى . ورغم أن المرأة التى اكتمل جمالها هى تلك التى شارفت الخمسين من عمرها والممتلئة الجسد ، الكبيرة الجثة (انها مدهشة فهى كبيرة الحجم وعريضة) والتى تقوم بصفاتها هذه وعدا شرقيا بالأمومة الدائمة فقد آثر أن تكون على غير هذه الصورة فى رسومه ، فهى رشيقة وعلى غير اكتناز أو ترهل وذلك ليحافظ فيها على المرأة الرومانسية الخالدة بصفة من الشباب الدائم ، والتى استحوذت على قدرتها الكاملة على مغادرة الأرض كل لحظة عبر حركاتها الموحية بالطيران خلال مساحات مفرغة إلا من الأجزاء المؤكدة لهذا المعنى الذى يرمى اليه فى الهروب الخلاصى الحزين شأن جميع الرومانسيين .

والمرأة الأم كنزوع رمزى فى اعماله هى ليست تلك التى حقد علي ابيه من أجلها واشار غير مرة الى معاناتها من تصرفاته ، ولا تلك التى استعاض بها عن حب أمه وأحالها عبر طيبتها الى أم له (وكنت دائما تملئين صحنى وأكوابى والآن لا أشعر بأنى ضيف محبوب بل بالاحرى بأنى طفل فى بيت أمى) بل تلك التى حولت (نضوجها الكبير العريض) الى قيمة رمزية فهى ليست أما بمعطياتها الخاصة والمتمثلة فى اشارات الى واقع معين بقدر ما هى أم بالعلاقات التى تشدها الى الجو المحيط بها من أطفال منتشرين حولها أو متشبثين بها أو ساعين لنيل حنانها وودها والتى كان بها كروابط متداخله أن يتجاوز الخاص الى العام والشامل تأكيدا لعمومية الرمز الذى يضم الموضوع الى نهج ادائى ينطلق من



الانسة مـي

● المرأة الأم هى رمز فى أعماله وليست تلك التى حقد على أبيه من أجلها ولا تلك التى عوضته عن أمه

جبران.. والمرأة

رسوم جبران كما هو أدبه وكما هي حياته .. مجموعة من وجوه تغزو الذاكرة.

الكل إلى الأجزاء .

امرأة عابرة

أما بربارة يونغ ، تلك التى حسبها البعض احدى المحطات الكبيرة فى حياة جبران فهى فى نظر هذا الباحث قد زيفت الكثير من الحقائق وشوهت معالمها وادعت لنفسها مالم يكن لها وانها ليست باكثر من (امرأة عابرة فى حياته ، مثلها مثل العشرات اللاتى مررن بحياة كاتب النبى) ومثل ذلك ما يقوله عن مادلين ماديسون التى لاتزال على قيد الحياة فهى (مجرد نكرة فى حياة جبران) وانه لم يؤثرها باهداء اروع مؤلفاته اليها ـ النبى ـ الا لانها ترجمت هذا الكتاب الى الفرنسية ولأنها (كانت يومها على علاقة مع جبران لذلك اهداها كتاب النبى) .. وأن بين كل النساء اللواتى تعرف اليهن جبران كانت (غيتريد بارى) هى الأثيرة الى نفسه والتى عاش معها علاقة كاملة وصميمة وانه قد آثر ان يكتم امرها حتى عن أقرب معارفه اليه خشية أن يثير غضب مارى هاسكل ولذا لم يورد ذكرها لأحد ولم ينبس ببنت شفة عنها لأحد ، وبقيت تلك العلاقة سرا مجهولا الى أن اباحت به وأماطت عنه اللثام مؤخرا بنت أخت لها وكشفت عن رسائل عديدة من جبران الى خالتها تفصح عن مدى متانة العلاقة التى كانت تشد احدهما بالآخر) .

بكثير من الحذر

وعلى الرغم من أننا نأخذ هذه التعليقات والتأويلات لسلوك جبران بكثير من الحذر فليس لنا إلا أن نقر بأن شخصيته شخصية متناقضة سواء أكان ذلك من صميم أصالتها أو أنه كان يفتعل هذا التناقض افتعالا عبر ما ينسج عن حياته وحياة أسرته من أخبار ملفقة وما يوحى بها من خلال بعض تصرفاته

وسواء أكان ذلك نتاجا لصراع ما بين (ارادة القوة) و (الشعور بالنقص) الذى يدفع به الى الهروب من الواقع ، أو فرزا لمظاهر من (عقدة أوديبية) فهو كما يراه صديقه كلود براغدن (يحب الانفراد كما يحب المجتمع ، يبتهج بالاشياء الصغيرة كما الكبيرة ، بالماديات كما بالروحيات ..



الخ) وما يكون لنا من خلال ذلك أن نقوله هو انه أفاق على عصره وواقعه فى أمريكا ولما تزل فى عينيه شتات من رؤى مبعثرة يقتات عليها تارة ويجترها أحيانا أخرى ويستخدمها فى غيرهما مرمى لغرض فى دعاية لنفسه وطلب لشهرة فى محيط على شىء كبير من السذاجة العاطفية التى أسهمت لحد ما فى تحقيق صبوته وبواته لأن يتعرف الى مشاهير الادباء والمفكرين فى عصره وأن يقتعد كرسيا فى جمعية الشرق الجديد التى كان من بين المتعاونين معها غاندى وجون ديوى وايج جى ويلز و برتراند رسل وغيرهم وانه بنشوة طفل غير ناضج ، وإمكانية فتى لم تتوفر له القدرة ولا الدراسة للالمام بلغة أدبه أو فنون رسمه وقواعدها كان يطوف على سطح حيوات متداخله يجتمع لها شىء من الهند ومن مصر القديمة والكلدان وشىء من المسيح وبعض مفكرى عصره ، وبكثير من العفوية كانت تمتزج بحساسيته وتتآلف معها فى نسيج غير واضح المعالم تقترب به من احاسيس ومشاعر فنان فطرى والتى بها وحدها فقط تتأكد اصالته .

رسوم جبران

ورسوم جبران ، كما هو أدبه ، وكما هى حياته ، مجموعة من وجوه (تغزو الذاكرة بسحر الرؤى المقتبسة فى عالم الحلم ـ من كلمة لناقد أمريكى) تحاول أن تجسد وجودها مع رغبتها فى التخلص من ثقل وجودها فى ذات الوقت ، وتشخص رموزها عبر دلالات رومانسية مسطحة ، وجهد أدائى يتوزعه تأثيران من (وليم بليك) و (رودان) حيث تتلاحم أوهام الرسام بكثافة الكتلة الخارجية عند النحات وحيث تتقاسم رموزه اسلوبيهما وتشكيلاتهما الايقاعية والتعبيرية ، وتكاد المرأة أن تقوم محوراً رئيسيا لرسومه وهى لشدة تداخل ملامحها وتوحد صفاتها توشك أن تكون امرأة واحدة استقام لها رمز شامل وموقف ذهنى متكامل منها ، ولا عجب في ذلك لرجل ينطلق فى طبيعة علاقته بها من رؤية محددة لها عبر زوايا تجارب على كثير من الخصوصية ، إذ يقول في احدى رسائله الى مـي زيادة عام ١٩٢٨ ، أى قبل وفاته بثلاث سنوات ، ! (أنا مدين بكامل ما هو أنا الى المرأة منذ كنت طفلا حتى الساعة ، والمرأة تفتح النوافذ فى بصرى والأبواب فى روحى ، ولولا المرأة الام والمرأة الشقيقة والمرأة الصديقة لبقيت هاجعا مع هؤلاء الذين ينشدون سكينة العالم بغطيطهم) مكتفيا بهذه النماذج الثلاثة حافزا لفتح نوافذ بصره وابواب الرحمة ، أما المرأة الحبيبة والمرأة العاشقة والمرأة المتوزعة فى غير ذلك من الصفات الاخرى ، فهى التى لم يلتق بها إلا لماما لأنها لاتقف مع الأم والشقيقة والصديقة فى الصفة ، صفة العطاء بلا أخذ والاخلاص المتناهى والتعالى عن مطالب الجسد ، انها المرأة التى تقوم فى اعماقها الأم فى ابرز وأهم صفاتها فى التضحية والتى كان جبران بحاجة إليها دائما ، انها المرأة التى رضيت أن تعبد نفسها من خلاله ، أن تمتزج بروحها فيه فلا تقيده بكل ماهو زائل ولا تسأله أن يكون لها معينا لمتعة عابرة فهو كما يقول فى رسالة الى مارى هاسكل (يقولب طاقته الغريزية الى نتاج فنى) وان أصدقاءه يخطئون بظنهم أنه يعيش علاقات عاطفية متعددة (فى حين إنى اعيش بدون وصال) .

وهذه المرأة بالذات هى التى بقيت فى الظل وهو إذ يطردها من حياته العامة إنما ليفتح للمرأة الأخرى كوة فى ذهنه تتسرب منه دائما كينونة مطلقة فى الأم وحنانها وبذلها يعوض بها عن تلك العلاقة التى لم يستطيع أن يورى فيها النار فقد بقى يحس ببرودته أمام الموديلات . أما مارى هاسكل التى عرفته كما لم يعرفه احد فقد كان بالنسبة اليها (خجولا)

بلند الحيدرى

رأيت

رجل فى خريف العمر

رجل فى خريف العمر .. انحنت قامته مع الزمن وملات التجاعيد وجهه .. لا مال ولا بنون .. هذا الرجل تقريبا هو اكبر المعمرين فى قريتنا فقد بلغ التسعين عاما ونيف .

هذا الرجل كثيرا ما عمل اجيرا فى حقول القطن والقصب والذرة ليكسب زاد يومه هو وزوجته العجوز .. ولكن لما بلغ به الزمن مبلغا جعله لا يستطيع ان يعمل ، اكتفى بالجنيهات القليلة التى يدفعها له التامين كغيره من العجزة .

ولكنى صعقت اخيرا وانا اراه ينظف الحشائش من احد الحقول وهو يجر نفسه جرا .. فلما سالته عن الذى حدى به ان يعمل وقد قبض منذ وقت قصير جنيهات التامين .. قال لى : نعم قبضت تلك الجنيهات ولكننى سمعت عن التبرع لمسلمى افغانستان فتبرعت بها !! ..

وهكذا وقفت له إجلالا وتعظيما والدموع تنهمر من عينى .

فراج عرفجى
الاقصر ـ مصر

قرأت

الجرمان من الفكر

إنه ابن فرنسا ، والعبقرى الذى اكتشفه « ديجون » تلك المدينة الصغيرة الواقعة على الطريق بين باريس وجنيف . وكان يعيش فى ذلك الوقت مع زوجته « تبريز » فى باريس فى حى متواضع عندما التقطت عيناه فجاة إعلانا لاكاديمية العلوم والفنون والآداب عن جائزة لصاحب احسن مقال عن «اثار التقدم الحضارى على الاخلاقيات » . وجلس روسو يكتب ويكتب .... ولم يكن هو اقل دهشة من اعضاء لجنة التحكيم التى قررت منح هذا « الغريب » الجائزة . فقد كانت كل كلمة وكل سطر كتبه روسو يحمل معه ثورة فى الفكر . ثم بدا الفرنسيون يتجهون إليه بعد نشر مقاله ... بعدها حدثهم عن حرية الانسان . واصبح كتابه « العقد الاجتماعى » شعارا للثورة الاجتماعية فيما بعد .

ولكن هذا الرجل عاش ومات دون ان يرى ثمرة هذا الفكر الذى امتلات به عقول وقلوب الملايين من البشر ورحل عام ١٧٧٨ قبل بداية نشوب الثورة التى اشعل فتيلها منذ إحد عشر عاما .

كمال الدين مصطفى
جامعة الزقازيق ـ مصر



غربة جديدة

يعرف الانسان نفسه بالتخمين لا بالتحقيق وكثيرا ما يكون فى تخمينه كالغريب الذى يبحث عن سر غريب ..

وحول نفس التعبير يقول العقاد :

« كثيرا ما ـ اضبط ـ نفسى وهى تروغ منى وتحاول ان تقنعنى بوجهة غير الوجهة التى تعنيها او تعنينى ، ثم نتلاقى مبتسمين ، واكاد اسالها : اانت انه ؟ وتكاد تسالنى : وها انت ياصلح ؟ . ثم لا نلبث ان نعلم اننا لم يفهم بعضنا بعضا من الكلمة الاولى ، واننا نحتاج بعدها الى كلمة او كلمات نثوب بعدها الى التفاهم والاتفاق .»

وهذا ما استخلصه العقاد من عملية البحث التى يقوم بها عن الذات .

ويقول كاتبنا الكبير ايضا ، ان الابحار نحو الذات شبيه برحلة نحو المجهول فكلما غطس الانسان فى ذاتيته يكتشف مدى عمق جهله بنفسه .. وكلما يخطو من غربته الاولى يجد نفسه فى غربة جديدة .

ضياء الدين احمد
جامعة البصرة

هذا المخلوق الوديع

الكثيرون منا قد راوا القنفذ ، ذلك المخلوق الصغير ، الوديع ، غير المؤذى . وهو ينتمى الى رتبة الثدييات اكلة الحشرات .

والقنفذ قصير الجسم سميكه ، ذو انف مدبب ، وتغطى جسمه اشواك حادة من اعلى ، واما الجزء الاسفل فمغطى بالشعر ، وله ذيل قصير يختفى تحت الاشواك وفى رجل القنفذ خمسة اصابع تحمل مخالب قوية . ويميل لون هذا الحيوان الى الرمادى البنى .

والقنفذ حيوان ليلى ، فهو يقضى النهار نائما فى عش من الحشائش واوراق الاشجار الجافة ، وينشط عند الغسق حيث يخرج للبحث عن الطعام ـ وغذاؤه يتكون من الحشرات غالبا ، وكذلك فلديه القدرة على افتراس الضفادع ، والفئران الصغيرة ، ولكن الاعجب من ذلك انه يستطيع قتل الثعابين واكلها ، وهو يفضل الافاعى السامة عن ثعابين الحشائش .

عيسى امين
القاهرة ـ الدقى

سمعت

علاج المرض بالنغم

يؤكد كثير من الاطباء الاخصائيين فى علاج الامراض العقلية أن الموسيقى من افضل الوسائل لمعالجة مرضى الاعصاب .

وقد ادلى احدهم بتصريح قال فيه : لو اننا خصصنا فى كل مصحة للامراض العقلية قسما خاصا بالموسيقى ، يديره اخصائيون مدربون يعرفون مدى تاثير الموسيقى فى النفوس لكان فى ذلك علاج مفيد للمرضى .

وهذا هو ما اخذ به فعلا احد مديرى المستشفيات فى مدينة مانهاتن ، فقد عمد الى عزل فئة من مرضاه ، ومراقبة تاثير بعض الادوار الموسيقية المختارة فى عقولهم المضطربة ، فكانت النتيجة ان شفت الموسيقى كثيرا منهم .

وقد نظم مدير اخر فرقة من «الاوركسترا» تعزف انغامها للمرضى فى اوقات الطعام ، فكان تاثير الموسيقى فى هؤلاء المرضى المصابين بمختلف الامراض العقلية بالغا ابعد الحدود .

ويعتقد المشتغلون بمسائل العلاج النفسى ان المعالجة بالموسيقى تعتمد على الصلة الوثيقة بين التركيب العضوى فى جسم الانسان والانغام المنظمة ، وان تاثيرها يتصل بميكانيكية العقل ، لانها تؤثر فى اجزاء المخ التى تعتبر مركز الاحساس والانفعالات .

ومنذ عامين قام احد اساتذة الموسيقى بسلسلة من التجارب الطريفة باحد المستشفيات الخاصة بالاعصاب فى شيكاغو ، فعزف طائفة من الاغانى الايطالية امام امراة مريضة كانت ترفض ارضاع طفلها ، فظلت جامدة لا تبدى اقل تاثير بنغمات البيانو حتى بدا الموسيقار يعزف قطعة معينة ، فلم تلبث ان تنبهت لدى سماعها وعادت ترضع وليدها .

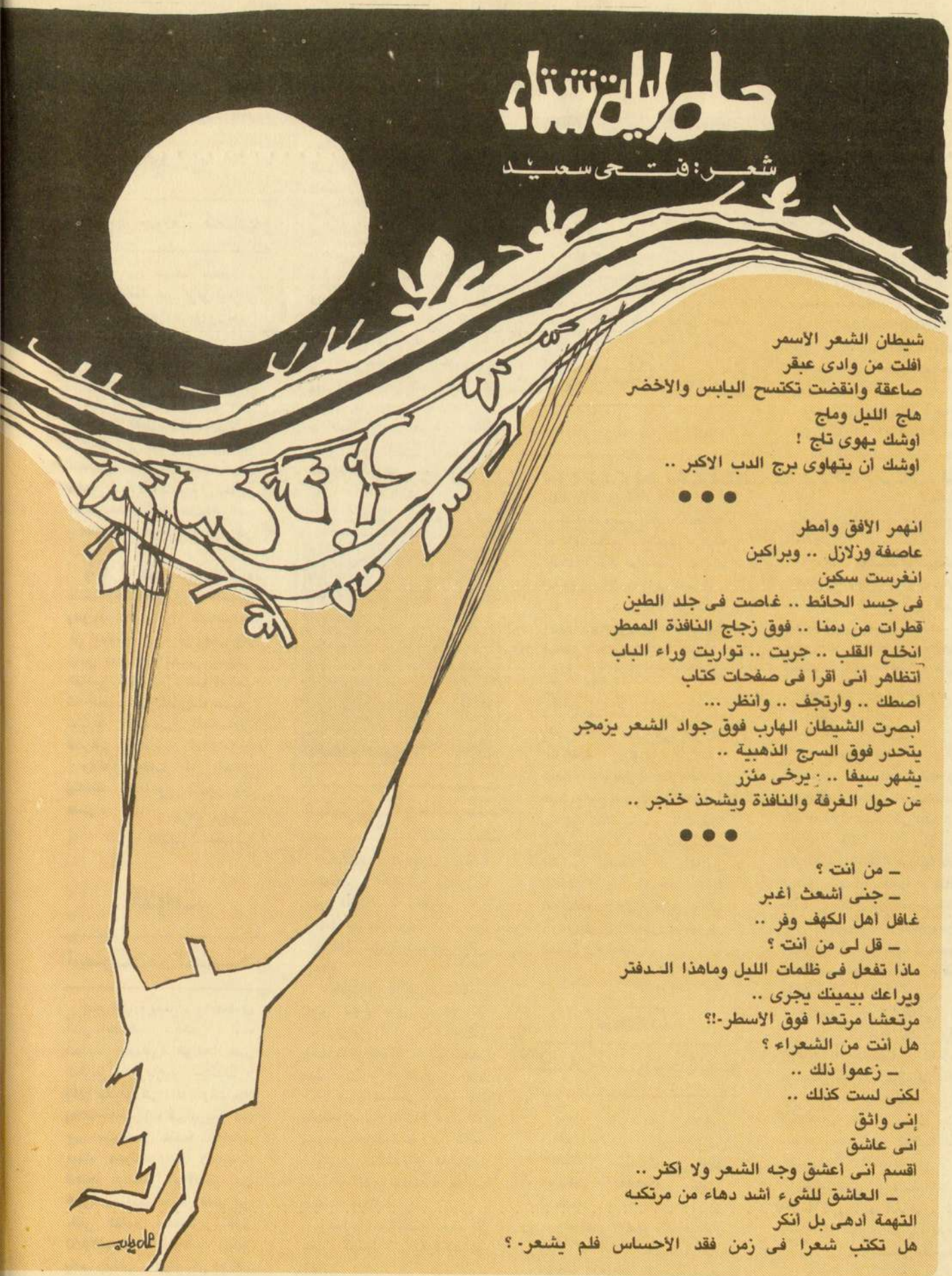
واصيب رجل بالعمى اثر «هيستيريا» حادة عقب وفاة زوجته ، فاستدعى لعلاجه موسيقار معروف عزف له لحنا مفرحا ـ بعد ان عزف له انغاما خافتة فى مبدا الامر ـ طلبه بنفسه ، فلم تمض ثلاثة ايام حتى هدات اعصابه

وهكذا يتبين ان للنغم تاثيرا مختلفا فى حالات المرضى ، لما يحدثه فى الدورة الدموية بالمخ

سليمان محمود
القاهرة

حلم ليلة شتاء

شعر: فتحي سعيد



شيطان الشعر الأسمر
أفلت من وادى عبقر
صاعقة وانقضت تكتسح اليابس والاخضر
هاج الليل وماج
أوشك يهوى تاج !
أوشك أن يتهاوى برج الدب الاكبر ..

• • •

انهمر الأفق وأمطر
عاصفة وزلازل .. وبراكين
انغرست سكين
فى جسد الحائط .. غاصت فى جلد الطين
قطرات من دمنا .. فوق زجاج النافذة الممطر
إنخلع القلب .. جريت .. تواريت وراء الباب
أتظاهر انى اقرأ فى صفحات كتاب
أصطك .. وارتجف .. وانظر ...
أبصرت الشيطان الهارب فوق جواد الشعر يزمجر
يتحدر فوق السرج الذهبية ..
يشهر سيفا .. يرخى مئزر
من حول الغرفة والنافذة ويشحذ خنجر ..

• • •

ـ من أنت ؟
ـ جنى أشعث أغبر
غافل أهل الكهف وفر ..
ـ قل لى من أنت ؟
ماذا تفعل فى ظلمات الليل وماهذا الدفتر
ويراعك بيمينك يجرى ..
مرتعشا مرتعدا فوق الأسطر-!؟
هل أنت من الشعراء ؟
ـ زعموا ذلك ..
لكنى لست كذلك ..
إنى واثق
انى عاشق
أقسم أنى أعشق وجه الشعر ولا أكثر ..
ـ العاشق للشىء أشد دهاء من مرتكبه
التهمة أدهى بل أنكر
هل تكتب شعرا فى زمن فقد الأحساس فلم يشعر- ؟



هل ثمة من يمتهن الحرف بهذا الزمن الأغبر ؟

• • •

ـ لا حيلة لى ..
لست مخير
لا حرفة إلا أن أشعر
ـ لست ذكيا .. إن كان ولابد فكن أشعر
اكتب اغنية .. إعلانا .. منلوجا
اكتب رقصة ..
تتلى فى الملهى أو تتلى فى الاقبية الليلية
قد تسنح فرصة ..
فتروج وتنتشر بانحاء الكرة الأرضية ...
وتغزل فى راس المطلع
خذ مثلا هذا المقطع .....

لا .. لن اسمع ..
بل فلتسمع
مادمت مسير
كن انت عليهم بمسيطر

• • •

ـ أو ترجم إيتاءك ياشيطان الشعراء وتزجر ؟
هل جئت لتقذف ريح الرعب بقلب الشعراء وتسخر ؟
من أوحى للملك الضليل ..
وعروة وابن العبد ومجنون الليلات ؟
أو ليس شقيقك أوجدك
شيطان عصور الناقة والفلوات ؟
كانوا صنفين :
شياطين ذكور وشياطين نساء
من أنت من الاثنين ؟
صخر أم خنساء ؟
ـ لا تلوى بالكلمات ولا تتقعر
أعرف أكثر مما تعرف أو تتصور
كان الشعراء ملوكا .. أما انتم فمماليك
لا أعنى بالملك التاج ورابية العرش

وإيماءة إبهام أو خنصر
فاذا بالنطع أو السياف أو الخلعة أو حشوك
ذهبا أو جوهر

كان الشعراء ملوكا .. وصعاليك
عرشهم الشعر وتاجهم الكلمات ورتبتهم قول يذكر
هوت التيجان وماد الايوان
وشعرهم لا يندثر ولا يدثر .. !

• • •

ـ هذا زمن فات ومافات فقد مات
وكل زمان يتغير بل يتطور ..
زمنى غير زمان النعمان أو النابغة الذبيانى .. وعنتر
ـ ويحـك ...
اطرق بابك فى حلكات الفجر وانت تثرثر
حسبك أعذارا أو اشعارا .. حسبك وا نـظر
ـ لم تطرق بابى بل شباكى ..
ـ افتحه وإلا انشق القمر وحطمت الكتب على رأسك
وسكبت العلقم فى كاسك
وهدمت الجدران على رأس الجيران .
ـ جئت لتقتلنى .. قلها لا تجبن ....
ـ لست جديراً بالقتل ولا أمثالك أجدر
انتم أقزام العصر
وغلمان الشعر
وحاشية القيصر
ماجئت لأقتل أو اثار
بل جئت لأنذر
فاسمع واذكر ...
إن شئت نجاة فتـنمر
كن كالطوفان إذا أبحر
ريحاً صرصر
لاتتقهقر ..

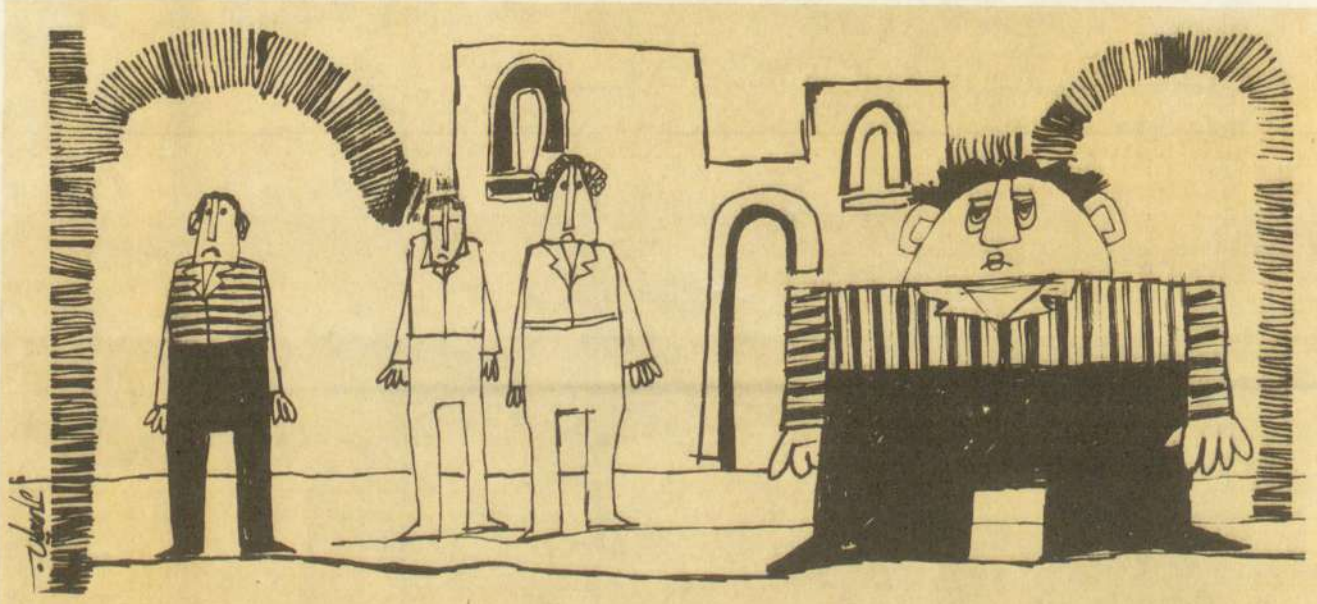
• • •

هرولت لزاوية الغرفة
كدت بمحبرتى أتعثر
وأريق دماء قصيدة شعر ..
كانت فى قلبى تتفجر ..

بدون تعليق
- الى اللقاء ...!!

من تجارب الشخصية

الزعيم الذى مات



كنا ابناء حارة واحدة ، نلتقى مساء كل يوم خميس لشغل اوقات الفراغ ، وممارسة هواياتنا .. وكنت اتزعمهم دائما .. كنت عصبى المزاج ، سريع الغضب ، انانى ، ولكنهم كانوا يزعنون لآرائى ، وينفذون كل اوامرى ، ويسمونني « الزعيم » ماعدا احدهم كان صعب المراس ، لا يجاملنى مطلقا ، ولا يهاب جثتى الضخمة ، وصوتى الجهورى ، وعضلاتى المفتولة ! لهذا كنت اكرهه ، واصطدم معه دائما ، فاحاربه بشتى الطرق الصبيانيةومع ذلك ، فقد ظل ـ رغم كل ما اقوم به نحوه ـ صلبا عنيدا ، متمسكا بهدوئه وابتسامته الساخرة ..

وذات مساء التف حولى افراد الشلة كعادتهم ، وكان هو من بينهم ، واقترحت ان نقوم برحلة الى المحافظة الثانية يوم الجمعة القادم ، حيث نقضى يوما رائعا فى بستان « الحسينى » ذلك البستان الاخضر الخلاب ، فايد الجميع هذا الاقتراح ، والفرحة ترتسم على وجوههم .. اخذت ورقة وقلما وسجلت اسماءهم ، واهملت اسمه متعمدا .. وصاح رفاقى :

ـ بقى احمد .. بقى احمد لم تسجل اسمه !

قلت باستخفاف : لا نريده معنا !!

قالوا : لمـاذا ؟

قلت : لانه ثقيل الدم .. منغلق .. وسوف يعكر صفاء رحلتنا الحلوة بطباعه السمجة .. إنه لا يعجبنى .. لا يعجبنى ..

صاحوا جميعا : كل ما لا يعجب « الزعيم » لا يعجبنا !

ورايت وجهه يحتقن بالدماء .. ويحاول ان يتكلم فلا يستطيع .. ثم ينصرف وهو مطأطىء الراس .. وشعرت ساعتها باننى انتصرت ! لقد وجهت إليه الضربة القاضية .. ولا اظن انه سيتحدانى بعد اليوم !

وصلنا يوم الجمعة الى «بستان الحسينى» الشاسع ورحنا نلهو ونجرى ونضحك .. ونلتهم الثمار اللذيذة .. ونتسلق الاشجار الضخمة .. وبينما كنت اتسلق إحدى اشجار الزيتون بخفة ومرح ، هوت قدمى فجاة وفقدت توازنى ورحت اهوى نحو الأرض ، وانا اصرخ .. ثم لم اعد اذكر شيئا مما حدث .

وعندما فتحت عينى ، وجدت نفسى ممددا فى إحدى غرف المستشفى .. وكنت اشعر بالام شديدة فى اماكن متفرقة من جسمى .. وكان فى الغرفة ابى وبعض اخوتى .. والجزع يطل من اعينهم ، وسالنى ابى بلهفة :

ـ كيف حالك الآن يا بنى ؟

ـ بخير يا ابى

واخذ يقص علي ما حدث بصوت حزين مبحوح :

ـ كدت ان تفارق الحياة يابنى .. ولكن فضل الله واسع فعندما ارتطمت بالأرض من راس الشجرة التى تسلقتها .. امتلأ جسمك بالرضوض واصبت اصابة خطيرة واخذت تنزف دما غزيرا ، ونقلك اصحابك فى الحال الى هذا المستشفى ، ولكنهم ـ للأسف الشديد ـ عندما طلب الدكتور منهم التبرع ببعض الدم خلقوا اعذارا واهية ، وحججا كاذبة ، ووقعنا فى حيرة ، لولا ان دخل الغرفة احد اصدقائك الأوفياء ، واخبر الدكتور انه مستعد بان يتبرع بدمه .. وبالفعل تبرع بدمه من اجلك .. وبدات الحياة تعود إليك إنه صديق شهم يابنى ، اصبحت مدانا له بحياتك ...

وسالت ابى : من هو يا ابى ؟

اجاب بفخـر : صديقك احمد

صحت بصوتى الواهن : من .. احمد ؟ !

قال ابى : ـ نعم يابنى .. إنه نعم الصديق الوفى !

وشعرت بالهزيمة تسرى فى جسدى المحطم ، ورحت ابكى بالم وحرقة .. ياإلهى .. الانسان الذى طالما سقيته المر والحنظل .. يروينى من دمه الزكى ، وبمحض إرادته !!

مرت ايام وانا فى المستشفى ، اجتر الندم ، ونفسى تتمزق وبعد ان تركت المستشفى ، ذهبت مباشرة الى بيت هذا الصديق الوفى ـ احمد ـ واعتذرت له بصدق وإخلاص عن كل ما بدر منى .. وسامحنى .. والسملح من طباع الكرام .

إننى اليوم اصبحت انسانا اخر ، يختلف كلية عن ذلك الشخص المغرور الأنانى ، لقد خلقت خلقا جديدا .. واصبحت اقتدى بصديقى احمد ، ولم اعد اسمى « الزعيم » .. لقد مات الزعـــيم !!

صالح سالم عمير- عـدن

رءوف توفيق

فن إثارة التساؤلات

أصحاب الدخول الطفيلية يصعدون .. ويستحوذون ويفرضون سيطرتهم ومزاجهم الشخصى وجشعهم على مفردات التعامل اليومى!

حسين فهمى فى دور المدرس الشاب أمام خطيبته ناهد شريف .. لقطة من فيلم « انتبهوا .. ايها السادة »



كان من اهم الاحداث الفنية فى القاهرة ، خلال الفترة الاخيرة .. عرض فيلم « انتبهوا .. ايها السادة » للمخرج الشاب محمد عبد العزيز .

فقد لقى الفيلم بالاضافة الى نجاحه التجارى الهائل .. صدى مدويا بين المثقفين ورجال الفكر واساتذة الجامعات ونقاد السينما .. حتى كاد أن يشكل هذا الفيلم « ظاهرة » تستحق التوقف والتأمل !! .

والفيلم يعرض بجراة صعود طبقة اصحاب الدخول الطفيلية .. واستحواذهم على كل متع الحياة المادية .. وفرض سيطرتهم ومزاجهم الشخصى ، وسلوكهم الجشع ، على مفردات التعامل اليومى .. ابتداء من فرصة السكن الملائم ، فهم غالباً اصحاب العمارات الجديدة والغالية .. الى الذوق العام فى الثقافة والفن ، بعد أن صاحبت ظهورهم موجة رديئة من انتشار الثقافة الهابطة ورواج الفن الحسى !

وقد اختار مؤلف الفيلم « أحمد عبد الوهاب » أن يقدم نموذجاً لهذه الطبقة ، من خلال « زبال » ـ لعب الدور باقتدار الفنان محمود ياسين ـ كانت مهمته جمع القمامة من العمارات .. وذات يوم تجرأ ليدق باب احدى الشقق ليقدم نفسه لخطبة الشغالة التى كان يراها يومياً تفتح الباب له فى الصباح لتقدم صفيحة القمامة .. واستعد الزبال بارتداء القميص والبنطلون وتنظيف حذائه المهترىء .. ليواجه رب الاسرة التى

محمود ياسين فى لقطة من الفيلم



تعمل عندهم هذه الشغالة .. ولكن المفاجأة التى اربكته تماماً .. ان هذه الفتاة التى ظنها الشغالة ، ليست إلا ابنة هذا المستشار السابق الذى يعمل الآن بالمحاماة .. وهى ايضاً شقيقة هذا الشاب (يلعب الدور الفنان حسين فهمى) المنهمك دائماً فى البحث والتحضير لاعداد رسالة الدكتوراه فى الفلسفة ، والمدرس حالياً بالجامعة ! .

ويكون نصيب الزبال بالطبع من هذه المقابلة الصارخة الطرد والسخرية والاحتقار .. وتانيب لابنته على هذه البهدلة التى تبدو عليها حتى ظنها هذا الصعلوك ، شغالة ، وليست ابنته !!

ولا ينتهى الأمر عند هذا الحد .. بل كانت هذه مجرد البداية .. بداية احداث الفيلم .. والصراع المؤلم بين الجاهل الذى لا يملك غير فهلوته وحلمه المؤكد بالثراء بعد أن يصبح مسئولا عن جمع قمامة كل الحى والاستفادة من بيعها .. فى مواجهة المدرس الجامعى الشاب الذى لا يملك غير المنطق والفلسفة والتمسك بالمثاليات والاخلاق .. والقانون !!

فهذا المدرس الشاب الذى حصل بالفعل على الدكتوراه فى الفلسفة وأصبح يواجه طلبته فى مدرجات الجامعة يعلمهم الحكمة وتجارب الفلاسفة .. هذا المدرس يواجه مشكلة إتمام زواجه من خطيبته (ناهد شريف) التى طال انتظارها لمدة خمس سنوات فى محاولة من المدرس لاستكمال نفقات تاثيث البيت .. والاهم العثور على شقة خالية تضمهما معاً .. وبالطبع تبوء كل محاولاته بالفشل خصوصاً وانه يصمم على العثور على شقة خالية بدون دفع هذه المبالغ الخرافية التى يطلبها أصحاب العمارات كخلو رجل .. و « منطق » مدرس الفلسفة الذى يتمسك به .. ان دفع هذه المبالغ ضد القانون !! وهذا « المنطق » يثير غضب وسخرية والدة الخطيبة ، فهى ترى ابنتها تضيع منها سنوات شبابها فى انتظار بلا طائل .. وأمام منطق لا معنى له فى التعامل اليومى .. إنه منطق مكتوب فى الكتب فقط .. ولا يصلح للحياة العصرية ! .

وتضغط الفتاة على خطيبها المدرس الشاب ، ان يتنازل قليلا عن منطقه .. ولكنه يدافع عنه بجدارة وايمان .. وتحاول الفتاة ألا تخسره .. فهى تحبه ، وتفهم مثالياته .. لكن للضرورة احكام .. وبعض التنازل لا يضر فى سبيل اتمام الزواج .. وهو أيضاً يحبها ويفهم لهفتها ويدرك ضغوط والدتها ووصاياها الشرهة دائماً للنقود .. ويستسلم مرغماً امام الحاح الفتاة للبحث الجدى عن شقة !

ويقودهما سمسار العقارات الى عمارة جديدة لم يكتمل بناؤها .. ويقابلهما بصاحبها الذى كان يجلس على مدخل العمارة يدخن النرجيلة فى سعادة وزهو مرتدياً مجموعة من الملابس والالوان غير المتناسقة .. وتاتى المفاجاة المذهلة .. أن يكون صاحب العمارة هو نفسه الزبال القديم !!

ويحدث التعارف .. أو الماساه !

فصاحب العمارة يرحب بالمدرس الجامعى ، وان كان لا يعرف ولا يريد أن يوجع دماغه بالتخصص الذى حصل به على الدكتوراه .. فهو يعرف أن الدكتور لابد وأن يكون طبيباً .. اما هذا الشىء الذى يتكلم عنه المدرس الشاب ، فهو لا يفهمه .. ويحاول المدرس بغيظ شديد وبتافف أن يوضح له عمله « أنا أربى عقول » .. فيرد صاحب العمارة ، والزبال القديم ، بسخرية وفخر : « أنا بقى أربى عجول » !

والفرق بين الكلمتين حرف واحد .. ولكنه الحرف الذى يفرق بين أسلوبين فى الحياة !!

وتلعب احداث الفيلم على هذا الفرق الهائل المخيف !

فصاحب العمارة ، الانسان الجاهل .. أصبح فى ظرف خمسة اعوام مالكاً لعمارتين شاهقتين ، ومزرعة للمواشى ومجموعة من سيارات النقل .. غير سيارته الخاصة المكيفة الهواء ، وفيلا بحديقة رائعة يسكنها هو وزوجته وأولاده .. ولكنه يشكو من إبنه الصغير الذى ادخله احدى المدارس الاجنبية الخاصة ، فالابن لا يكف عن ضرب زملائه الذين يستفزون من حقيبته المدرسية المحشوة بمختلف اللذائذ من الشيكولاتة الفاخرة والفواكه الغالية الى علب المياه الغازية المستوردة .. الى مصروف العشر جنيهات اليومية !!

فالنقود لم يعد لها حساب .. كثيرة وتتوالد بسرعة !!

أما المدرس الشاب .. فهو لا يملك بمنطق الملكية المحسوبة بالارقام .. سوى الف وخمسمائة جنيه هى كل ما جمعه من رصيد عشرة اعوام عمل فى الجامعة وتاليف الكتب الفلسفية !.

النقود تحت اقدام الراقصات

وازاء كل الضغوط التى يرزح تحتها من إلحاح والدة خطيبته .. الى الانتظار

الذى تعانيه الخطيبة والذى بدأ يلون صوتها بالشكوى والتذمر .. يضطر المدرس الشاب أن يضع كل ما يملك فى يد صاحب العمارة ، بعد أن وافق الأخير أن يكون هذا المبلغ نصف قيمة الخلو المطلوب على أن يسدد المدرس بقية المبلغ بعد ذلك .. إكراماً للعلاقة القديمة

وحتى يهون صاحب العمارة من عصبية المدرس الشاب فهو يدعوه مع خطيبته ووالدتها الى سهرة فى أحد ملاهى شارع الهرم .. وهناك نكتشف مدى السطوة التى يتمتع بها صاحب العمارة .. الزبال القديم .. فهو صاحب المال الذى يبهر به عيون الجميع .. وفى لحظة انتصار مجنونة يقف صاحب العمارة يبعثر النقود التى استلمها من المدرس الشاب ، على جسد الراقصة المكتنزة ، والمغنى الذى يردد اسخف الكلمات ذات الايقاع الحسى .وتتناثر النقود على الارض مع دقات الموسيقى المحمومة !!

وتنتاب المدرس حالة من الذهول واليأس والتقزز ..

ويواصل صاحب العمارة استمتاعه بالحياة مستندا على ثروته .. ويلوح بالنقود والهدايا .. فيغزو بها بيت والدة خطيبة المدرس الشاب .. وتستجيب بسرعة الأم الشرهة للنقود .. وتبدأ فى التمهيد لزواج ابنتها من هذا الثرى .. فما الذى يجدى من انتظار هذا المدرس الذى يتحدث عن المنطق والمثاليات - ؟!

ويغزو صاحب العمارة ـ الزبال القديم ـ بيت المدرس الشاب ، ويداعب بنقوده أحلام الأب والأم فى الاستفادة من فرص الكسب التى يعرضها على الأب من خلال العمل فى قضاياه الخاصة بالعقارات !!

وهكذا يجد المدرس الشاب .. أنه يقف وحيدا فى مواجهة الانهيارات التى تحدث حوله بسرعة .

النهاية .. بالجنون

حتى كان آخر أمل بالنسبة له ، هو خطيبته الشابة .. ولكن حتى هى لم تستطع الصمود .. انهارت .. والقت بنفسها فى احضان الزبال الثرى .. ووافقت على الزواج منه ، لتكون الزوجة الثانية فى حياته !

محمود ياسين .. فى دور الزبال .. من فيلم « انتبهوا .. أيها السادة »



ولا يستطع المدرس الشاب أن يعى « منطق » الاحداث التى جرت حوله متلاحقة .. وفى مدرج الجامعة وأمام طلبته .. يلقى محاضرته بصوت متهدج .. وبعيون زائغة لم تعرف النوم .. وتختلط الكلمات فى ذهنه وعلى لسانه .. فما هى الحقيقة .. ؟!

ويهذى فى هيستيريا مجنونة .. وطلبته يتابعونه بدهشة .. ويجرى من مبنى الجامعة فى ذهول .. ليتوقف أمام تمثال نهضة مصر .. لتمر أمامه عربة جمع القمامة .. وينظر إليها فى ذعر .. كأنها هى الحقيقة المؤلمة التى حطمت حياته .. وتظهر على الشاشة عبارة « انتبهوا .. ايها السادة » !

الرغبة فى المعرفة .. والتساؤل

وينتهى الفيلم بهذه النهاية القاسية . الجاهل ينتصر بنقوده .. والمثقف ينهزم بمثالياته !

ولكن لماذا ؟! .. وما هى الظروف والعوامل

علينا أن نفكر .. وننتبه !

وبهذه الجرأة فى التناول والعرض

الطياران يتشاجران بعد سقوط الطائرة.. لقطة من فيلم «يوم طفت الاسماك



انتبهوا أيها السادة :
الجاهل ينتصر بنقوده
والمثقف ينهزم بمثاليّاته!

الفنى الشيق .. أصبح الفيلم مثار اهتمام وتعليقات كثيرة .

فقد اختار مؤلف الفيلم « احمد عبد الوهاب » .. شخصيتين متناقضتين تماماً .. لكى يلعب على هذا التناقض المثير ، فى تفاصيل الاحداث .. ولكى يبسط القضية التى يريد التذكير بها للوصول الى كافة المستويات من المتفرجين .

وقد نجح الفيلم فى إثارة التساؤلات .

وأى فن ينعش الرغبة فى المعرفة ، والتساؤل .. ويحث على القلق الصحى .. هو فى رأيى فن يستحق الاحترام .

انتباه .. المخرج اليونانى الكبير

وربما كان أقرب مثال على هذه النوعية من الافلام ـ فى السينما العالمية ـ هو فيلم « يوم طفت الاسماك ميتة » للمخرج اليونانى الكبير « ميشيل كاكويانس » الذى اطلق صيحته الشهيرة فى نهاية الفيلم : « انتبهوا .. انتبهوا .. انتبهوا من فضلكم » وينتهى الفيلم .. والنداء يدوى بلا انقطاع وفى رجاء مخلص ان ينتبه أحد للخطر الداهم !

فى ذلك الفيلم قدم صانع « زوربا اليونانى » نموذجا فريدا من سينما إيقاظ المشاعر ..

فقصة فيلم « يوم طفت الاسماك ميتة » تحكى بمزيج من الحكمة والسخرية عن سقوط طائرة عسكرية تابعة للجيش الامريكى تحمل صندوقاً اسود ضخماً ، بداخله قنابل هيدروجينية !

تسقط الطائرة فى البحر أمام احدى الجزر اليونانية الفقيرة .. ويتمكن الطيار ومساعده من النجاة بأنفسهما .. أما الصندوق الاسود المحمل بالخطر ، فهو يتدحرج على الصخور ليستقر فى مكان ناء ، ليكتشفه فيما بعد أحد الرعاة ويظن أن بداخله كنزاً .. ويستدعى زوجته فرحاً لكى ينقلا الصندوق الثقيل الى بيتهما الفقير !

بينما القيادة الامريكية تدبر ـ فى تكتم شديد ـ بعثة للبحث عن هذا الصندوق .. وتلجأ الى خدعة إرسال خبرائها على هيئة وفد سياحى الى هذه الجزيرة المجهولة .. تحت ستار انهم ينوون اقامة فندق سياحى وكازينو وتحويل الجزيرة الفقيرة الى بقعة سياحية رائعة !

ويأتى الوفد السياحى المزيف ، ويرتدون أغرب الملابس ذات الألوان المثيرة ـ زيادة فى التعمية ـ ويمارسون لهوهم ومتعتهم .. وتصدح الموسيقى الراقصة .. وينقلب حال الجزيرة .. جميع السكان البسطاء يتحولون بسرعة الى خدمة السياح والاستفادة من اموالهم الكثيرة !! .. وعمدة الجزيرة يجدها فرصة لكى يجذب انتباه الحكومة له .. فيسرع بالاتصال بالصحافة لتأتى لتنقل أخبار هذا الزحف العظيم من السياح .. وينتشر الخبر .. وتتوافد اسراب أخرى من السياح .. وينتشر الخبر .. وتتوافد اسراب اخرى من السياح الحقيقيين بعد أن اصبح اسم الجزيرة المجهولة على لافتات كل شركات السياحة ، على لسان كل هواة السياحة واكتشاف الاماكن الجديدة والمثيرة !!

وهكذا يتفنن المخرج « كاكويانس » فى استعراض عقلية الاثرياء الباحثين عن المتعة .. والفقراء الباحثين عن فرصة للكسب !!

أما خبراء الجيش الامريكى ، الذين يرتدون ملابس السياح الفاقعة الالوان فهم يتخبطون فى البحث عن الصندوق المحمل بالقنابل الهيدروجينية .. فى حين أن هذا الصندوق قد استقر داخل بيت الراعى الفقير الذى يحلم بالكنز بداخله .. وفى لهفة شديدة يحاول فض غلاف الصندوق المحكم .. تساعده زوجته فى تكتم شديد حتى لا يتسرب الخبر الى الجيران .. ويواصلان محاولاتهما فى داب واصرار مستميت حتى يفلحان فى النهاية فى فض غلاف الصندوق .. ليفاجأ بانه لا يحوى كنزا .. ولا شيئاً ذا قيمة ، سوى مجموعة من الكبسولات الصغيرة (اجزاء القنبلة) .. ولأنهما لا يعرفان كيف يتصرفان فى هذه الاشياء التى لا تساوى ـ بالنسبة لهما ـ أى فائدة فانهما فى النهاية يحملان الصندوق بما فيه ، ليلقيانه فى البحر !!

وتتسرب المواد المشعة فى المياه .. لتقتل الاسماك وتطفو ميتة على السطح .. وتتسرب المواد المشعة أيضاً الى آبار المياه .. ومواسير المياه .. وإلى الطعام .. تحمل الهلاك والموت !!

ولكن الكل يرقص فى لا مبالاة .. واهالى القرية يفتحون صدورهم للسياح .. والجميع مشغولون باللعبة البراقة .. ولا أحد ينتبه للخطر .. ويرتفع الصوت فى نهاية الفيلم محذرا .. ولكن الصوت يضيع وسط ضجيج الموسيقى الصاخبة .. ورقص الجميع .. والعبث الدائر ليل نهار ..

حافة الكارثة .. ومهمة الفنان

وفى حديث مع المخرج « كاكويانس » الذى كتب وأخرج وصمم ملابس هذا

العالم يتجه إلى الدمار
وهذا لا يدعو للتفاؤل
فمتى نكف عن الضحك ؟!

الرعب .. والرقص .. التناقضات التى ابرزها فيلم « يوم طفت الاسماك ميتة »





الفيلم .. قال يوضح وجهة نظره :

« إن رغبتى فى عمل الافلام ، ليست رغبة فى التعليم على الاطلاق .. فليست هذه هى الوظيفة المباشرة للفن أو الفنان .. ولكن الذى يحدث أن الفنان يجد نفسه مضطرا لأن يقول شيئاً فى لحظة معينة ، وإذا كان ما يقوله يسمى بالرسالة أو المهمة ،فذلك فى تقديرى وببساطة ليس إلا درجة من ادراكه ووعيه بما يحدث حوله . »

« وفى هذا الفيلم شعرت أن الاحداث تدور حولى ـ حولنا ـ وتحركنا كاننا عرائس خشبية .. وتقودنا الى حافة الكارثة .. ومن هنا صنعت هذا الفيلم .. وفيلمى يعكس وجهة نظرى أن العالم يتجه الى الدمار .. وهذا لا يدعو الى التفاؤل .. والفيلم يتساءل متى نكف عن الضحك، أمام خطورة ما نواجهه .. فالذى يضحك لن يلبث أن يتوقف عن الضحك فجأة.. بعد أن يكتشف أنه يضحك على نفسه » ؟!

وعندما سألوه : « هل تعتقد أن السينما وسيلة مؤثرة لمثل هذا النوع من الموضوعات » ؟!

أجاب بثقة : « نعم .. انها مؤثرة أكثر من أية وسيلة أخرى فى عصرنا هذا »!!

هل ننتبه

والقضية قديمة جدا .. وجديدة جدا أيضاً .

فعجلة الحياة الطاحنة .. وارهاق المتطلبات اليومية .. وازدياد الضغوط .. تجعل من الصعب على الفرد العادى أن يتوقف ، ويرفع رأسه ويتأمل ، ويسأل: لماذا ؟ .. والى أين ؟ .. وما هو الحل ؟

ومن هنا يكون دور الفن مؤثرا وفعالا .. إذا قام بهذه المهمة .. وطرح التساؤلات .. وايقظ الرغبة فى المعرفة .. فالمعرفة هى أولى خطوات البحث عن حل !

ولكن .. الكارثة الكبرى .. ألا يتوقف أحد .. وألا ينتبه أحد .. وان يلقى الجميع اجسادهم المرهقة ، واعصابهم المهدودة على وسادة من الراحة الكاذبة!! .

رءوف توفيق

موتولوج
جماعى

الفيل والشجرة

إسماعيل مصطفى تامر

ذهب الفيل العجوز ، يحمل سنواته بصمت إلى حيث كهف أجداده الموتى .. كل شىء فى كيانه تحول إلى نغم هادىء رزين ... ماتت الاسئلة جميعها .. وأزيلت جميع الحواجز بين جميع التفاصيل .

وخلال الطريق .. جاءت فراشة رقيقة وصارت تحوم حوله .. لم يلتفت إليها أول الأمر ، ولكنها شدت انتباهه بعنادها اللطيف ، ووجد نفسه يصحو من نعاسه وخدره اللذيذ ، فجلس عند باب الكهف والتفت إليها معاتباً :

ـ منذ متى وانت تلاحقيننى أيتها الفراشة ؟

ـ تذكر سيدى الفيل ..؟

ـ كيف يتسنى لعجوز مثلى أن تؤاتيه الذاكرة ..؟ هل تسخرين منى ؟

ـ أبداً ... وهل يسخر ضعيف من قوى .. ياسيدى الفيل ؟

ـ عزيزتى الفراشة ... انت شابة وجميلة ... لذلك انت قوية !! هل تتصورين ماذا تعادل قوة الجبل عندما يهرم ويشيخ كحالى ؟

ـ لا أبداً لم اتصور ذلك ؟

ـ إن الجبل حينذاك لا يعادل قوة حصاة صغيرة شابة !

ـ تعجبنى هذه المعادلة !

ـ والآن .. ألا تتركنى امضى فى طريقى الى الكهف ؟!

ـ ولماذا انت متعجل هكذا ؟

ـ لأننى لا أطيق البقاء زيادة على عمرى ولو دقيقة واحدة !!

ـ هل تعنى انك لست خائفاً ؟

ـ بل كل الخوف عزيزتى الفراشة !

ـ كيف تجتمع هذه المعادلة ؟

ـ كما اجتمعت من قبل الحصاة مع الجبل فى معادلة واحدة !!

ـ حدثنى عن هذا الخوف الذى تعيش .. ؟!

ـ يحكى ياعزيزتى الفراشة أن فيلا فى قديم الزمان .. وصل به الخوف لدرجة أنه تمنى على نفسه لو كان له عمر تلك الشجرة العتيقة التى عاصرت أجداد أجداده من الافيال وتعيش بعد إلى أبناء أبنائه ... وبينما هو فى تأملاته تلك إذ بصوت شجرى يهمس له :

ـ هل تتمنى حقاً أن يكون لك عمر تلك الشجرة ياعزيزى الفيل ؟!

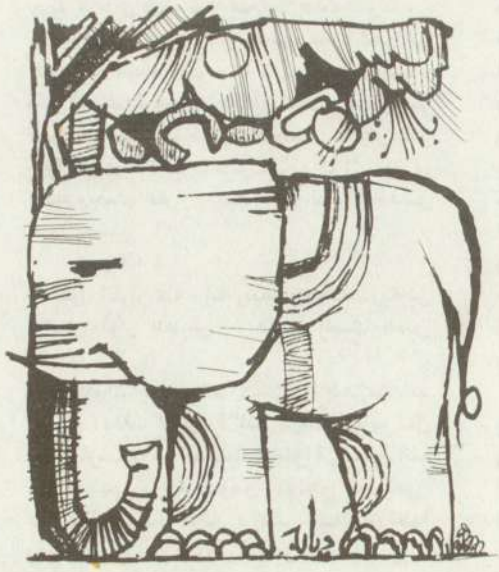
ودون أن يعرف مصدر ذلك الصوت أجاب « نعم .. بل ياليت » !!

وساعتها لم تبق شجرة فى ذلك العالم إلا تمنت أن يوهب له ذلك العمر الشجرى وتحققت الأمنية ، ولكى يطمئن الفيل أكثر ، تساءل مرة أخرى ؟ ولكن كيف اتحقق بنفسى من عمرى الجديد ... فأجابه الصوت الشجرى : انظر لتلك الشجرة فانك تهرم معها وتموت !!

وانطلق الفيل فى حياته المديدة .. بعد أن مسح الخوف عن قلبه .. ولماذا يخاف الآن ... إن لديه أجيالا كثيرة قبل أن يفكر به ... !!

وبدأ كل شىء ينسحب بهدوء من حياته ... زوجته ... والده .. والدته ... اصدقاؤه ومعارفه ... وكان عليه أن يبدأ من جديد .. وفى كل مرة كان ينظر للشجرة ليراها ما تزال على شبابها .. فليمرح إذن فالخوف ما زال بعيداً !!

ومرت الأيام وراء الأيام ، كان الخوف



بعيداً .. لكن شيئاً بدأ يتسلل ويقترب من حياته بهدوء ... ألا وهو التعب ... نعم لقد تعب الفيل ... بينما تلك الشجرة رفيقته ما تزال جذورها تمتد فى الارض .. بكل ما فيها من قوة النماء والازدهار !!

وفى مرة سألته الشجرة :

ـ عجيب .. كيف تتعب لهذه الدرجة وانت مثلى فى سن الشباب ؟!

ـ لا أدرى .. يبدو اننى لم ادخل التعب فى حساباتى ... لا أدرى كيف تسلل إلى حياتى ... ببساطة مللت كل شىء ... تصورى ... لقد حسدتك قبلا ... وما كنت احسبنى ساحسدك الآن ...

ـ قل لى .. كم مرة فارقت زوجتك ؟

ـ ألف مرة للآن !

ـ وحبيبتك ؟

ـ مرة واحدة .. دفنتها فى ذاكرتى العميقة .. بين أهلى واصدقائى .

ـ أليس لديك أصدقاء الآن ؟

ـ أبداً .. أصبحت غريباً عن جنسى .. مهجوراً كبيت تسكنه العفاريت !

ـ لهذه الدرجة ؟

ـ إننى مستعد لكى أبادل تعبى الذى اعيشه الآن ... بخوفى الذى فارقت ...

ـ لهذه الدرجة ..؟!

ـ توسلى لى ... بهذه الأمنية ... فأمنيات الاشجار لا ترد ولا ترجع خائبة ... وعند ذلك .. توجهت الاشجار بأمنيتها ، لكى يعود الفيل إلى خوفه ، وكما قال الفيل .. لا ترد أمنيات الاشجار ولا ترجع خائبة !!

وهنا .. همست الفراشة بجناحيها الشفافين بعيداً ... وأغفى الفيل المتعب على صورتها وهى تبتعد عنه وتصبح نقطة مبهمة ... وفى نومه .. حلم ذلك الفيل أنه صار فراشة رقيقة .. فراشة بكل ما تعنيه الكلمة ... وعندما صحا من حلمه لم يكن يعلم فيما إذا كان فيلاً يحلم بأنه فراشة ... أو أنه الآن فراشة تحلم بأنها فيل !!

اسماعيل تامر

يا مسلمي العالم إتحدوا





جمال الدين الافغاني



عبد الحميد الثاني



ابراهيم باشا



محمد علي باشا

حين سألوه عن ثروته وما احتازه من عقار ونضار ؟. اشار إلى صدره ، يقصد ما استوعبه من علوم وحفظه من معارف واحاط به من ثقافات

وسألوه عن ملابسه ؟ .. فاشار إلى جبته التى يلبسها .. وقال كنت فى أول السعى احمل معى جبة ثانية ثم طال عهدى بالنفى وادمنت التشريد فاستثقلت حملها .. مكتفيا بالتى على جسدى حتى تضيق او تتمزق ويصبح « التغيير » لا مفر منه .

وفكر السلطان عبد الحميد فى استرضائه وضمه إلى معيته فانعم عليه بملابس التشريفة المفضضة المذهبة والموشاه بما يخطف بريقه الابصار .. ورفضها صاحبنا وامتنع عن لبسها وقال « لا اريد أن اكون مثل البغل المزركش » .

ولما لم تنفع « البدلة » فى ترويضه .. حاولوا إغراءه بالزواج وشل حركته بحجة الاستقرار .. « ولا عليك فسنوفر لك مسكنا ونجرى عليك راتبا انت ومن تعول » ولكنه « فهم اللعبة » ورفض الزوجة والمسكن والراتب .

حتى خلانه حينما عرضوا عليه مبلغا من المال يستعين به على أهوال الغربة ومرارة النفى .. رفض هدية المحب « لأن الليث لا يعدم فريسته اينما ذهب » !

لا عقار ولا نضار ..

لا ثياب ولا منقولات ...

لا زوجة ولا ولد ..

لا .. لكل ما يوحى بالدعة ويغرى بالاستقرار ويحرض على إيثار السلامة .. وهكذا كان يزرع النار كلما سار .. ويستنهض الثورة حيثما حل .. هذا هو :

● جمال الدين الأفغانى !

حياته كانت دائرة ثلاثية الحلقات (نفى ـ اعتقال ـ غربة) .. ليس فقط منذ تزوج الثورة وادمن النفى وعشق الغربة .. بل وحتى وهو طفل لم يدرك حين صدر قرار بتحديد إقامة اسرته فى « كابول » .. وهى اسرة مسموعة الكلمة فى إقليمها « أسعد آباد » .. فالزمها حاكم البلاد بالتواجد فى « كابول » لتكون تحت سمع وبصر أجهزة الأمن المركزة فى العاصمة .. كان عمر جمال فى ذلك الحين « ثمان » سنوات !! .. وتدور الأيام ويصدر القرار بابعاد جمال الدين الأفغانى عن مصر

.. لماذا ؟

يقول القرار عنه « إنه رئيس جمعية سرية من الشبان ذوى الطيش .. هدفها إفساد الدين والدنيا » !!

يحفظ التاريخ للعالم الاسلامى « العز بن عبد السلام » وقفته الشهيرة التى ألهبت مشاعر أهل مصر وفرسانها من المماليك فقاتلوا فى سبيل الله صفا كأنهم بنيان مرصوص .. ونجح المسلمون لأول مرة فى صد طوفان « التتر » بعد أن ظلوا يعيثون فسادا فى الارض .. وهو فساد بلغ ذروته فى اجتياح « بغداد » عاصمة الخلافة ومهد الثقافة .. وخلا لهم الجو وساعدهم ضمور جناح المسلمين فظهروا وانتصروا .. ثم اندحروا وانكسروا فى مشهد درامى رهيب تلاقت فيه السيوف والابدان واسترخص الجمعان الارواح والمهج .. واحد بهدف الاجتياح الجائع المدمر .. والثانى بهدف الوفاء بالرسالة والنهوض بالأمانة وأداء لمقتضى الدور الحضارى و « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .. وشهدت « عين جالوت » أن قلب الاسلام لا يموت .

ويحكى التاريخ انه منذ هذه الوقفة الجليلة من عالم جليل .. خبا الضوء من الساحة ...

وعدمنا نظير العز بن عبد السلام العالم الثائر .. حتى ظهر « جمال الدين الافغانى » الثائر العالم .. ونقول الثائر العالم لأن الأفغانى كان ظاهرة فريدة فى تجسيده لفكرة الثورة .. الثورة بكل أبعادها على مستوى العالم الاسلامى مرورا من المحلية والاقليمية ولغة الجنس الواحد الى افاق العقيدة الأكثر رحابة والاوسع مدى .. وهو التجسيد المثالى لوصف العزيز الحكيم اتباع محمد بالمسلمين .. فحيث يكون الاسلام يكون جمال الدين الأفغانى يعيد ترتيب الصف .. ونافخا فى وهج الأخوة محاولا صهرها وصياغتها من جديد .. لتنهض وتقف مؤكدة وجهها الاصيل والمجتاح بعشرات الاقنعة منها القاهر الواضح ومنها الخفى المتسلل بهدف القهر .

كل ما حول الافغانى كان يغرى بالاستسلام وإيثار السلامة ويوحى بالقعود عن واجبات الكرامة . فالعدو ليس وراءنا او امامنا فقط .. إنه بيننا يحكم ويأمر ويجتاح ويستعمر ويثب او يستعد للوثوب . كلمته عليا وإرادته نافذة وهو على كل ضعيف قدير ! .. فقبل أن ينزل الأفغانى من سجن الرحم إلى سجن الحياة .. كان الانجليز قد نزلوا فى الهند وقبلها « عدن » وبعد الهند الشام بحجة التصدى لطموحات محمد على وابراهيم .. وفى إيران وباكستان حكموا من وراء حجاب .. كل هذا والدولة العثمانية التى هى التعبير الرسمى عن الامبراطورية الاسلامية كانت وكما يقول الدكتور محمد عمارة فى دراسته المتانية والناضجة عن « الافغانى » .. كانت قد وصل بها التفسخ إلى مستوى أصبحت معه جميع حدودها نوافذ يطل منها النفوذ الاستعمارى .. وكل شرايينها مسالك شبه معبدة يسرى من خلالها هذا النفوذ .

وهكذا كان ما حول الأفغانى يغرى بالاستسلام والسلامة ويوحى بالقعود عن واجبات الكرامة .. ولكن الأفغانى تعامل مع ما يعتقده فصلح فى المسلمين حى على الجهاد .. وقال للهنود المحتلين بجنود بريطانيا العظمى « لو كنتم ذبابا لصم طنينكم آذان بريطانيا العظمى .. ولو

كنتم « سحالف » وخضتم البحر واحطتم بجزيرة بريطانيا العظمى لسحبتموها إلى القاع وعدتم إلى « هندكم » أحرارا ».

ويطلق فى مصر شرارة الثورة الانسانية التى كان « عرابى » ذراعها ويدها المنفذة .. ويدخل «الافغانى» على السلطان عبد الحميد ـ وهو من هو ـ يرجوه أن يحله من بيعته لأنه ـ الخليفة ـ غير أمين فى خلافته على المسلمين ! .

ويجلس مع قيصر روسيا ولا يتحفظ فى الحماس لشورى الحكم .. فيغضب القيصر من جرأته وينهى اللقاء فى احتداد وجفاء .

فيض من غيض .. ما يمكن أن نذكره من لمحات نضال الافغانى الثائر .. والذى لم يكن مجرد « منظر ثورى » يتعامل مع الكلمات .. وإنما « مقاتل يومى » يتعامل مع المواقف .. كان هو الناطق بلسان عرابى أمام الخديو توفيق «والله لن نستعبد بعد اليوم » .. كان الافغانى هو الثائر والثورة فى كل مناحى نشاطه وتجليات إبداعه .. فى رسالته المعروفة باسم « الرد على الدهريين » يبرز منطق عنيف الحجة .. ملتهب التحليل والتعليل وهو يهاجم الفكرة الشيوعية لأنها تقرر الاشتراك فى المشتهيات .شيوعية الطعام والجنس .

تمحو حدود الامتياز .. تعامل الانسان على أنه آلة .

والنتيجة مساواة مسطحه فلا تفاوت فى الحظوظ ولا العقول فتميل النفوس إلى الاخذ بالاسهل فلا معاناة ولا تنافس ولا ابتكار .

« والدهريون » هو الاسم الذى يطلقه الافغانى على هذه الطائفة التى تسوى بين الانسان والحيوان فى لحظة النهاية .. متجاهلة أن الانسان سيدخل مرحلة الثواب والعقاب بسبب امتيازه كانسان .. ولهذا اشتق لهم الافغانى هذا الوصف من قول الله تعالى يصف فكر « الملحدين » « ولا يهلكنا إلا الدهر »

الأفغانى كتب هذه الرسالة الهجومية عام ١٨٨٠ .. قبل أن تظهر أول دولة شيوعية فى العالم بحوالى سبع وثلاثين سنة .. أى لم يكن يوجهها ضد « نظام » أو يواجه بها « سلطة » .. كان مجرد ناقد ومفصح عن وجهة نظر .. ومع هذا يبدو أنه ارتكب جريمة لا تغتفر .. فالسوفييت يبدو أنهم لا يزالون يذكرون هجومه القديم عليهم قبل أن يولدوا .. فارادوا الانتقام منه فى شخص شعبه .. واحتلوا « أفغانستان » فى نهاية العام الماضى (٧٩) وانتقموا منه ولا يزالون ينتقمون .. بعد مرور مائة عام على كتابة الافغانى لرسالته العنيفة التى هاجم فيها « الدهريين » فجاء «الدهريون» الجدد ليحاسبوا ويعاقبوا .

وافغانستان التى أنجبت الافغانى من مائة وأربعين عاما لا تزال تنجب الثورة .. وتابى ارتداء غريب الثياب .. ويسقط منها كل يوم شهداء قالوا ربنا الله ثم استقاموا فى جيش الثورة لمواجهة هذا الاستخفاف المتوقح بضمير المسلمين ودين المسلمين وأرض المسلمين .. و ..

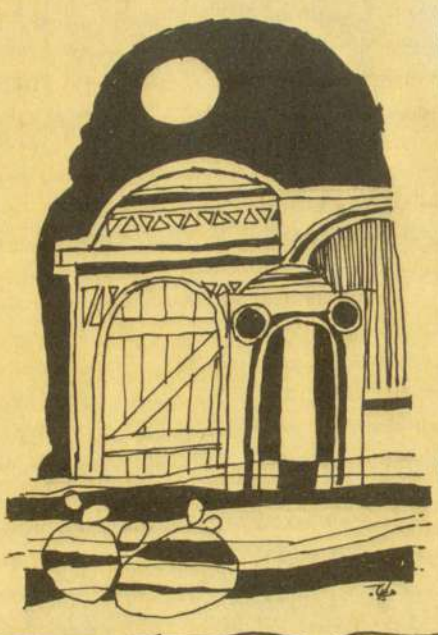
يا مسلمى العالم اتحدوا .

جحويات

جحا خطيب البلد



حينما مات امام المسجد
جد في الامر مشاهير الندي
من يولوه خطيبا بعده
فصلاة الجمع في بعد غد
ودعوا يا رب الهمنا الحجى
والهدى والحق حتى نهتدي
فاستقروا بعد لأي انه
ليس الاه أتى في الموعد
وتنادوا في الضحى قم يا جحا
نحن بايعناك فاخطب واقتد
فاعتلى المنبر أولى جمعة
صائحا في الراكعين السجد
ايها الناس : أتدرون الذي
سوف احكيه وماذا مقصدي ؟
فاجابوه جميعا كلهم
لا وقالوها بصوت واحد
قال لا جدوى من القول لدي
جاهل بالقول مهما ازدد
ثم جاءوه وقالوا اننا
قد عرفنا فاضفنا وجد
قال ما دمتم عرفتم ما الذي
يتبقى لي ؟ ٠٠ رشفتم موردي
فأراد القوم احراج جحا
رد كيد المستخف العامد
فاذا قال أتدرون الذي
سوف أحكيه وماذا مقصدي
قال بعض « لا » وباقيهم نعم
ليس عن « لا » أو « نعم » من منفذ
فادار الطرف فيهم باسما
وعيون القوم فيه تفتدي
ثم ألقى بعصاه فالذي
عنده علم يجد للفاقد !



المقامة السليمانية

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور



قال عبد الشكور المشهور بمعرفة الانام والدور :

عرفت سليمان ، فيما مضى من الزمان ، وكان يسكن فى شارع سليمان باشا ، فيه نشا وعاش ، وهكذا اجتمع الساكن والمسكون ، ولله فى خلقه شئون .

ولفتنى فى اول لقاء بضخامة الحجم ، وسطوع النجم ، فقد كان جسيما لحيما ، عظيما فحيما ، وجه ابيض مشرب بحمره ، وشارب يجعله يجاوز عمره ، فتحسبه تخطى الخمسين ، مع انه فى نحو الاربعين .. كل هذا إلى اناقة غير مسرفه ، ورشاقة ليست متكلفة ، مع صوت ، يوحى بان صاحبه يجيد التقاسيم ، وعلى هذا داخلتنى المهابة ، وصرت فى جملة الصحابه

وكان اول لقاء بيننا ، فى بيت صديق لنا ، وتعارفنا وتالفنا ، وراح يحدثنى عن ازمة الطاقه ، بطلاقة .. وفجاة تذكرت ان كل ما اسمعه من جمل مفيده ، قراته الصباح فى الجريدة ، اهذا إذن سر الطلاقة ؟ ، ومبعث الجمل الرقراقه ؟ ، وكتمت اكتشافى فى جوانحى ، ولم يبد شىء على ملامحى ، وارجعته الى تشابه الخواطر ، وسليمان كالبحر الهادر ، يصول ويجول ، وانا فى حال بين الدهشة والذهول ، والحق اقول .. ، حسدته لذاكرته إن كان ناقلا ، ولذكائه إن كان محللا.. ثم ونحن ننصرف والضيوف ، شكر سليمان الظروف ، التى اتاحت له لقائى والاستمتاع بحسن اصغائى ، اى والله وعن هذا اعتذر ، بنسيانه نفسه وكلنا بشر ، ويا حبذا لو رانى واعطانى عنوانه واخذ عنوانى .

ومضت الأيام فى طريقها العادى ، لاكتشف كم انا غبى ، فصاحبنا كان البرهان المبين على صدق القول الرصين ، « ترى الرجال كالنخل وما يدريك ما الدخل !».. وهكذا كان ، صاحبنا سليمان ، ابرز مافيه ، منطق المعاتبة ، ورغبة صبيانية فى التحدى ، تجعله كالممثل الكوميدى ، وحتى اسمه كان فكها ، ولم ار له شبها ، « سليمان نعسان » ، وكانه عنوان ، واحد من قصص الاطفال ، التى تحذر من الكسل والاهمال .

واكتشفت ان بيته فى المساء ، ندوة مفتوحة للاصدقاء ، وغير الاصدقاء ، وكنت تصحب معك واحدا او اثنين لزيارته، فيرحب بهما كانهما من قديم صحبته ، وقد ضمن له مسقعين ابرياء ، ساقهم الحظ إليه فى المساء ، حيث يروح يتحدث عن ازمة الاخلاق ، فى بلاد واق الواق ، والويل إن اعترضت ، والعتاب عليك إن اعرضت ، فقد كان سليمان، يهوى فك اللسان ، لايبالى إن كنت مستمعا او ممتنعا، فهو حر فى بيته ، ولا عليه إن جلجل بصوته

وهذا طبيعة ابن نعسان ، التى عرف بها بين الخلان ، فصاروا يعبثون به ، وهم إلى جانبه ، يتفقون على إثارته ، وتصعيد درجة حرارته

وكان يستجيب ، ويلبس عمامة الخطيب ، ويأخذ فى الربط بين الاحداث ، بمنطق ملتاث ، فاذا انقلبت سيارة فى طنطا ، فالسبب ما يحدث فى افريقيا الوسطى ، وإذا ارتفعت اثمان للسجائر ، فالمسئولة هى الجزائر ، وتساله ولماذا ليست بغداد ؟ ، فيجيب بثقة واتئاد ، فتش عن الاقتصاد ... عبارة كما ترى مهولة ، ولكنها فى فم الجاهل جهولة لاتخرج بطائل ، وهو يتحدث عاطلا على باطـــل

ويتفق اثنان ، على العبث بسلمان ، فيفتعلان مشاجرة ، بطريقة ماكرة فالاول يزعم ان مدينة « صرض قرض » تقع على خط ٣٦ عرض ، ويقسم الثانى فى الحال ، انها بعد ذلك باميال ، ويظلان يتلاحيان ، حتى ينخدع سليمان ، فيبدا يحدد موقع المدينة المزعومه

ونحن نعالج ضحكة مكتومة ، وهو يعيد توزيع الكرة الارضية ، بلمساته السليمانية . ونقلت صورة سليمان ، لصديق لى فنان ، يعمل بالتلحين ، وله فى ذلك اطايب وافانين ، فطلب ان يراه ، فذهبنا لسليمان إياه ، وكان « شوبان » قد دخل عليه ، وهو يقول ، غير معقول ويقبلنى من خدى ، والله زاد مقدارك عندى ، فقد اسعدتنى بزيارة الملحن المشهور ، الذى تناقلت الحانه الناس والطيور ، وكان واضحا ان «المشهور» زاره ليعبث ، إذ انه لم يلبث ، حتى اخبره ، بما هيج مشاعره ، اتفق مع احد مقدمى البرامج الاذاعية ، ان ينقل من بيت سليمان سهرة حية وتذاع انموذجا للسمر البهيج وتباع لاذاعات الخليج ولسليمان من حصيلة البيع الطارئه

ثلاثون فى المائه ، فيقسم سليمان ، باغلظ الأيمان ، ان كل مايستحقه من جنيهات ودنانير ، هو من حق الملحن الكبير ، ويكفيه شرف الصحبه ، وكريم النسبة ، ثم إنه والحمد الله كثير الفىء ، ولا ينقصه شىء ، وامر بالأطباق والاكواب ، وقد ملئت بما لذ وطاب ، وسال سليمان عن موعد تسجيل السهرة ، حتى يؤخذ على غرة، فالاستعداد مطلوب حتى لا يقع الطوب فى المعطوب ، فاخبره ان تحديد الميعاد متروك له حسبما اراد ، ولكنه إن عجل ، يكون افضل ، فمخرج البرنامج سعيد محمود ، سيسافر قريبا « هوليود » لنيل الدكتوراه الفخرية ، فى الدراما الاذاعيه .

والتفت سليمان إلى الموسيقى الذى هو صديقى ، وساله إن كان للمخرج أن يؤخر سفره ، حتى ينهى امره ، فساله الموسيقى عن الأمر ، فاجابه ليس منه مفر ، فلابد من الرجوع للانسكلوبيديا ، ليكون جاهزا للغيث ، واستشارة بعض القواميس ، حتى لا يفاجا بسؤال عويص ، فالسهرة مذاعـه ، كما انها مباعه ، ولابد من اخذ الاهبه ، فالمسالة ليست لعبه ، فقال له إن ميعاد السفر تحدد ، بعد يوم غد ، ولاداعى للكاعه ، فليس امامنا إلا اربـــع وعشرون ساعة ، ثم إنه كلما كانت السهرة عفوية ، اعطاها ذلك حيويه ، .. ونظر سليمان إلينا وفكر ، وبان على وجهه انه تعكر ، ثم انفرجت اساريره وعلا زئيره : سنسافر معه هوليود ، وهناك نسجل البرنامج الموعود ، وفيها الاطلاع مباح ، والتنقيب متاح .. واثارنا هذا التصريح وتابع هو التوضيح : ونفقات السفر والاقامة ، إلى العودة بالسلامة ، يتحملها جيبه الخاص ، دليل المودة والاخلاص .

ونظرناه غير مصدقين فراح يقسم بالطلاق والدين ، ان هذا هو المفروض حتى يكون البرنامج «جود فرى جود » وسايرناه على هواه ، واستمر يغـنى على ليلاه ، فقد اعجبه ما اقترحه ، وراح يزيد شرحه

بينما امسك صديقى الملحن ، بعوده وراح يدندن ، زاعما انها «الاوفرتيره » ، وقد راعى الا تكون طويلة او قصيرة ، لتناسب الوقت المحدد ، للبرنامج الاوحد ، فتتخايل نشوة سليمان ، ويتمايل مع الالحان ، ثم اخذ علينا المواثيق والعهود ، ان نستعد لرحلة هوليود .

ونزلنا نضحك ونعجب ، لسرعة ابتلاعه المقلب ، رغم ما يتظاهر به من ذكاء ، وما يبديه من تفتح ومضاء

وسالنى الملحن عن جدية فكرته الملتاثه ، بشان سفرنا نحن الثلاثة؟ فاكدت له انها فورة وتنجلى ، وما اكثر حماسة السبهللى ، ولكن

سليمان لم يكذب خبرا ، فقد حدثنى فى اليوم التالى وهو ممتلىء بشرا ، وقال أنه حجز التذاكر ، للسفر فى باكر ! .

وعلى الفور اخذت طريقى ، الى بيت صديقى الموسيقى ، فقد انقلب المزاح الى واقع ، رغم لونه الفاقع .. ورحنا نبحث الأمر بامعان ، ماذا نفعل مع سليمان ، حتى لا نوقعه فى ورطه ، بسبب هذه الخطه ، هل نخبره بتأجيل التسجيل ، أم أن المخرج مريض وعليل ، ام نقول له الحقيقة ، ولعلها تكون موقظة مفيقه كل هذا فكرنا فيه ، واخذنا باطرافه وحواشيه ، دون أن نصل إلى قرار فى أمر ذلك الجد أو الهزار ، واتفقنا على أن نلزم السكون وليكن ما يكون .. وقد كان بالفعل ما كان ، من عجيب مفاجات الزمان ، فسيارة سليمان دخلت فى اتوبيس ، واصبحت «هردبيس» . أما هو فنقل للمستشفى وقد كاد هيكله يخفى ، ولكن الله سلم وستر ، فجاوز مرحلة الخطر ، وزرناه أكثر من مرة ، وهنأناه بالنجاة من المضره ، .. والمضحك انه سألنا عن المخرج إياه .. وهل نال الدكتوراه ؟! فقلنا راح هوليود ولن يعود .. فقد تعاقد مع الاذاعة الهوليودية ، لتقديم برنامج بالأفلاك الصناعية ، يصول فيه ويجول ، وعنوانه أصحاب العقول ! .. ولم يفهم سليمان المقصود ، وراح يتحدث عن « الفردوس المفقود » وهو يقصد هوليود !

ومازال سليمان حتى الان ، يجمع فى بيته الأحباب والخلان .



النائم العاحى



كان المظنون أن الذئب اذا نام أغلق عينا وفتح أخرى لسده حذره وخوفه أن يفاجأ بمكروه .

وفى هذا يقول الشاعر

ينام باحدى مقلتيه ويتقى

باخرى المنايا فهو يقظان هاجع

والقائل هو « حميد بن ثور » كما ورد فى صفحة ١٠٣ من ديوانه المطبوع .. ونحن نقبل كلام « حميد » على أنه من قبيل التشبيه المحذوف الاداه أي « كأنه ينام باحدى مقلتيه » وقريبا من هذا يذهب الجاحظ امام العربيه حين يقول بالحرف الواحد « والشاعر قال ذلك على المثل لا على التحقيق » .

واذا حدثت معجزه وخرج حميد من قبره البعيد وزار حديقة الحيوان المفتوحه في كينيا فسيرى الذئب ينام مثل بقية خلق الله عيناه الاثنتان مغلقتان ، ليس لانه تحقق من الامان .. وانما لان هذه طبيعة الحيوان . ولو أنك فتحت عين النائم فلن يشعر بك ولن يراك .. لان مراكز الرؤيه في « مخه » قد نامت .. ولولا هذا ما انطبق الجفنان ..

.. والنوم سلطان !

اليوم وغدا



لكل عصر مواصفاته الخاصة في موضوع الجمال الانثوي .. أجدادنا القدامى كانوا يرغبون عن العجفاء، ويؤثرون العبلاء، (الممتلئة الجسم) .. واستقوا من الصفة اسما أطلقوه على بناتهم فقالوا (عبلة) .. فان كان ولابد من النحافة فلا بأس .. شريطة أن يقابل نحافة النصف الاعلى .. جسامة الادنى وكما يقولون « اعلاهن قضيب واسفلهن كثيب .. ولهذا النوع غنى اسحق الموصلي :

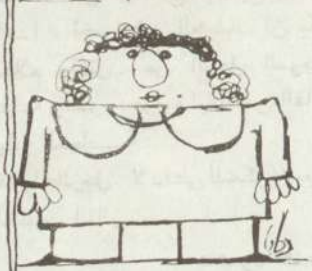
ظبا، كالبعافير كنوس في المقاصير ..

وادبرن باعجاز كأوساط الزنابير ..

وكما اسرفوا في هجو النحيفات .. تطرفوا في امتداح السمينات يقول المتطرف :

من راي مثل نعمتي تشبه البدر اذ بدا

تدخل اليوم ثم تدخل اردافها غدا



يستغرق دخولها يومين .. اليوم الاول لنصفها العلوى .. والثاني للمؤخره « تاتا .. تاتا » .. نعم .. لكل عصر مواصفات .. وتذوقات .. ولكن ماذا عنكم انتم ؟!

كلمات لها معنى..

ليس من الصعب أن تضحى من أجل صديق ، ولكن الصعب هو أن تجد الصديق الذى يستحق تلك التضحية

سقراط

أن وقوفى لحظة فى قفص الاتهام ينسينى الف كتاب قرأته عن الحرية

فولتير

لاتسأل الوطن ماذا كسب ، بل سله ماذا وهب .

غاندى

الغضب درع يطفىء سراج العقل .

الانسان يولد ويموت ، ولكن بين موته وولادته يصنع حضارة

برناردشو

أعظم النساء هى المرأة التى تعلمنا كيف نضحك ونحن نُبكى .. وكيف نبتسم ونحن نتألم .. وكيف نحب ونحن نكره .

إن الذى يفرط فى حقوقه وفى الحرية وجوهرها ليشترى بها مقداراً من الطمأنينة المؤقته ، لا يستحق الحرية ولا الطمأنينة .

(فرانكلين)

محمد عمر السباعى
سوريا



الوصية العاشرة

● قال أحد الحكماء لابنه : أوصيك بعشرة أشياء فاحفظها تسلم :

لاتشارك غيوراً ، ولا تجاور جاهلا ، ولا تساكن حسوداً ، ولا تناهض من هو أقوى منك ، ولا تؤاخ مرائيا ، ولا تكثر مجالسة النساء ، ولا تصاحب بخيلا ، واشكر ربك فى العسر واليسر ، أما الوصية العاشرة وبها سلامة نفسك .. لا تستودع سرك أحداً .

تاج السر حسن - السودان

المستمع الوحيد



● خلال اجتماع عام فى قاعة القرية شعر خطيب الحفل بقلق شديد حين بدأ المستمعون ينسحبون تدريجيا من القاعة .. ولكنه استمر فى خطبته دون أن يعير ذلك اهتماما الى أن خرج الجميع ولم يبق إلا واحداً . أخيرا قرر الخطيب أن يكف عن الكلام واقترب من الرجل الموجود فى القاعة وشكره بحرارة لبقائه فى القاعة حتى نهاية الخطبة .

فقال له الرجل : لا داعى للشكر ياسيدى فأنا الخطيب التالى .

محمود حلمى عباس
ج . م . ع

لقطة الشهر



فازت بالجائزة وقدرها مائة ريال : القارئة خولة عبد المجيد جعفر - العراق

أيهما أوفر؟

● كانت أجرة الاتوبيس على خط احدى القرى عشرة قروش ، وأجرة السيارة على نفس الخط عشرين قرشا . ذات يوم أراد أحد القرويين السفر للمدينة القريبه بالاتوبيس ، لكنه قبل أن يصل الموقف بثوان إنطلق الاتوبيس ، فأخذ القروى يركض خلفه ، ولكنه لم يستطع اللحاق به ، فوصل الى المدينة راكضا .. وهناك التقى بأحد اصدقائه . وقال له : أتعرف ؟ لقد ركضت خلف الاتوبيس ، ووفرت عشرة قروش .. فقال صاحبه : أيها الأحمق ، لو أنك ركضت خلف السيارة لوفرت عشرين قرشا . !!



عمر عبد الصمد
الأردن

أدب اضطرارى

● اعجب الضيف بطفل الاسرة الذى ظل هادئا مؤدبا طيلة السهرة .

وقبل أن يغادر الضيف الدار ، إقترب من الطفل وربت على رأسه قائلا :

ـ هل أنت هادىء هكذا دائما ياعزيزى؟

فهز الطفل رأسه وقال :

ـ كلا يا سيدى ، ولكن أمى وعدتنى بليرة اذا لم أسخر من انفك الكبير .

وحيد البيرن
اللاذقيه

فرصة أخيرة

● بعدما عاد الرجل وسائقه الى المنزل قال لزوجته :

ـ ياعزيزتى .. هذا آخر يوم يقضيه معنا السائق قبل أن أطرده .

ـ ولماذا ؟

ـ ألا تعلمى أنها المرة الرابعة التى ننجو فيها باعجوبة من موت محقق- ؟

فأجابته الزوجة :

ـ لا تظلمه ياعزيزى .. دعه يجرب حظه للمرة الأخيرة . !

محمد الدهبى ـ المغرب

أقصر الطرق



● قام السلطان بتأليف قصيدة شعر وطلب من الحرس أن يقوموا باحضار جحا لكى يبدى رأيه فيها بوصفه شاعرا كبيرا .. وحضر جحا بالفعل واستمع الى القصيدة وأبدى إستياءه منها قائلا انها سيئة ولا تمت للشعر بأى صلة !! فغضب السلطان وأمر بمعاقبة جحا بوضعه فى إسطبل الخيول لمدة شهر كامل !! ..

وبعد مرور الشهر ! استدعى السلطان جحا مرة أخرى والقى عليه قصيدة جديدة قام بتأليفها وقبل أن ينتهى السلطان من إلقاء قصيدته قام جحا وجرى مسرعا ناحية الباب فقال له السلطان : إلى أين ياجحا ؟ فقال جحا : إلى الاسطبل يا مولاى !!

محمد عبد المقصود
ج . م . ع

سوء فهم

● قالت السيدة مشجعة ابنها :

ـ هكذا أريدك أن تتعامل مع جميع الناس ، فهنيئا لك بمصالحة ابن عمك ! .

فهز الابن كتفيه فى غير مبالاة ، ولكنها استطردت قائلة :

ـ لقد رأيتك واقفا معه جنبا الى جنب ، وأنت ترد إليه نقوده .

وعندها أجاب الابن فى هدوء :

ـ ليست نقوده ، لكنها أسنانه !

محمد الدهبى ـ المغرب

أين وعدك؟



● كان أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى قد وعد أحد الشعراء بجائزة ، ونسى وعده ، ثم اتفق أن حج الشاعر مع المنصور ، وفى المدينة مرا ببيت عاتكة .

فقال له الشاعر : يا أمير المؤمنين ، هذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الأحوص :

يابيت عاتكة التى اتعزل
حذر العدا وبك الفؤاد موكل

فأنكر عليه المنصور قول الشعر بدون سؤال منه ، ثم خطر بباله القصيدة التى منها هذا البيت ليعلم ما أراد قوله ... فاذا فيها :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم
مذق الحديث يقول ما لا يفعل

فتذكر الخليفة ما وعده به ، وفهم انه يلمح الى هذا البيت ، وأجزل له العطاء .

سماح عبد الله الأنور
ج . م . ع

تنفيذ التعليمات



● كانت الأم تود الخروج فأعطت تعليماتها لطفلتها التى تبلغ السادسة من العمر فقالت لها :

إذا تحدث أحد بالتليفون فيجب أن تقولى له بكل أدب وصوت هادىء :

ـ لقد خرجت أمى ، اعطنى من فضلك اسمك ورقم تليفونك .

وبعد أن خرجت الأم ، دق جرس التليفون ، فأجابت الطفلة :

ـ لقد خرجت أمى . اعطنى من فضلك اسمك ورقم تليفونك .. ولكن بكل أدب وصوت هادىء .

فوزية عبد الجليل عماشة
بور فؤاد ـ مصر

حل مسابقة من . أين . ما

عدد ٥١



من : السندباد البحرى
أين : اليابان
ما : المسك

١) غير صحيحة لأنه اذاب الذهب فى الماء الملكى المكون من حامض الايدروكلوريك والنتريك .
٢) السليولوز
٣) سيشل .
٤) أحمد رامى
٥) ٣٠٣
٦) هانيبال القرطاجى
٧) عمران
٨) اسبانى
٩) الرخويات
١٠) ١٩٤٧

من . أين . ما

من :
مؤرخ مسلم عاصر أول اتصال بين قطر عربى عريق والحضارة الغربية المعاصرة كان فكها عذب الاسلوب اسمه من سبعة أحرف :
٣ ـ ٥ ـ ٤ داء يصيب الجلد
١ ـ ٢ ـ ٦ ـ ٧ اسم موصول

أين :
بلاد شاسعة مليئة بالاعاجيب حكمها المسلمون قرونا ثم دالت دولتهم بفعل الغزو الاوربى الذى انتهى بتقسيمها أشلاء اسمها من خمسة أحرف :
٢ ـ ٤ حرف نفى ناصب
٤ ـ ١ ـ ٣ ـ ٥ اسم أنثى



ما :
سائل أسود كريه الرائحة يقبع وراء المشاكل السياسية العالمية لا يزال أهله لا يحسنون التصرف به لصالح مستقبلهم ، اسمه من خمسة أحرف .
٤ ـ ٣ ـ ٥ زاحف صحراوى سريع
٢ ـ ١ أقلع عن ذنوبك .

نتيجة مسابقة شهر مارس ١٩٨٠

● فاز بالجائزة الاولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة أشهر القارىء عوض على المرزوقى : السعودية .

● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة أشهر القارىء أمين على نعمان ـ الجمهورية العربية اليمنية .

● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة أشهر القارىء اسماعيل الشاهد ـ تونس .

الفائزون باشتراك مجانى لمدة سنة

١ـ نواف يوسف العبد الله ـ البحرين
٢ـ ناصر شريقى بن عبد الحليم ـ سوريا
٣ـ نعيمة ابو زيد حسد ـ ج . م . ع
٤ـ احمد فخرى عبد السلام ـ الاردن
٥ـ عبد الرحمن عبد السلام عثمان ـ السودان
٦ـ خلود على الجابر ـ قطر
٧ـ سليم عبد المجيد سلامة ـ ج . م . ع
٨ـ يسرى ابراهيم ـ السودان
٩ـ مى غصون خميس ـ قطر
١٠ـ على مساعد الهمامى ـ السعودية
١١ـ عبد الملك الضحيانى ـ الجمهورية العربية اليمنية .
١٢ـ بهية عبد الجليل عماشة ـ مصر

الجواب الصحيح



١) يصنع الحبر الاسود من ثلاث من المواد التالية ، ماهى :
السناج ـ النشا ـ الماء ـ الفحم الحجرى ـ الصمغ العربى ـ الفينول .

٢) أيهما حفرت قبل الأخرى ، قناة لسويس أم قناة بنما ؟

٣) يقع مستوى قاع منخفض القطارة بالصحراء الغربية المصرية و لدى حال دون المارشال روميل وغزو مصر فى الحرب العالمية الثانية ، تحت سطح البحر بمقدار :
٥.٧ مترا ـ ١٣٤ مترا ـ ٥ر٢٧ مترا

٤) رتب المدن العربية الآتية من الاقدم الى الأحدث :
القاهرة ـ الدوحة ـ بغداد دمشق ـ القدس .

٥) صاحب كتاب الموطأ فى الفقه هو :
الامام مالك ـ الشيخ حسن البنا ـ أبو الحسن الندوى .

٦) الحيوان المسمى خيار البحر من مجموعة الحيوانات :
الجلد شوكية ـ القشرية ـ الاسفنجية .

٧) وانى لأهوى الليث يستعذب الطوى
.. أكمل البيت وانسبه الى قائله

٨) « يلد الثعبان صغاره تحت شجر الخروع شتاء » .
هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟

٩) يستخرج (الرباد) من :
غدة حيوان ـ برعم زهرة ـ جذر القصب ـ ورق الحرمل .

١٠) يتركز اتباع مذهب الاباضية فى :
الباكستان ـ عمان ومسقط ـ جزيرة سومطرة .

حـــاول أن تعـرف



مدينة عربية

مدينة فى المغرب العربى ، خاض شعبها معركة طويلة من أجل التحرير ، وتبلغ نسبة النساء العاملات ٩٠ فى المائة من تعداد النساء .. هل يمكنك التعرف على المديئة؟



هذا الفنان العالمى

هذه اللوحة لفنان عالمى ارسى دعائم الحركة التكعيبية ورغم تحولاته العديدة فقد ظل يحترم جوهر القانون الطبيعى فى صوره .. هل يمكنك التعرف على الفنان ؟

حل حاول أن تعـرف عـدد ٥١





● الروائى الفرنسى الشهير هو الكسندر ديماس (الاب) .

ـ اسماء الفائزيـن عن الصورة الاولى :
* عبد القادر ديرى ـ سورية
* هيثم سعد الموسى ـ أم القيوين

● الفنان الفرنسى هو بيير أوجست رينوار .

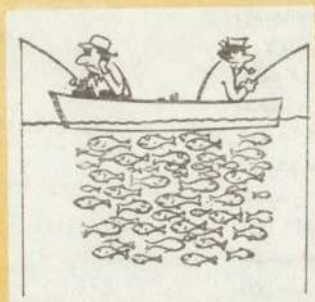
ـ اسماء الفائزيـن عن الصورة الثانية :
* محمد رضـا محمود ـ منيا القمح ـ مصر
* فوزية محمد بندارى ـ مصـــر

كاريكاتير وتعـليق

ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال



حل مسابقة كاريكاتير وتعليق العـدد (٥١)



سمكة لزميلتها : حان الوقت لنتعلموا أن السمك يجب أن يحصل على عطلة اسبوعية !
* مهذب محمد
ج . م . ع

الصياد لزميله : يبدو اننا نسينا وضع الطعم فى السمارة !
* شاع السر فايت
السودان

الصياد لزميله : امتأكد اننا لا نصطاد فى المحار الميت ؟
* محمد مهدى
القاهرة

سمكة لزميلتها : اليم اقل لكم ان عدم الاصطياد هو الحل الوحيد .
* نظام حسين
العراق



الورقة الأخيرة

عندما يتحول الإنسان إلى حشرة !!



فرانز كافكا

الكاتب التشيكى فرانز كافكا ، يعرفه خاصة القراء بروايته الطويلة الشهيرة « المحاكمة » . واذكره بروايته القصيرة «المسخ» او « التحول » . إنها نموذج فنى فريد لاثارة الدهشة فى العقل ، ورؤية شديدة النفاذ إلى أزمة الوجود الانسانى فى كل زمان ومكان .

المسخ ، وافضل « التحول » عنوانا لها .. تحكى قصة التاجر المتجول الشاب « جريجور سامسا الذى استيقظ من نومه فى الصباح ليجد نفسه قد تحول إلى حشرة كبيرة ! ماذا حدث ؟ إنه لا يحلم ! هاهى ذى غرفة نومه بسريرها الصغير . وهاهو ذا يرقد بين جدران الغرفة التى الفها والفته . وتلك هى بعض عينات الملابس لازالت فى ربطتها على المائدة ! وتستدير عينا سامسا تجاه النافذة ، حيث زخات المطر تهمى على الزجاج ، بينما عقله يوشك ان يجن ! ماذا لو عاود النوم ثانية لينسى كل هذا العبث ؟ لكنه لم يفعل . لقد اعتاد أن ينام على جنبه الأيسر ، وفى حالته الآن كحشرة لا يستطيع أن يستدير بجسده على الفراش . وبالرغم من قسوة المحاولات التى أرهق بها جسده كى ينقلب على جنبه الأيمن ، فانها جميعا تبوء بالفشل ، ويعود ادراجه للرقاد على ظهره مثلما كان . حاول ذلك على الأقل مئات المرات مغمضا عينيه كى لا يلحظ هذا الصراع العنيف الذى تبذله سيقانه العديدة الرفيعة . حاول على مهل ان يدفع جسده طوليا تجاه الوسائد فاستطاع أن يريح وضع راسه اكثر ، لكنه عاد مرة اخرى إلى وضعه السابق ، واخذ يفكر فى عمله ، ووالديه ، والديون التى عليهما . ماذا يصنع الآن ؟ هل هو مريض ؟ واحس بالجوع على غير العادة . وبينما كان ذلك يدور فى عقله بسرعة شديدة عاجزا عن مغادرة السرير ، وصلته دقات حذره على باب الغرفة : جريجور ! وكشف الصوت عن امه : إنها السابعة والربع .. هل فاتك القطار ؟ اراد ان يجيب باسهاب ويفسر كل شىء . لكنه اكتفى بـ : نعم . شكرا يا امى . إننى استيقظ الآن ! وتمنى لو ان الباب الخشبى بينهما قد اخفى التغيرات التى حدثت فى صوته ! ها هو ذا صوت ابيه ياتيه قلقا من وراء الباب : جريجور .. ماذا حدث ؟ وبعد لحظات ناداه بصوت اكثر حدة : جريجور ! من الجانب الآخر جاءه صوت شقيقته خافتا : جريجور .. الست بخير . هل تحتاج الى شىء ؟! اجابهم جميعا : إننى اتهيا للنهوض . وبذل جهده لكى يبدو صوته طبيعيا وكلماته واضحة ومتانية . عاد ابوه إلى إفطاره ، لكن شقيقته همست : جريجور .. افتح الباب . ولم يفكر فى ان يفتح الباب .

الآن تستبد به الرغبة فى ان ينهض ، ويرتدى ملابسه ، ويتناول إفطاره . لكن ما هى الأشياء الأخرى التى يمكن ان يؤديها وهو هكذا فى السرير ؟!

لا يذكر غير انه كان يشعر بصداع والم . لكنه الآن يشعر بتغير فى صوته مثلما يشعر بحاجته لأن يكون له اذرع واياد تمكنه من النهوض . إنه الآن يملك العديد من السيقان الرفيعة التى لا تتوقف عن الحركة فى كل اتجاه ، لكنه لا يملك التحكم فيها . عندما حاول بعد عناء ان يثنى واحدة من تلك السيقان ، راحت كل السيقان تتحرك بشدة ! ماذا يمكن عمله الآن ؟ لقد فكر فى ان ينهض من السرير بالجزء الأسفل من جسده اولا . لكن هذا الجزء الذى لم يتمكن من رؤيته حتى الآن ، لم يستطع التحرك . فلما استجمع كل قوته مرتكزا على السرير لكى يندفع ، أدرك ان الجزء الأسفل من جسده هو الأكثر حساسية ! حاول ان ينهض الجزء الأعلى من جسده . وبصعوبة حرك راسه تجاه حافة السرير . وبالرغم من صعوبة التنفس ، فقد تمكن من متابعة تحريك راسه . فلما اصبحت راسه على حافة السرير ، احس انه لكى يترك جسده يسقط من فوق السرير ، فانه سوف يحتاج الى معجزة تحمى راسه من التهشم . وفى كل الحالات عليه ألا يفقد وعيه تماما ، خاصة الآن . وعليه من جديد أن يحاول بنفس المجهود المضنى ، لكى يتخذ وضعه السابق فى السرير ، محملقا فى سيقانه الصغيرة الكثيرة وهى تصارع بعضها البعض فى ضراوة اكثر من ذى قبل !

... بعد هذه المعاناة الباهظة من الاحساس بتحول الانسان إلى حشرة ، ومن الحالة المخجلة التى آلت إليها آدميته ينزوى جريجور فى غرفته منبوذا من هذا العالم ومن نفسه . تشفق عليه الأسرة بادىء الأمر ، ثم لا تلبث أن تشعر بالعار من تحول أحد افراد العائلة إلى حشرة .. إلى عبء ! حتى شقيقته التى كانت تتمزق الما من رؤيته وهى تنظف غرفته وتقدم له الطعام فى سريره ، ضاقت ذرعا به فيما بعد ، وراحت تلقى له الطعام من فرجة الباب ، عائدة ادراجها مقززة !

ولأن جريجور كان عائل اسرته . ولأنه لم يعد يعمل .. فقد تحول ابوه إلى العمل ساعيا فى بنك . مثلما تحولت بعض غرف البيت إلى « بنسيون » يستقبل النزلاء بالأجر . وفى إحدى الأمسيات تعزف شقيقته على الكمان للنزلاء ، فينجذب جريجور إلى صوت الموسيقى مخاطرا بالخروج من غرفته . فلما يفاجاون به بينهم ، يصابون بالرعب ، وعندئذ يتضافرون فى دفعه مرة اخرى إلى غرفته ، وإغلاقها عليه !!

وهكذا يمضى ليلة شرسة الاحساس بالانسحاق والمهانة ، تنتهى بموته فى اليوم التالى !

هنا تجالد الأسرة ، كى تخفى سعادتها بحادث التخلص من العار و العبء . فلما ينتهى الأب والأم والأخت من دفنه يتظاهرين بالحزن العميق ، يود بداخلهم إحساس بالسعادة اشد ، لأنهم دفنوا عارهم إلى الأبد . ولولا خجلهم من فكرة الموت ، لعبروا عن بهجتهم تلك بلا ادنى خجل !!

• •

تلك هى قصة « التحول » بايجاز شديد ، تعصف بعقلى ذات امسية شديدة الوطء على روحى بحزن إنسانى مخيف ! إنها تعبير عن ظاهرة الصراع الساحق بين سطوة القوة ، وعزلة الفرد الأعزل فى عصرنا الحديث . بين هرمية القوى من اعلى إلى اسفل . بين ان يكون الانسان والا يتاح له أن يكون ! وهى تشخيص حاد الرؤية لتهرؤ العلاقات الروحية بين الانسان والوجود . وبين الانسان والانسان . وبين الانسان ونفسه ! من منا يستشعر امتلاءه وإنسانيته وآدميته كاملة ، وهو يستقبل يوما جديدا موحيا وملهما لأن يعيد الانسان خلق هذا العالم بالفرح والدهشة ؟! .

بصيغة اخرى : من منا يولد كل صباح وليس فى داخله « جريجور سامسا مهما غادرنا اسرتنا ، وارتدينا افخر الثياب ، ولم تنبت لنا سيقان عديدة ورفيعة ؟! .

عبد القادر حميدة



ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي


لوحة للفنان القطرى جاسم زينى